بسم الله الرحمن الرحيم

جامعـــة اليرمـــــوك
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم اللغـة العربيــة

خطاب التهويل في القرآن الكريم

Exaggeration Discourse in The Holy kor'an

إعداد الطالب :

خالد موسى حسين الزعبي

إشراف الأستاذ الدكتور :

مخيمر صالح

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه

٢٠٠٩ م

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

خطاب التهويل في القرآن الكريم

Exaggeration Discourse in The Holy kor'an

إعداد الطالب :
خالد موسى حسين الزعبي

إشراف الأستاذ الدكتور :
مخيمر صالح

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيع
١ ـ أ . د : مخيمر صالح يحيى	مشرفاً ورئيساً	.....
٢ ـ أ . د : فضل حسن عباس	عضواً	.....
٣ ـ أ . د : سمير شريف استيتيه	عضواً	.....
٤ ـ أ . د : شحادة أحميدي العمري	عضواً	.....
٥ ـ أ .د : فايز عارف قرعان	عضواً	.....

قدمت هذه الرسالة استكمالاً للحصول على درجة الدكتوراه في .....

في كلية / معهد ..... في جامعة اليرموك .

نوقشت وأوصي بإجازتها / تعديلها / رفضها بتاريخ .....

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

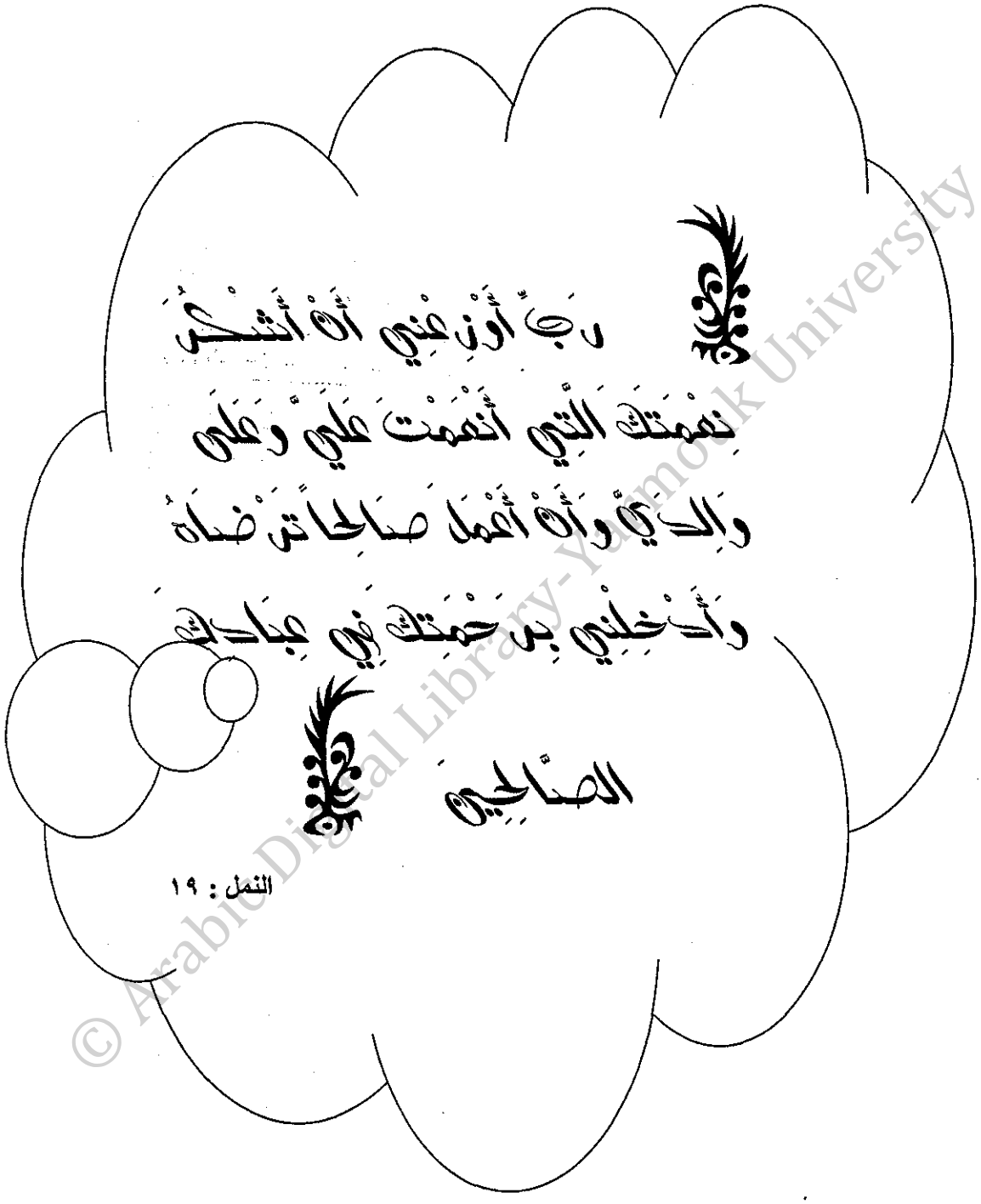

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

خطاب التهويل في القرآن الكريم

إعداد :

خالد موسى حسين الزعبي

إشراف الأستاذ الدكتور :

مخيمر صالح

ملخص الرسالة

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف إلى خطاب التهويل ، بوساطة الآيات التي تتحدث عن يوم القيامة ، وتتكون الدراسة من مقدمة وثلاثة فصول :

الفصل الأول ، تحدثت في هذا الفصل عن جانبين أساسيين في توضيح لخطاب التهويل ، وهذان الجانبان هما ، الملامح العامة ودواعي التصوير في خطاب التهويل ، وينقسم إلى مبحثين :

المبحث الأول : جاء بعنوان (الملامح العامة لخطاب التهويل) ، وقد تناولت فيه الجوانب التي اتخذها خطاب التهويل وسيلة لبيان هول ذلك اليوم ، وهذه الجوانب هي :

أولاً ـ قوة العرض بوساطة مظاهر الطبيعة ، أوضحت فيه الصورة العامة التي تكون عليها المظاهر الطبيعية في ذلك اليوم .

ثانياً ـ دور الزمان والمكان في الخطاب ، تناولت فيه ما للزمان والمكان من أهمية في عرض أحداث يوم القيامة .

ثالثاً ـ تصوير العواطف والانفعالات ، التي بوساطتها يمكن التعرف على بعض المشاعر والأحاسيس التي تخيم على الشخصيات في ذلك الزمان .

رابعاً ـ دور الشخصيات العفوية في تصوير الأحداث ، أشرت فيه إلى الأدوار التي تقوم بها هذه الشخصيات ، من حيث الحركات ، التي تنبع من مواقف عفوية .

المبحث الثاني : عنوانه (دواعي التصوير في خطاب التهويل) ، أشرت فيه إلى أهمية استخدام التصوير خطاب التهويل ، من خلال جوانب أربعة هي :

الجانب الأول : وجاء بعنوان (البيان والتوضيح) ، تحدثت في هذا الجانب عن دور الصورة في توضيح هول يوم القيامة وبيانه .

الجانب الثاني : وعنوانه (تعظيم الحدث) ، وفي هذا الجانب ، تحدثت عن الأمور التي تظهر الحدث في طور التعظيم ، من حيث الإظهار لقوته .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الجانب الثالث : حمل عنوان (الترهيب) ، تناولت في هذا الجانب الحديث عن الأمور الأكثر ظهوراً في إبراز الأحداث ، حيث تتجه بالأحداث إلى ناحية الترهيب بوساطة التصوير .

الجانب الرابع : وكان عنوانه (قوة التأثير لحصول الاستجابة والانفعالية) ، تحدثت عن التفاعل بين الصورة الفنية والمتلقي ، حيث تكون وظيفة الصورة التأثير على المتلقي ، وما يؤدي ذلك من ردة فعل نتاجها يكون في الاستجابة والانفعالية .

الفصل الثاني، انفرد بالسمات اللغوية والإيقاعية ضمن خطاب التهويل، وكان بعنوان (أسلوب البناء اللغوي والإيقاعي في خطاب التهويل) ، وقد قسمت هذا الفصل إلى مبحثين :

المبحث الأول : تحدث عن اللفظ والسياق ، ودورهما المناسب لبث الروع والخوف في نفسية المتلقي ، وذلك من جانبين :

أحدهما : من حيث البنية الصوتية للمفردة ودورها في تهويل الحدث .

ثانيهما : الإيقاع المناسب للحدث ، إذ قمت بتعريف الإيقاع ، ثم تحدثت عن الإيقاع بوساطة الفاصلة القرآنية، مع الإتيان ببعض الأمثلة للتفريق بين الإيقاعات التي تأتي في خطابات متنوعة.

المبحث الثاني : أنماط التركيب ، وقد درست فيه بعض السمات اللغوية ، وما لها من دور في تهويل الأحداث ، ومن هذه السمات التكرار ، والتقديم ، والتأخير ، والحذف ، والذكر ، والتوسع .

الفصل الثالث ، تحدثت في هذا الفصل عن بعض الجوانب البلاغية في خطاب التهويل ، وقد كان بعنوان (الأساليب البلاغية في خطاب التهويل) ، وقد تحدثت في هذا الفصل عن كل من التشبيه والاستعارة والمجاز والبديع ، حيث قمت بتعريف كل نوع منها ، ثم الإتيان بالأمثلة على كل منها لإثراء البحث .

وأخيراً ، أنهيت البحث بخاتمة ، تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها ، أجملها فيما يلي :

أولاً : إن خطاب التهويل جزءٌ مهمّ من الخطاب القرآني بشكل عام ، وقد تحدث عن فترة زمنية مستقبلية ، ناقلاً للمخاطب حال الناس في ذلك الزمان ، وما يعتريهم من دهشة وذهول .

ثانياً : استخدم خطاب التهويل التصوير الفني في عرض أحداث ذلك اليوم ، لما لهذا النوع من أهمية في التأثير في النفوس ، ولم يبقَ على صورة واحدة ، بل هناك تنوع في الصور ، وذلك من أجل إحداث أكبر نوع من التأثير .

ثالثاً : لم يأت خطاب التهويل على نمط واحد في الحديث عن ذلك اليوم ، بل نجد التنوع موجود في الخطاب ، فمرّة يلجأ إلى الخطاب المباشر ، ومرّة أخرى يتحدث بأسلوب الخطاب غير المباشر ، وإن كان الخطاب الأخير هو الغالب .

رابعاً : يعود سبب اهتمام خطاب التهويل بالتصوير ، لما للأخير من أساليب تكون نافعة ، تكون عوناً في بث الرهبة والروع ، والتي تؤدي بدورها إلى الاستجابة .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

خامساً : إضافة للتصوير ، لجأ خطاب التهويل للألفاظ نفسها في زيادة التوضيح ، فقد استخدم ألفاظاً توحي دلالتها الصوتية على هول عظيم .

سادساً : يُعدُّ الإيقاع الموسيقي من العناصر المهمة التي تؤدي دوراً فاعلاً في بث الروع والخوف في نفسية المتلقي ، من خلال السرعة والبطء ، أو الإطالة والقصر .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الإهداء

إلى روح والدي ... رحمهما الله تعالى

وفاءً لذكراهما وعرفاناً بحقهما....

إلى إخواني.....

إلى زوجتي وأولادي...

إلى أصدقائي....

أهدي هذا العمل

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

شكر وتقدير :

أحمدك ربي حمداً كثيراً ، يليق بجلال وجهك وعظيم سلطانك ، بأن شرحت صدري ، وهديتني إلى دراسة كتابك ، وأعنتني على تذوق لطائف تعبيره ، وحلاوة نسجه ، وجلال غايته ، والتمس منك عفوك ورضاك ، وأصلي على خير خلقك وأسلم تسليما .

وبعد ، فيطيب لي أن أتقدم بالشكر الجزيل ، والامتنان العظيم لأستاذي الفاضل **الأستاذ** الدكتور : مخيمر صالح ، الذي أشرف على هذا البحث ، وفتح لي مكتبه منذ **اللحظة** الأولى حتى استوفى جوانبه ، واستوى على سوقه ، فوجدت منه كل تشجيع ، ورعاية ، ومتابعة مستمرة ، وللحق أقول ، إن ما قدمه الأستاذ الدكتور ، قلما يبذله مشرف مع طالب ، وقد تجسد ذلك بالتوجيهات السديدة ، والاقتراحات المفيدة .

كما أتقدم بالشكر الجزيل للأساتذة أعضاء لجنة المناقشة الكرام :

١ ـ أ . د : فضل حسن عباس

٢ ـ أ . د : سمير شريف استيتيه

٣ ـ أ . د : شحادة أحميدي العمري

٤ ـ د : فايز عارف قرعان

على ما أمضوه من وقت في قراءة هذا البحث ، وعلى الملحوظات التي سيبدونها ، التي ستسهم في إثراء البحث وتطويره . كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى أساتذتي الكرام في قسم اللغة العربية في جامعة اليرموك .

فإلى هؤلاء جميعاً أتقدم بالشكر الجزيل والامتنان العظيم ، فجزاهم الله عني خيراً

الباحث

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١
الفصل الأول : الملامح العامة ودواعي التصوير في خطاب التهويل	١٠
المبحث الأول : الملامح العامة لخطاب التهويل	١١
المطلب الأول : قوة العرض بوساطة مظاهر الكون	١٤
المطلب الثاني : دور الزمان والمكان في الخطاب	٣٤
المطلب الثالث : تصوير العواطف والانفعالات والحالات النفسية	٤٦
المطلب الرابع : دور الشخصيات وحركاتها العفوية في تصوير الأحداث	٦١
المبحث الثاني : دواعي التصوير في خطاب التهويل	٧٣
المطلب الأول البيان والتوضيح	٧٣
المطلب الثاني : تعظيم الحدث	٧٧
المطلب الثاني : الترهيب	٨٢
المطلب الثاني : قوة التأثير لحصول الاستجابة والانفعالية	٨٦

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الثاني : أسلوب البناء اللغوي والإيقاعي في خطاب التهويل ٩٣

المبحث الأول : اللفظ والسياق ٩٣

المطلب الأول : دور السياق في تحديد اللفظ ٩٣

المطلب الثاني : البنية الصوتية ودورها في تهويل الحدث ١٠٥

المبحث الثاني : الإيقاع المناسب للحدث ١١٠

المبحث الثاني : أنماط التركيب في خطاب التهويل ١٢٠

المطلب الأول : التكرار في خطاب التهويل ١٢١

المطلب الثاني : التقديم والتأخير في خطاب التهويل ١٢٧

المطلب الثالث : الحذف في خطاب التهويل ١٣٤

المطلب الرابع : التوسع في خطاب التهويل ١٤٢

الفصل الثالث : الأساليب البلاغية في خطاب التهويل ١٥٠

المطلب الأول : التشبيه في خطاب التهويل ١٥٢

المطلب الثاني : الاستعارة في خطاب التهويل ١٥٩

المطلب الثالث : المجاز في خطاب التهويل ١٦٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ـ المجاز في التركيب ويسمى مجاز الإسناد ١٦٦

ـ المجاز اللغوي ١٦٩

المطلب الرابع : البديع في خطاب التهويل ١٧٢

المحسنات اللفظية في خطاب التهويل : ١٧٥

ـ الجناس ١٧٥

ـ السجع (تماثل الفواصل) في خطاب التهويل ١٧٩

المحسنات المعنوية في خطاب التهويل ١٨٦

ـ الطباق ١٨٦

ـ المقابلة ١٩١

الخاتمة ١٩٥

المراجع والمصادر ١٩٩

فهرست الآيات ٢٠٧

الملخص باللغة الإنجليزية ٢٢٣

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد ،

تعددت الدراسات القرآنية ، وتنوعت طرق البحث فيها ، إلا أن أكثرها بقي محصوراً ضمن ثلاثة محاور، أولها : تناول المعاني والأحكام في القرآن الكريم ، وتتجلى ضمن هذا الموضوع كتب التفسير والأحكام الشرعية والفقهية ، ثانيها : دراسة القرآن الكريم لإظهار الشواهد اللغوية والبلاغية والنحوية ، وذلك بالبحث عن الشواهد ضمن آيات القرآن ، وثالثها : دراسة القرآن بوساطة التصوير الفني ، حيث تقوم هذه الدراسات على جمع المشاهد من القرآن الكريم بشكل عام ، وهناك دراسات أخرى خارج هذه المحاور الثلاثة .

أما موضوع البحث ـ خطاب التهويل في القرآن الكريم ـ فهو موضوع قديم جديد ، ذلك أنه يدرس الآيات التي تتحدث عن أهوال يوم القيامة ، وهي جزء لا يتجزأ من الخطاب القرآني بشكل عام ، الذي يتناول جوانب الحياة كافة ، سواء أكان ذلك في الماضي ، أم في الحاضر ، أم بالمستقبل ، وعلى الرغم من وجود دراسات كثيرة حول القرآن الكريم ، إلا أن هذه الدراسات ، لا تغني عن موضوع البحث ، ذلك أن خطاب التهويل ، يبحث في الأمور المستقبلية للحياة ، وضمن مرحلة زمنية معينة .

فدراستي لخطاب التهويل نابعة من الإيمان العميق بأهمية الموضوع من جانبين ، أحدهما : أن القرآن الكريم هو المصدر الأول لمادتي اللغة والبلاغة ، حيث تقوم هذه الدراسة على خدمة هذا الكتاب .

ثانيهما ، أن هذه الدراسة تتناول جوانب عدّة ، منها الأدبية واللغوية والبلاغية ، وما ينتج عنها من ترابط ، والكيفية التي استخدمها القرآن في سياقاته في أثناء الحديث عن يوم القيامة ، والطريقة التي اتبعها في بيان أحداث ذلك اليوم بوساطة اللغة بما تضمنتها من أساليب بلاغية ، كل ذلك أدى إلى إخراج الخطاب القرآني بنمط الخطاب الذي لا يُجارى ، وبوساطة هذه اللغة واستعمالات أساليبها ، تحدى الله ـ عز وجل ـ الإنس والجن على الإتيان بمثله .

إن الدارس للقرآن بعمق ، المنعم في ألفاظه ، المدرك لمعانيه ، يلحظ أن القرآن يتحدث إليه بأسلوب عجيب ، وكأنه كائن حي يتحدث بأسلوب الناطق ، مراعياً الناحية الفكرية والحالة النفسية للمُخاطب ، فهو يبسّط ألفاظه لفهمها ، ويتعمق في أساليبها ليريه مداركها ومنافذها ، وينتقل بالمُخاطب من موضوع لآخر دون أن يشعر بهوة بين الموضوعين ، وهذا الأمر جل ما نلحظه في خطاب التهويل ، الذي يعرض فيه جوانب عدّة ضمن فترة زمنية محددة ، كل جانب

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يتحدث عن موضوع معين ، وجميع هذه الجوانب تشترك لبيان هول ذلك اليوم ، فمرّة يعرض حالة السماء في ذلك اليوم ، ومرّة ثانية يصور حالة الأرض والجبال والبحار ، ومرّة ثالثة ، ينتقل للحديث عن حال الناس وما يسيطر عليهم من الخوف والفزع . . . الخ ، ويجمع في الحديث عن الكل ضمن خطاب التهويل ، لكن حديثه لا يمكن حصره ضمن الموضوع السابق ، فالتنقل من موضوع إلى آخر شيء طبيعي في القرآن الكريم ، ولو أنعمنا النظر جيداً ، لأدركنا أن القرآن يحوي أكثر من نوع من الخطاب ، كل نوع له سماته وخصائصه ، وجميع خطاباته هي خطابات للإنسان ، من أجل تقويمه في دنياه حتى يسعد في آخرته ، ومن هذه الخطابات ، خطاب التحدي ، خطاب التشريع ، الخطاب السردي ، خطاب الجزاء (١) . . . الخ ، ومع تعدد الخطابات في القرآن ، إلا أنها تشترك في إبراز القرآن على أنه خطاب كامل للإنسان ، يعرض فيه أمور حياته في الدنيا والآخرة .

وبعد النظر في القرآن والتعمق فيه ، وخاصة في الآيات التي تتحدث عن أهوال يوم القيامة ، وجدت في نفسي رغبة كبيرة في دراسة هذا الموضوع دراسة علمية مستفيضة ، تتبنى وجهة نظر جديدة من حيث تقسيم الدراسة إلى أجزاء ، كل جزء منها يتحدث عن جانب معين ، وقد جاءت الدراسة في ثلاثة فصول متكاملة تشكل الهيكل العام للموضوع ، وهي :

الفصل الأول : وقد قسمت هذا الفصل إلى مبحثين ، وهما على النحو التالي :

المبحث الأول : درست فيه الملامح العامة لخطاب التهويل ، وهي ملامح استخدمها القرآن لبيان عظمة ذلك اليوم وأهواله ، وقد جاءت دراسة هذا المبحث وفق أربعة مطالب ، ترتبط ارتباطاً وثيقاً في بيان هول ذلك اليوم ، وهذه العناصر هي :

الأول : تناولت فيه مظاهر الطبيعة ، والحالة التي تكون عليها يوم القيامة ، وما يطرأ عليها من تغيير بوساطة أحداث متتابعة ، جعلت تلك المظاهر في حلة جديدة لا تتشابه مع ما ألفه الناس في دنياهم ، لتوحي بهول ذلك اليوم وعظمته ، ما يؤدي إلى بث الروع والخوف في نفسية المتلقي .

الثاني : تحدثت فيه عن دور الزمان والمكان يوم القيامة ، وما لهما من الأهمية على نفسية المتلقي ، ذلك أن نهاية الزمان بالنسبة للدنيا يعني بداية زمان الآخرة ، فالزمان ذو طابع خاص ، وبخاصة أنه ينقل أخبار مرحلة مستقبلية .

الثالث : تناولت فيه المشاعر والانفعالات التي تسيطر على نفسيات الناس يوم القيامة ، والكيفية

---

١ ـ عنى سيد قطب بهذا اللون من الخطاب ، ما يتحدث عن مرحلتي النعيم والعذاب ، ولم يتحدث سيد قطب عن الألوان الأخرى من الخطابات الوارد ذكرها في البحث ، انظر : في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار إحياء التراث العربي / بيروت ، ط٧ ، ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م : ٦ / ٦٧٠ ،

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

التي تؤول إليها ، بسبب ما يخيم على الناس من هول ذلك اليوم ، تشترك في بيانه كل من السماء والأرض والجبال والبحار ، وما يعتريها من حركات ، تنبئ عن هول عظيم وخطر جسيم .

الرابع : درست فيه الأدوار التي يقوم بها الناس في ذلك اليوم ، وهي أدوار عفوية توحي بحالة الدهشة التي تسيطر عليهم ، ناتجة عن قوة ذلك اليوم ورهبته في نفس الإنسان ، مما يجعل تلك الأدوار ذات طابع إخباري للقارئ .

المبحث الثاني : تناولت فيه دواعي استخدام التصوير في خطاب التهويل ؛ لأن القرآن الكريم جعل الحديث عن أهوال يوم القيامة وفق مبدأ التصوير ، وقد كان استخدامه للتصوير لبيان أمور عدّة وهي : قوة التأثير لحصول الاستجابة ، والترهيب ، وتعظيم الحدث ، وكذلك للتوضيح والبيان .

الفصل الثاني : تحدثت فيه عن بعض الأساليب اللغوية والإيقاعية ضمن خطاب التهويل ، وقد كان ذلك ضمن مبحثين :

الأول : تناولت فيه الحديث عن اللفظ والسياق ، بما في ذلك من البنية الصوتية ودورها في تهويل الحدث ، ثم الحديث عن الإيقاع ومناسبته للأحداث في خطاب التهويل ، مما يؤدي من دور مهم في تعظيم الحدث وتفخيمه ، وذلك من خلال سرعته التي توحي بتسارع الأحداث .

الثاني : درست فيه أنماط التركيب التي لها دور في إبراز أحداث ذلك اليوم ، وهذه الأنماط هي : التكرار ، والتقديم والتأخير ، والحذف ، والذكر ، والتوسع .

الفصل الثالث : تحدثت فيه عن الجوانب البلاغية ، التي كان دورها واضحاً في خطاب التهويل ، وقد قسمت هذا الفصل إلى أربعة مباحث :

المبحث الأول : دار الحديث فيه عن التشبيه ودوره في توضيح أهوال ذلك اليوم .

المبحث الثاني : درست فيه الاستعارة ودورها في إبراز أحداث ذلك اليوم .

المبحث الثالث : تحدثت فيه عن المجاز ، والكيفية التي استخدمها القرآن في نقل أحداث ذلك اليوم .

المبحث الرابع : تناولت فيه البديع من حيث اللفظ والمعنى ، حيث تحدثت فيه عن الجوانب اللفظية مثل الجناس بفرعيه التام وغير التام ، ثم تناولت السجع بأنواعه وهي المطرف ، والمتوازي ، والمرصّع ، وبعد الحديث عن الجوانب اللفظية ، انتقلت للحديث عن الجوانب المعنوية وهي : الطباق بنوعيه ، الإيجاب والسلب ، ثم الحديث عن المقابلة .

وجاءت الخاتمة تحمل أهم النتائج التي توصل إليها الباحث ، ثم ألحقت بها قائمة بالمصادر والمراجع ، التي أفاد البحث منها ، مرتبة ترتيباً هجائياً .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولعل دراستي الموسومة بخطاب التهويل في القرآن الكريم ، أول دراسة تحمل العنوان بما فيه من مضامين ، ولم يكن هناك دراسات قديمة ، تتحدث عن الموضوع بشكل مفصّل ، إلا ما تناثر بين طيات كتب التفاسير .

أما الدراسات الحديثة ، فيجد الباحث أن هناك دراسات تتشابه بعض الشيء في الموضوع ، ومن هذه الدراسات " في ظلال القرآن " و" التصوير الفني في القرآن " و " مشاهد يوم القيامة " لسيد قطب ، و " المشاهد في القرآن الكريم " لحامد صادق قنيبي ، لكن هذه الدراسات تختلف تمام الاختلاف عن موضوع البحث في المضامين ، وطريقة عرضه .

ومن الدراسات الحديثة، ما يحمل جزءًا من عنوان البحث ، لكنها تختلف في المضمون أيضاً ، مثال ذلك " الخطاب القرآني، دراسة تحليلية في العلاقة بين النص والسياق ، مثل سورة البقرة " خلود العموش، و" الخطاب النفسي في القرآن ، دراسة دلالية أسلوبية " كريم ناصح الخالدي .

إلا أن الدراسات الآنفة الذكر لا تغني عن موضوع البحث ؛ لأن القرآن الكريم غني بإعجازه ، وهو المصدر الأول للعلوم اللغوية والبلاغية ، وسيبقى مصدراً للباحثين ينهلون من نوره في مجال الآداب إلى قيام الساعة .

ويظهر الباحث أن هذه الدراسة قد قامت بجمع ما تناثر بين طيات المصادر والمراجع عن أحداث يوم القيامة وأهواله ، وأخرجت ذلك في موضوع يستحق أن يكون دراسة كاملة متكاملة ، تتحدث عن أحداث فترة زمنية مستقبلية ، يشترك في أحداثها كل من الإنسان والمظاهر الكونية في بيان أهوالها ، وإدراك عظمة تلك الفترة وقوتها ، وفي الوقت نفسه ، تكون إخباراً للإنسان عما ينتظره من أحداث وأهوال في ذلك الزمان .

وبالنسبة للمضمون العام للدراسة ، يرى الباحث أن الدراسة قامت بالنظر إلى الموضوع وفق محاور أساسية ضمنية ، تندرج جميعها ضمن الخطاب الإلهي للإنسان ، بأن يجعل الإخبار عن ذلك اليوم بوساطة الكلام المباشر حيناً ، ثم ينقل الخبر بوساطة التصوير حيناً آخر ، وكل ذلك له من التأثير في نفسية المخاطب .

وقد كان لبعض الدراسات تأثير مهم في جوانب الموضوع ، وخاصة دراسات سيد قطب ، التي تحدثت عن الموضوع بأسلوب المشاهد .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

التمهيد :

الحمد لله الذي هدانا بهديه ، ومتعنا بنعمه ، وخصنا بفضله على سائر خلقه ، وجعلنا من أمة محمد (ﷺ) ، وشرّف لغتنا بأن جعلها لغة الدين والعلم، وصلى الله على النبي الهادي محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه وسلم إلى يوم نلقاه .

تعددت الدراسات القرآنية ، وتنوعت مقاصدها وأساليبها ، منها ما أتخذ التفسير دربه ، فجعله وسيلة لبيان قول الله وتفسير أحكامه ، ومنها ما ذهب في الطرق اللغوية ، وأخرى اتجهت صوب النواحي البلاغية . . . الخ ، إلا أن الاهتمام بالخطاب القرآني دراسةً مستقلة ، بجزئياته المتعددة حسب الموضوع ، لم تسترعِ انتباه العلماء بقدر كافٍ ، وربما ذلك عائد إلى صعوبة الموضوع من جانب ، أو عدم الإلمام بجوانبه المتسعة من جانب آخر ، وربما يعود ذلك إلى الجانبين معاً ، ويعتقد الباحث أن الجانب الثاني هو الأقرب للحقيقة ؛ لأن الخطاب القرآني ، على الرغم من كونه خطاباً إلهياً متكاملاً ، إلا أنه يتكون من خطابات جزئية ، لكل منها خصائصها ومزاياها ، والتي تتميز بها بعض هذه الخطابات من غيرها ، والتي تقوم بإظهار جوانب متعددة من حياة الإنسان، سواء بالحديث عن الماضي ، أو الحاضر ، أو المستقبل ، وقد تنبه بعض القدماء لهذه الجزيئيات بأن عدّوها أنواعاً للخطاب ، لكنهم ـ القدماء ـ قد خلطوا بين هذه الأنواع ، بأن جعلوا أكثرها ضمن موضوع الالتفات بالنسبة للمخاطب ، وأما الجزء اليسير ، فقد أعادوه إلى الموضوع (١) ، ويرى الباحث أن النظر إلى هذه الأنواع من جهة واحدة جهة الموضوع هو الأنسب ، لكي تكون الإحاطة بالخطاب شاملة متكاملة، ومن أنواع الخطاب، الخطاب التعليمي، والخطاب التشريعي ، والخطاب التمثيلي ، وخطاب التحدي ، وخطاب التهويل ، والخطاب التصويري .

وإذا أنعمنا النظر في هذه الأنواع ، نلحظ أنها أتت وفق نمطين من الخطاب(٢)، أحدهما : النمط المباشر ؛ بمعنى أن الخطاب أتى بالأسلوب المباشر من حيث الأوامر والنواهي . . . الخ ، حيث يغلب عل هذا النوع الأساليب اللغوية مثل التقديم والتأخير ، والتعريف والتنكير . . . وقد جاء وفق هذا النمط أنواع من الخطاب منها ، الخطاب التشريعي ، والخطاب التعليمي ، ويتميز هذا النوع من الخطاب بأنه يتحدث إلى المخاطب بالطريقة المباشرة، بعيداً عن الأساليب الفنية، مثل :

.....

١ ـ انظر : المدهش ، جمال الدين بن علي بن محمد الجوزي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٥، ت : مروان القباني : ١٥/١، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ، وزارة الأوقاف ، القاهرة ، ١٤١٦هـ ، ١٩٩٦م : ١ / ٣٨ ـ ٤٠

٢ ـ انظر : النقد والإعجاز ، محمد تحريشي ، منشورات إتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٠ ، ص : ٩١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

التشبيهات والاستعارات ، وثانيهما : النمط غير المباشر : وهذا النمط يظهر واضحاً في خطاب التهويل ، والخطاب التصويري ، والخطاب التمثيلي ، حيث يجعل التصوير قاعدة له ، بما يستخدمه من أنواع بلاغية مثل التشبيه ، والاستعارة ، والمجاز . . . الخ ، وليس معنى ذلك أن الأنواع اللغوية لا تُستخدم في النمط غير المباشر ، وأن الأنواع البلاغية لا توجد إلا في النمط غير المباشر ، بل إن النمطين من الخطاب يستخدمان الأنواع اللغوية والبلاغية ، ويقصد الباحث بذلك ، أن الأنواع اللغوية أكثر ظهوراً في الخطاب المباشر ، وكذلك الأنواع البلاغية هي الصفة الغالبة في الخطاب غير المباشر .

والذي يهم الباحث من الخطاب غير المباشر هو خطاب التهويل ، وهو خطاب يتحدث عن زمان معين ، يتحد مع غيره من الفترات الزمنية ، بأن يكون صلة بين ما مضى وبين ما سيأتي ، ولكنه في الوقت نفسه ، يتحدث عن زمان معين ، حيث يبدأ عمله بانتهاء الحياة الدنيا ، وينتهي زمانه بابتداء زمان الجزاء ، ولذلك فخطاب التهويل ، ينقل أحداث تقع ضمن زمان معين ، وإذا أنعمنا النظر في هذه الأحداث ، فإننا نلحظ أنها توحي بالرهبة ، فهي لا تتحدث عن الإنسان ومصيره فقط ، بل تتعدى ذلك لتشمل جميع مكونات الطبيعة من سماوات ، وأرض ، وجبال ، ثم تأتي بعد ذلك على ذكر الإنسان نفسه .

إذن ، خطاب التهويل ينقل المُخاطب من عالم موجود وهو العالم الحالي الدنيوي ، المعهود بسكونه وهدوئه (*) ، إلى عالم جديد مُنتظر ، وهو عالم مضطرب ، تتقلب فيه الأحداث ، لتوحي بهول عظيم وخطر جسيم ، تشترك فيه عناصر الطبيعة التي عايشها الإنسان ، وقد كانت رمزاً للسكون والأمن في حياته ، حيث ينقلب حالها في ذلك اليوم ، لتصبح مصدر رعب وروع لهذا الإنسان ، ومن هذه العناصر : السماء ، والأرض ، والجبال ، فالسماء مثلاً ، تمر في حالات مثل التفطر والتشقق ، إلى أن ينتهي حالها إلى الاختفاء ، والحديث يشمل السماء الدنيوية ، أما يوم القيامة ، فتكون هناك سماء تختلف عن سماء الدنيا ، يقول تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ للّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ (١) ، وكذلك الأرض ، التي عُرفت بسكونها ، فهي تتحرك حركات عنيفة متتابعة ، وتزلزل حتى لا يبقى شيء في جوفها ، وها هي الجبال التي كانت أوتاداً للأرض ، تختفي من الوجود .

---

* ــ لا يقصد الباحث بالسكون والهدوء للأرض بمعنى الثبات ، بل إن القصد في الحركة أنها غير مدركة إلا ببعض الأمور مثل الزلازل .

١ ــ إبراهيم : ٤٨

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولم يكتفِ خطاب التهويل في الحديث عن المظاهر الطبيعية لبيان هول ذلك اليوم ، بل أتى على ذكر الإنسان نفسه ، وما ستؤول إليه حاله ، فقد صوّر خطاب التهويل الإنسان بحال تختلف عن حاله في الدنيا ، ونظر إلى ذلك الإنسان من جانبين ، أحدهما : الصورة الخارجية ، وبوساطتها أوضح الحركات العفوية التي يقوم بها الإنسان لبيان هول ذلك اليوم ، حيث يخرج مسرعاً من الأجداث تلبية للداعي ، ويكون ذلك في جماعات ، وقد خيم الذل عليه أولاً ، وسيطرت عليه الدهشة ثانياً ، ثانيهما : أظهر خطاب التهويل مكنونات النفس الإنسانية، وخلجاتها الشعورية ، بل أصبحت ظاهرة للعيان بعد أن كانت مستورة في صدر صاحبها ، تظهر بحلة جديدة ، تصبح هي الدافع للفرقة بعد أن كانت رمزاً للألفة ، وتكون مصدراً للتفرق بعد أن كانت أساساً للتجمع ، تُظهر ذلك كله بوساطة الحركات التي تسيطر عليها مشاعر الخوف والرعب ، فالرجل يفرُّ من أخيه وأمه وأبيه ، بل يصوّر خطاب التهويل قوة الهول الواقع على الإنسان ، ليجعله الداعي لفراره من أبنائه وزوجه ، تلك العائلة التي كان يحفظ لها مشاعر الحب والألفة ، أصبحت في هذا الموقف مصدر خوف ورعب من مصدر مجهول ، بل يتعدى ذلك إلى أن يقدم الرجل أحب الناس إليه فداءً من أجل الخلاص من ذلك الموقف ، ولم ينتهِ خطاب التهويل عند مشاعر الأب ، بل تعداها لمكنونات الحنان ، مصوراً ذلك بوساطة الأم ، حيث تحدث عن ذلك بصورتين اثنتين ، الصورة الأولى تحدث عنها بوساطة المرضع ، أما الصورة الثانية ، فقد كانت من خلال المرأة الحامل ، والصورتان تعبران عن الحنان الكبير والعطف العظيم للابن ، وقد جاء خطاب التهويل بالصورتين ليبين عظمة ذلك اليوم ، حيث تذهل المرأة المرضع عن رضيعها ، بأن تنزع الثدي من فيه ، أما المرأة الحامل فتسقط ما في بطنها .

إذاً ، المتلقي أمام مشاهد عظيمة ، مشاهد حافلة بالحركة ، واللون ، والصوت ، تبين قوة أحداث ذلك اليوم وضخامته ، مشاهد تنقل المتلقي من عالمه الدنيوي إلى عالم آخر في المستقبل ، بلحظات يتم فيها اختزان للزمن ، يتم ذلك بوساطة ألفاظ وكلمات ، بما يناسبها من إيقاع ، كل ذلك يشترك في إظهار أهوال ذلك اليوم وأحداثه .

وقبل الحديث عن خطاب التهويل بجميع أبعاده ، يرى الباحث أن يوضح معنى مصطلح التهويل ، علماً أن الدراسة تتجه ناحية الجوانب البلاغية ، فمصطلح التهويل ليس مصطلحاً بلاغياً ، بل هو لفظ أستعمل ليؤدي وظيفة بلاغية ، وقد ورد في المعاجم البلاغية بمعنى الفزع والخوف الشديد ، إلا أن طبيعة هذا الخوف يختلف عن الخوف الطبيعي من جهة المصدر ؛ أي الخوف المعروف مصدره أقل وطأة على الخائف من الفزع ، مجهول المصدر" هول : الهَوْلُ : المخافة من الأمر ، لا يدري ما يهجم عليه ، منه هول الليل ، وهول البحر ، والجمع أهوال

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وهؤول " (١) .

وبناء على ما سبق ، سيلجأ الباحث إلى دراسة خطاب التهويل دراسة نصيّة ، ذلك بما يحويه من أساليب تساعد على فهم الموضوع ، بوساطة المعرفة باللغة وعناصرها اللغوية والبلاغية ، التي وصفت ذلك اليوم بشكل مغاير عما نألفه من أعمال دنيوية ، حيث ظهر خطاب التهويل بشكل عجيب ، من خلال استخدامه للتصوير الفني ، الذي ينقل المتلقي من حال الجمود التي تمتاز بها الكلمات والألفاظ ، إلى حال المشاهد الحيّة الشاخصة أمامه ، بما يصاحب ذلك من حركات ، وإشارات ، ودلالات ، توحي بعظمة ذلك اليوم وقوته ، لتلقي بظلالها على أحاسيس المتلقي ومشاعره وانفعالاته .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

.....

١ ـ لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، مادة : هول

الفصل الأول

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الأول : الملامح العامة ودواعي التصوير في خطاب التهويل :

المبحث الأول : الملامح العامة لخطاب التهويل :

المطلب الأول : قوة العرض بوساطة مظاهر الكون .

المطلب الثاني : دور الزمان والمكان في الخطاب .

المطلب الثالث : تصوير العواطف والانفعالات .

المطلب الرابع : دور الحركات العفوية في تصوير الأحداث .

المبحث الثاني : دواعي التصوير في خطاب التهويل :

المطلب الأول : البيان والتوضيح .

المطلب الثاني : تعظيم الحدث .

المطلب الثالث : الترهيب .

المطلب الرابع : قوة التأثير لحصول الاستجابة والانفعالية .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الأول : الملامح العامة لخطاب التهويل :

يُعدُّ خطاب التهويل جزءًا مُهماً من القرآن الكريم ، ذلك أنه يخبر عن بداية حياة جديدة للإنسان ، شأنه شأن خطاب الجزاء ، إلا أن ما يميز خطاب التهويل عن خطاب الجزاء ، أن الأول يُعدُّ مرحلة متقدمة للخطاب الآخر ، وكما هو معلوم ، أن لكل خطاب ملامحه الخاصة التي تميزه من غيره من الخطابات ، فقد تمايز خطاب التهويل بعرض كثير من الملامح التي ترتبط بالحياة الدنيا ، مثل ، السماوات ، والأرض ، والجبال ، والحيوانات ... ، حتى أتى على ذكر الإنسان ، وما يمتاز به من مشاعر ، وإحساسات ، وعلاقات دنيوية ، وقد عرض لذلك كله عند تصويره لحالة هذا الإنسان زمن قيام الساعة ، وما يسيطر عليه من خوف وفزع من هول ذلك اليوم ، وإذا كان خطاب الجزاء ، قد وضّح حالة المرء في الآخرة سواء أكان من المترفين المنعمين ، بما قدمه في الحياة الدنيا ، أم كان من المحقرّين المعذبين ، بسبب طغيانه وتكبره فيما مضى ، فإن هذا الأمر لا نجده في خطاب التهويل ، بل الذي يُعرض لنا في هذا الموقف هو الخوف والفزع من هول ذلك اليوم ، وهي حالة واحدة .

وبما أن خطاب التهويل يصوّر حالة المرء في ذلك اليوم ، وما ينتظره من مواقف ومصاعب شاقة ، فلم يشرح ولم يوضح ذلك بكلام مباشر ، وإنما أراد أن ينقل ذلك للإنسان بطريقة غير مباشرة ، فقد نقل إليه ذلك الموقف بما تحتويه ذاكرته من أمور قد تعرّف عليها في دنياه ، وخاصة ما كان يستعظمه ويجله في تلك الدنيا الفانية ، والكيفية التي آلت إليها في ذلك اليوم ، ولم يكتفِ القرآن بذكر المظاهر الكونية مثل السماء ، الشمس ، والقمر ، والنجوم ... الخ ، بل أراد أن يقرّب ذلك للإنسان من أجل الإحاطة بعلمه ، حتى أتى على ذكر الأرض التي كان يعيش عليها ، والجبال التي كانت رمزاً للثبات والثقل عنده ، بل تعدى ذلك إلى الإنسان نفسه ، وذلك بتصوير حالته النفسية ، وما كان يختلجها من مكنونات نفسية ، ومشاعر دفينة ، وأن كل ما سبق أصبح على حال لا عهد له بها ، والكيفية التي تغيرت وتبدلت بها الموازين ، وأصبح ضمن نظام جديد ، هذا النظام أخذ من العناصر الأولى الأساسية ، ولكنه في الوقت نفسه آل إلى عناصر ثانوية ، لا دور لها .

فخطاب التهويل تصوير لحالة الكون ، بما يحتويه من مظاهر كونية وعناصر طبيعية ، بما في ذلك الإنسان ، ضمن فترة يسيرة عابرة تقع ضمن فترتين ، هما الأطول زمناً ، في الوقت نفسه ، فترة لا يمكن تجاوزها ، تُعدُّ حلقة وصل بين ما انتهى من الدنيا ، وبين ما هو آتٍ وهي الحياة الآخرة ، وبوساطتها يفرّق بين فئتين من الناس ، فئة المنعمين وفئة المعذبين .

وفي هذا المضمار ، يُعدُّ خطاب التهويل ، خطاباً تحذيرياً ، وإن أتى بأسلوب غير مباشر ، إلا أنه يحمل طابع التخويف والترهيب من ذلك اليوم ، وهو في الوقت نفسه ، خطاب ردع وزجر

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

للمرء الذي يُقبل على عمل المحرمات ، ولا يلتزم بأوامر الله والابتعاد عن نواهيه ، فينقل له في مشاهد حية مباشرة ، حالة الإنسان في ذلك اليوم ، بما يستحضره من عناصر كانت له معاشاً في دنياه ، ومأوى في حياته ، وملاذاً وعصمة في أوقات خوفه وفزعه، وقوة ومنعة له مما يخافه ويخشاه ، والكيفية التي أصبحت عليها ، بأنها لا تقدر على ما قدرت عليه في الماضي ، وهو يخبر عن أمور جديدة مستحدثة ، لا علم له بها من قبل ، من حيث ضعفها بعد قوتها ، ووهنها بعد صلابتها ، وخفتها بعد ثبوتها .

وإذا ما أنعمنا في الآيات التي تناولت خطاب التهويل ، نجد أنها استعرضت ذلك اليوم استعراضاً قوياً ، وشرحت أهوال الساعة شرحاً وافياً ، حتى أن الزمن يختزل في تلك اللحظات ، وتحدثت عن الإنسان بلحظة يسيرة لا يُحسب لها في الدنيا أي قيمة ، حيث تخبر عن أمور الإنسان في دنياه كأنها وميض ضوء ، أو لمعان برق ، وتتحدث عن طول الآخرة ، مسترشدة في الوقت نفسه عن ولادة الإنسان ، لتعبر عن كيفية بعثه يوم الحساب ، يقول تعالى : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً ۞ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً ۞ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً ﴾ (١) ، يقول مكي : " قوله تعالى : هل أتى على الإنسان قيل : هل بمعنى قد ، والأحسن أن تكون هل على بابها للاستفهام الذي معناه التقرير، وإنما هو تقرير لمن أنكر البعث ، فلا بد أن يقول : نعم ، قد مضى دهر طويل لا إنسان فيه ، فيقال له : من أحدثه بعد أن لم يكن ، وكوّنه بعد عدمه ، كيف يمتنع عليه بعثه ، وإحياؤه بعد موته " (٢) . إذا كان مكي قد ربط الآية بمسألة البعث فقط ، فإن الباحث يرى أن الحديث بهذا الموجز عن حياة الإنسان في الدنيا ، من بداية خلقه إلى بعثه ، إنما فيه دلالة على قصر الحياة الدنيا ، لكن في الجانب الآخر ، حين تحدثت عن الحياة الآخرة ، فقد أطالت في ذلك لتوحي بطول مدة البقاء في الآخرة (٣) .

ومع أن القرآن قد تناول يوم القيامة بأهواله وأحداثه ، مستخدماً المظاهر الكونية والظواهر

.....

١ ـ الإنسان :١ ـ ٣ .

٢ ـ مشكل إعراب القرآن ، مكي بن أبي طالب القيسي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٥هـ ، ط٢ ، ت : حاتم علي الضامن : ٧٨١/٢ .

٣ ـ انظر : سورة الإنسان .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الطبيعية ، في عرض كامل لبيان عظمة ذلك الحدث وفخامته ، إلا أن هذا الأمر قد وصف بوساطة اللغة بما تحويه من ألفاظ ومعاني وأساليب ، لكن القرآن لم يكتفِ بهذه المشاهد فقط في تهويل ذلك اليوم ، بل لجأ إلى اللغة نفسها من حيث الألفاظ بما حوتها من حروف ذات إيقاعات تخبر عن هول ذلك ، ومثال ذلك (القارعة) ، هذا الاسم أخذ من القرع ذات الصوت العالي " والقارعة : وصف من القرع ، وهو ضرب جسم بآخر بشدة لها صوت . وأطلق القرع مجازاً على الصوت الذي يتأثر به السامع ، تأثر خوف أو اتعاظ "(١) .

ولم يستمر القرآن على الأسلوب نفسه ، بل استخدم إلى جانب اللفظ التكرار والاستفهام ليزيد من حدة التهويل للموضوع .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

.....

١ ـ التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس : مج١٥/ج٣٠/ص٥١٠

المطلب الأول : قوة العرض بوساطة مظاهر الكون :

لقد تمايز خطاب التهويل عن باقي الخطابات في القرآن الكريم بقوة العرض والإيحاء ، بوساطة مشاهد السماء ، والأرض ، والجبال ، وما يطرأ عليها من تغيرات وتحولات ، تختلف تمام الاختلاف عما عهده الإنسان في دنياه ، حيث توحي هذه التغيرات بعظمة ذلك اليوم وقوته ، ولبيان قوة العرض والإيحاء ، سيلجأ الباحث إلى توضيح ذلك بوساطة المشاهد ، بأن يعرض كل مشهد على حدةٍ بما يناسب الموقف .

المشهد الأول :

أراد القرآن الكريم بوساطة خطاب التهويل ، أن يكشف هول ذلك اليوم ، بتصوير الحالة التي تكون عليها المظاهر الكونية ، ولم يقتصر ذلك على مظهر واحد فقط ، بل تعدى ذلك إلى أكثر المظاهر الكونية قوة وسعة من وجهة نظر الإنسان ، فقد صوّر حالة السماء في ذلك اليوم بعدّة مشاهد ، بوساطة ألفاظ تحمل دلالات مكثفة ، محملة بإيحاءات تعكس هول ذلك اليوم ، وعبارات وجمل ذات مغزى عميق ، يخبر عن حدث عظيم ، وخطر جسيم .

لقد صوّر القرآن الكريم السماء في ذلك اليوم بعدّة صور جزئية ، كل صورة لها إيحاء خاص يختلف عن غيره ، لكن إذا جُمعت هذه الصور ، فإنها تعطي مشهداً كاملاً ، ينبئ عن إيحاء ذي فاعلية تأثيرية على نفسية المتلقي ، أكثر قوة من تأثير الصور الجزئية ، وقد تم ذلك ضمن أربعة مراحل :

المرحلة الأولى ، مرحلة الاضطراب من هول يوم القيامة :

لم يأتِ القرآن الكريم حين تحدث عن أهوال يوم القيامة على ذكر الاضطراب مباشرة ، الذي يسيطر على السماوات في ذلك اليوم ، بل اخبر عنه بوساطة تصوير حالتها ، وما يعتريها من خوف وفزع ، ولبث ذلك المشهد بما يحمله من إيحاءات ، فقد استخدم ألفاظاً ذات معانٍ توحي بالاضطراب ، ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاء مَوْراً﴾ (١) ، فالمور كما ورد في المعاجم اللغوية هو الحركة ، سواء أكانت بالتردد أو التموج ، فهي توحي بحركة غير منتظمة ، نتيجة لأمور غير اعتيادية " يوم تمور السماء مورا ... تموج موجا " (٢) ، ويؤكد المعنى نفسه ابن منظور " مار يمور موراً إذا جعل يذهب ويجيء ويتردد " (٣) .

.....

١ ـ الطور : ٩

٢ ـ مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر الرازي ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥ ، ت : محمود خاطر ، مادة : موج .

٣ ـ لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور ، دار صادر ، بيروت: مادة : مور .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وعلى رأي اللغويين في معنى المور ، سار المفسرون ، وفسروا مور السماء بالحركة المضطربة ، يقول ابن قيّم الجوزية : " يوم تمور السماء مورا ... والمور قد فسر بالحركة ، وفسر بالدوران،وفسر بالتموج ، والاضطراب ، والتحقيق أنه حركة في تموج ، وتكفؤ ، وذهاب ومجيء " (١) .

ويرى أبو السعود أن تموج السماء يكون بسبب هول ذلك اليوم ، فالسماء لا تستطيع أن تحتمل تلك الفظاعة ، ولذلك تلجأ إلى التحرك والاضطراب، نتيجة للخوف والرعب منه ، يقول أبو السعود : " وقوله تعالى : يوم تمور السماء مورا، ظرف لواقع مبين لكيفية الوقوع ، منبئ عن كمال هوله، وفظاعته ، والمور الاضطراب ، والتردد في المجيء ، والذهاب ، وقيل هو التحرك في تموج " (٢) .

وقد مثّل الزمخشري لهذه الحركة لتموج السماء بصورة الماء في البئر في حالة التموج ، يقول في ذلك : " المور تحرك في تموُّج ، وهو الشيء يتردّد في عرض كالداغصة في الرَّكيَّة "*(٣) ، ويبدو أن سيد قطب قد تأثر برأي الزمخشري ، فقد شبّه حركة السماء في ذلك اليوم ، بحركة موج البحار حين تضطرب ، يقول في ذلك : " ومشهد السماء الثابتة المبنية بقوة ، وهي تضطرب ، وتتقلب كما يضطرب الموج في البحر ، من هنا إلى هناك بلا قوام "(٤) .

يلحظ الباحث ، أن القرآن الكريم أراد أن يضع الإنسان في حديثه عن ذلك اليوم ، أمام معايير جديدة لم يعهدها في حياته الدنيا ، بوساطة مسميات قد أدرك معالمها في دنياه ، فهو أمام السماء التي كانت تمتاز في الحياة الدنيا بالسكون ، والهدوء ، والثبات ، ها هي في موقف جديد تتحرك وتضطرب في حركة غير منظمة ، توحي بعظمة ذلك الموقف التي تتعرض له ، فهي أمام موقف عظيم ، يمكن إدراك قوة ذلك الشيء وفخامته بوساطة حركة التموج ، التي تسيطر على السماء في ذلك اليوم .

المرحلة الثانية ، مرحلة الانفطار والتشقق :

لا تقف السماء من هول ذلك اليوم عند الاضطراب ، والتموج ، اللذين ينبئان عن خوفها وفزعها ، بل تتعدى ذلك إلى مرحلة جديدة ، توحي بشدّة أعظم وأكبر من سابقتها ، هذه المرحلة

.....

١ ــ التبيان في أقسام القرآن ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بـ (ابن قيّم الجوزية) ، دار الفكر ، بيروت ، د ، ط : ١٦٩/١

٢ ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، أبو السعود : ١٤٧/٨ ، انظر : معالم التنزيل ، البغوي : ٢٣٧/٤ ، روح المعاني ، الألوسي : ٢٩/٢٧

* الداغصة في الركيّة : الماء الصافي في البئر

٣ ــ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، مكتبة مصر ، القاهرة ، شرحه وضبطه وراجعه : يوسف الحمّادي : ٢٩٠/٤

٤ ــ في ظلال القرآن ، سيد قطب : ٥٩٧/٧

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تحول السماء من القوة إلى الضعف ، ومن التماسك والترابط إلي التمزق والتشقق ، وكأنها أصبحت في حالة ذات دلالة جديدة ، تنبئ عن عظمة الحدث الآتي وقوته ، يقول تعالى في ذلك : ﴿ إِذَا السَّمَاء انفَطَرَتْ ﴾ (١)، ويقول تعالى : ﴿ إِذَا السَّمَاء انشَقَّتْ﴾ (٢)، فها هي السماء تتشقق ، وتظهر بحلة جديدة بخلاف حلتها المعتادة في الدنيا ، وقد نقل القرآن الكريم صورة السماء في يوم القيامة على عدّة مشاهد ، كل منها يتمم الآخر ، لتعطي بناءً كاملاً للصورة العامة لمنظر السماء يوم القيامة ، ولكن هذا العرض يكون ضمن مراحل متصلة بعضها مع بعض ، بوساطة التنقل من مشهد لآخر، لتصل بالمتلقي إلى ما تنتهي إليه حالة السماء في ذلك اليوم ، وفي الوقت نفسه ، لم يستخدم القرآن الكريم لفظة واحدة لبيان حالة السماء ، بل تجاوز ذلك إلى التعبير بألفاظ عدّة ، مثل الانفطار ، والانشقاق ، والانفراج ، ويبدو أن لكل لفظة دورها أو معنىً خاصاً ، يقوم بدور يختلف عن دور غيره ، في بيان وتوضيح حالة السماء في ذلك اليوم ، وهذا الأمر لم ينتبه له المفسرون ، بل تجاوزوا ذلك بإطلاق معنى واحد على لفظتين أو أكثر ، فالزمخشري يرى أن الانفطار والانشقاق بمعنى واحد " (انفطرت) انشقت " (٣) .

أما الكيفية التي يكون عليها الانشقاق ، فلم يوضحوا أمره ، ولم يفسروا حقيقته ، بل تجاوزوا ذلك إلى الاكتفاء ببيان معاني المفردات فقط ، يقول سيد قطب : " فانشقاق السماء حقيقة من حقائق ذلك اليوم العصيب . أما المقصود بانشقاق السماء على وجه التحديد ، فيصعب القول به ، كما يصعب القول عن هيئة الانشقاق التي تكون . . وكل ما يستقر في الحس ، هو مشهد التغير العنيف في هيئة الكون " (٤) .

إن ما يلفت انتباه الباحث ، هو وجود ألفاظ استخدمها القرآن الكريم لبيان الكيفية التي تكون عليها السماء في اليوم الموعود ، ومع أن هذه الألفاظ بعضها قريب في المعنى من بعضها الآخر، إلا أن الاختلاف حاصل ولو في بعض الأمور الجزئية، ومعنى ذلك أن الألفاظ لا تعطي المعاني نفسها، مثل (الانفطار والانشقاق) كما رأى المفسرون ، وإنما تكون المعاني قريبة من بعضها لحد التشابه ، إلا أن الاختلاف حاصل ولو جزئياً ، فالانفطار كما يراه الباحث هو مرحلة تسبق الانشقاق ، وهو عبارة عن التهيئة التي تصيب الشيء قبل عملية التشقق ، ويؤيد ما ذهب إليه الباحث ، أن القرآن جعل التفطر للسماء ، بينما ألصق التشقق مباشرة للأرض ، عندما جعل

.....

١ ـ الانفطار : ١

٢ ـ الانشقاق : ١

٣ ـ الكشاف : ٥٥٥/٤ ، انظر : التبيان في تفسير غريب القرآن ، ٤٥٣/١ ، لسان العرب : مادة : فطر .

٤ ـ في ظلال القرآن ، م ٨ / ج٢٨ / ٤٨٨

© Arabic Digital Library Yarmouk University

الكافرون للرحمن ولدا ، يقول تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً ۞ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً ۞ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً ﴾ (١) ، وأما ما ورد عن عائشة (رضي الله عنها) " كان يقوم الليل حتى تفطر قدماه ، والفطورُ الشُقوق ، انفطرت ، انشقت "(٢) ، لا يمكن النظر إليه من هذا المعنى بوصفه قولاً كاملاً لعائشة ، وإنما جاء (بمعنى التشقق) تعريف للتفطر من المؤلف أو المحقق ، أما ما يقارب المعنى من حيث التورم ، ما يرويه المغيرة (رضي الله عنه) ، حيث يقول : " إن كان النبي ـ ﷺ ـ ليقوم ليصلي حتى ترمُ قدماه أو ساقاه فيقال له فيقول : (أفلا أكون عبداً شكورا) " (٣) .

وشبيه من ذلك ما أورده ابن منظور عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (٤) ، " قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ : ما كنت أدري ما فاطر السموات والأرض ، حتى أتاني أعرابيّان يختصمان في بئر ، قال أحدهما : أنا فطرتها ، أي ؛ أنا ابتدأت حفرها " (٥) ، ويضيف ابن منظور : " وذكر أبو العباس ، أنه سمع ابن الأعرابي يقول : أنا أول من فطر هذا ؛ أي ابتدأه " (٦) .

وإذا ما أنعمنا النظر في الآيات التي تتحدث عن السماء في ذلك اليوم ، نلحظ أن مرحلة التشقق يتبعها مرحلة أخرى وهي تلون السماء ، وبما أن التفطر يؤدي إلى التشقق ، كذلك التشقق ينتج عنه التلون .

ففي قوله تعالى :﴿ إِذَا السَّمَاء انفَطَرَتْ ﴾ (٧)، هي بداية لتهيئة السماء إلى مرحلة التشقق،

.....

١ ـ مريم : ٨٨ ـ ٩٠

٢ ـ انظر : صحيح بخاري ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري ، دار ابن الهيثم ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٣م ، تقديم : أحمد محمد شاكر ، رقم الحديث : ١١٢٩

٣ ـ المصدر السابق ، رقم الحديث : ١١٣٠

٤ ـ فاطر : ١

٥ ـ لسان العرب ، مادة : فطر

٦ ـ المصدر السابق ، الصفحة نفسها

٧ ـ الانفطار : ١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يقول تعالى : ﴿ إِذَا السَّمَاء انشَقَّتْ﴾ (١) ، ففي هذه المرحلة تبدأ السماء بالتمزق ، بابتعاد بعض أجزائها عن بعضها الأخر ، مما ينتج عنه من ضعف في السماء بعد صلابتها وقوتها ، وتفرق بعد تماسك وترابط ، يقول تعالى : ﴿ انشَقَّتِ السَّمَاء فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴾ (٢) ، "(واهية) مسترخية ساقطة القوة جداً ، بعدما كانت محكمة مستمسكة " (٣) .

ويقول ابن عاشور : " وحقيقة (واهية) ضعيفة ومتفرقة ... وتقييده بـ (يومئذ) ، أن الوهي طرأ عليها بعد أن كانت صلبة ، يتماسك أجزائها " (٤) .

وحتى إن التشقق ، يكون بداية لمرحلة ، تؤدي بدورها إلى وهن السماء ، أكثر من التشقق نفسه، وهي عملية الانفراج ، يقول تعالى : ﴿ وَإِذَا السَّمَاء فُرِجَتْ﴾ (٥) ، فالانفراج مرحلة لاحقة للتشقق ، والاختلاف حاصل بينهما في البعد والقرب بين الأجزاء بعضها من بعض ، فإذا كانت قريبة مع بيان الشق فهو تشقق ، وأما إن تباعدت الأجزاء وظهر ما بعدها ، فهنا يمكن القول بأنه انفراج ، وينتج عن الانفراج وهن وضعف ، أشد مما يكون في الانشقاق ، وقد وصف القرآن الكريم هذا الانفراج من حيث التباعد ، حتى أصبح منفذاً أو باباً ، يقول تعالى : ﴿ وَفُتِحَتِ السَّمَاء فَكَانَتْ أَبْوَاباً﴾ (٦) ، يقول الثعالبي : " وقوله تعالى أبوابا ، قيل : معناه تتشقق حتى يكون فيها فتوح كالأبواب في الجدرات (كذا) "(٧) .

.....

١ ـ الانشقاق : ١

٢ ـ الحاقة : ١٦

٣ ـ الكشاف ، الزمخشري : ٤٥٥/٤

٤ ـ التحرير والتنوير ، مج١٤ ، ج٢٩ ، ص: ١٢٧.

٥ ـ المرسلات : ٩

٦ ـ النبأ : ١٩.

٧ ـ الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت : ٣٨١/٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المرحلة الثالثة : التلون :

ولم يتوقف القرآن في بيان هول ذلك اليوم عند تشقق السماء وانفراجها ، بل تعدى ذلك إلى تغيّر لونها ، من أجل بناء لوحة كاملة لذلك المشهد ، ذات إيحاءات متناسقة ، لبعث الرعب والخوف في نفسية المتلقي ، وقد استخدم القرآن الكريم اللون في بناء دقيق معبّر في بيان حال الإنسان الذي تُولد له أنثى ، فقد جعل اللون ذات إيحاء ، للتعبير عن رفض هذا الإنسان لهذا المولود ، يقول تعالى : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ (١) .

وشبيه من ذلك ما نجده في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاء فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾ (٢) ، ففي آية الرحمن ، يتحدث القرآن عن تغيّر لون السماء ، لكن الاختلاف بين الإيحاءين ، أن الأول إيحاءٌ ناتج عن الشخص نفسه ، بوساطة جزئية وهو الوجه ، وقد عبّر القرآن عن ذلك بالسواد للدلالة على عدم الرضا ، أما الثاني ، فاختلافه ناتج عن رعب وخوف من هول يوم القيامة ، ولم تحدد الآية الكريمة طبيعة اللون ، ولم يكن التلون جزئياً كما في آية النحل ، بل كان مشتملاً على الكل .

فالسماء يوم القيامة ، تتلوّن بألوان متعددة ، فكل وقت يكون لها لون يختلف عن اللون في لحظة سابقة ، هذا التلوّن يوحي بعظمة ذلك اليوم وشدته ، يقول ابن منظور : " فكانت وردة كالدهان ؛ أي صارت بلون الورد ... والورد يتلوّن فيكون في الشتاء خلاف لونه في الصيف ، وأراد أنها تتلوّن من الفزع الأكبر ، كما تتلوّن الدهان المختلفة " (٣) ، ومعنى قول ابن منظور هو عدم استقرار السماء في ذلك اليوم على لون واحد ، وإنما يكون تغيير مستمر ، وشبيه من ذلك ما يقوله ابن كثير : " وقوله تعالى : فكانت وردة كالدهان ؛ أي تذوب كما يذوب الدردي ، والفضة ، والسبك ، وتتلوّن كما تتلوّن الأصباغ التي يدهن بها ، فتارة حمراء ، وصفراء ، وزرقاء ، وخضراء ، وذلك من شدّة الأمر ، وهول القيامة العظيم " (٤) ، ويقول الواحدي : " فكانت وردة في اختلاف ألوانها "(٥) .

.....

١ ـ النحل : ٥٨ .

٢ ـ الرحمن : ٣٧

٣ ـ لسان العرب : مادة ورد

٤ ـ تفسير القرآن العظيم : ٢٧٦/٤

٥ ـ الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، علي بن أحمد الواحدي ، دار القلم ، دار الشامية ، بيروت ، دمشق ، ط١ ، ١٤١٥هـ ، ت : صفوان عدنان داوودي : ١٠٥٥/٢

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وما لفت انتباه الباحث ، أن القرآن الكريم في كلامه عن الأمور التي تبث الخوف والرعب في نفسية المتلقي ، يأتي دائماً بصور أو ألفاظ غير محددة المعاني ، لبث أكبر قدر من الفزع والرعب في نفسية المتلقي ، ومثال ذلك عدم تحديده للون السماء يوم القيامة ، وشبيه منه قوله تعالى : ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ۞ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ (١) ، فقوله تعالى : (كأنه رؤوس الشياطين) ، يوحي باختلاف أشكال رؤوس الشياطين بعضها عن بعض ، وفي ذلك تناهي في القبح والكراهية للمنظر ، فقد شبّه طلع شجرة الزقوم بأشكالها المتفاوتة ، بأشكال رؤوس الشياطين المختلفة المنظر ، حتى لا يعتاد الكافر على منظرها ، ونقل للمتلقي ذلك بوساطة التشبيه ، وفي ذلك دلالة على كراهية المنظر .

وبالعودة إلى السماء وتلونها ، فإن القرآن الكريم لم يقتصر على آية ﴿ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاء فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾ (٢) ، في بيان لون السماء ، بل إن هناك آيات قد أتت على ذكر اللون بما يصاحبه من إيحاء على شدّة ذلك اليوم ، ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاء كَالْمُهْلِ ﴾ (٣) ، فالمهل عند ابن منظور هو : " ضرب من القطران ما هيَّ رقيق ، يشبه الزيت وهو ، يضرب إلى الصفرة " (٤) ، بينما نجد أن المهل عند بعض المفسرين ، يختلف في لونه عن اللغويين ، فهو أسود " كالمهل ، هو دردي الزيت الأسود " (٥) ، أما المهل كمادة ، فهي دردي الزيت عند أكثر المفسرين (٦) .

ولم يستخدم القرآن الكريم المهل في بيان شدّة هول يوم القيامة فقط ، بل أتى باللفظ نفسه لبيان شدّة العذاب في الآخرة أيضاً ، فقد جمع القرآن في لفظ المهل (اللون والحرارة) ، وفي ذلك يقول تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء

---

١ ـ الصافات : ٦٤، ٦٥

٢ ـ الرحمن : ٣٧

٣ ـ المعارج : ٨

٤ ـ لسان العرب ، مادة : مهل

٥ ـ البغوي : ١٥٤/٤

٦ ـ انظر : الكشاف : ٦٣/٣ ، التبيان في تفسير غريب القرآن ، احمد بن محمد الهائم المصري ، دار الصحابة للتراث بطنطا ، مصر ، ١٩٩٢ ، ط١ ، ت : فتحي أنور الدابولي: ٢٧٣/١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقاً﴾ (١) ، ويقول تعالى : ﴿ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ۞ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴾ (٢) .

إن التغيير والتنويع ، أسلوب أتبعه القرآن الكريم لبيان عظمة الشيء وهوله ، فالسماء يتقلب لونها من لون إلى آخر في بيان حالها ، دلالة على قوة ذلك اليوم وهوله .

المرحلة الرابعة : الطي :

إذا كان التلون هو مرحلة من مراحل السماء في الآخرة ، فلا يعني ذلك أنها نهاية السماء في ذلك اليوم ، بل هناك مرحلة أخيرة ، توحي بنهاية هذه السماء ، وهي الطيّ ، لكن هناك خلاف في معنى الطي بين المفسرين ، فمنهم من يرى أن الطي هو الإزالة والفناء ، يقول أبو المعالي الألوسي : " الطي ضد النشر أو الإفناء ، والإزالة من قولك اطو عني هذا الحديث " (٣) ، ويرى آخرون أن الطي الخفاء ، وعدم الظهور ، وقد نسب الألوسي هذا الرأي لابن القيم في كتابه مفتاح دار السعادة ، وفي ذلك يقول : " وأنكر ابن القيم في كتاب مفتاح دار السعادة ، إفناء السماء، وإعدامها إعداماً صرفاً ، وأدعى أن النصوص تدل على تبديلها ، وتغيرها من حال إلى حال، ويبعد القول بالإفناء ظاهر التشبيه في قوله تعالى كطي السجل للكتب ، فإن الذي يطوي السجل وهو الصحيفة ، أو صحيفة العهد ، أو حجر يكتب فيه ، ثم سمي به كل ما يكتب فيه من قرطاس وغيره ، لا يفنيه بالطي ، بل الكتاب موجود بعده ، وهكذا السماء ، إذا طويت لا تفنى ، والكتب عبارة عن الصحائف ، وما كتب فيها ، فسجلها بعض أجزائها ، وبه يتعلق الطي " (٤) .

أما الشوكاني ، في تفسيره لقوله تعالى :﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ (٥) ، فيرى أن الطي يحتمل الأمرين معاً ، الأمر الأول : الفناء والإزالة ، أما الأمر الثاني : فهو الإخفاء والتعمية " والطي في هذه الآية يحتمل معنيين : أحدهما الطي ، الذي هو ضد النشر ، ومنه قوله تعالى : (والسموات مطويات بيمينه) . والثاني : الإخفاء ، والتعمية ، والمحو لأن الله

---

١ ـ الكهف : ٢٩

٢ ـ الدخان : ٤٥ ، ٤٦

٣ ـ مما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة البرهان ، محمود شكري بن عبدالله بن شهاب الدين الألوسي المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٧١م ، ط٢ ، : ١٠٣

٤ ـ المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

٥ ـ الأنبياء : ١٠٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

سبحانه وتعالى يمحو ، ويطمس رسومها ، ويكدر نجومها " (١) .

ويعتقد الباحث أن الطي في قوله تعالى :﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ (٢) ، يقصد بها الإزالة والفناء ، ذلك بما أوضحه القرآن من إزالة لكل معالم الأرض وما عليها ، والسماء وما فيها ، حتى تصبح في هيئة جديدة ، تختلف تمام الاختلاف عما عهده الإنسان ، وفي ذلك يقول تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ لِلّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ (٣) ، فالبدل يعني التغيير " وبدل الشيء : غيره " (٤) " وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) ، هي تلك الأرض ، وإنما تغير ، وتبدل السماء بانتثار كواكبها ، وكسوف شمسها ، وخسوف قمرها ، وانشقاقها ، وكونها أبوابا ، وقيل : تخلق بدلها ارض ، وسموات أخر" (٥) ، ويقول النبي – ﷺ – : " يُحشرُ الناسُ يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كَقُرْصَةِ نَقِيٍ " (٦) ، بمعنى ليس فيها معلم لأحد (٧) .

مشاهد الشمس والقمر والنجوم والكواكب :

هذه المجموعة التي تسير وفق نظام متسق ، ذات جمالية رائعة ، ليس فيه تفاوت ولا تسارع ، توحي بعظمة مسيّرها ، كل جزء منها له نظامه الخاص ، مترابط مع الغير في حركة دائبة ، يقول تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (٨)، هذا النظام في لحظة معينة ، ينقلب في حركة غير منظمة، يشوبها الاضطراب والتضارب ، وتتناثر أجزاؤه بعد الترابط ، ويتفكك نظامه بعد الانتظام ، ويتحول من حال إلى حال أخرى غير معهودة ، يقول الزمخشري : " وتبدّلُ السماءُ بانتثار كواكبها ، وكسوف

.....

١ ـ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية والتفسير ، ٤٢٩/٣

٢ ـ الأنبياء : ١٠٤

٣ ـ إبراهيم : ٤٨

٤ ـ لسان العرب ، ابن منظور ، مادة : بدل

٥ ـ تفسير النسفي ، النسفي ، دار الشعب ، القاهرة ، ١٣٧٢هـ ، ط٢ ، ت : احمد عبدالعليم البردوني : ٢٣٥/٢

٦ ـ صحيح بخاري ، محمد بن اسماعيل البخاري ، حديث رقم : ٦٥٢١ ، باب (يقبض الله الأرض يوم القيامة)

٧ ـ انظر : المصدر السابق : ٧٦٢

٨ ـ الأنبياء : ٣٣

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

شمسها ، وخسوف قمرها ، وانشقاقها ، وكونها أبواباً " (١) ، ويقول سيد قطب : " وهذه الأحداث الكونية الضخام، تشير بجملتها إلى أن هذا الكون الذي نعهده . الكون المنسق الجميل ، الموزون الحركة ، المضبوط النسبة ، المتين الصنعة ، المبني بأيد وإحكام . أن هذا الكون سينفرط عقد نظامه ، وتتناثر أجزاؤه ، وتذهب عنه صفاته هذه التي يقوم بها ؛ وينتهي إلى أجله المقدر ، حيث تنتهي الخلائق إلى صورة أخرى من الكون ، ومن الحياة ، ومن الحقائق ، غير ما عهدت في هذا الكون المعهود " (٢) ، فالشمس التي وجدت من أجل تزويد الأرض بالنور والدفء ، ينقلب حالها فتصبح مظلمة ، وتزال بعد ثباتها ، يقول تعالى : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ (٣) ، فالتكوير يعني الإزالة ، والإفناء ، يقول الزمخشري : " في التكوير وجهان : أن يكون من كوَّرت العمامة إذا لففتها . أي : يُلفُّ ضوؤها لفاً فيذهب انبساطه وانتشاره في الآفاق ، وهو عبارة عن إزالتها ، والذهاب بها ؛ لأنها ما دامت باقية كان ضياؤها منبسطاً غير ملفوف ، أو يكون لفُّها عبارة عن رفعها وسترها؛ لأن الثوب إذا أريد رفعه لفَّ وطوى ، ونحوه قوله ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ﴾(٤) ، وأن يكون من طعنه فجوَّرَه وكوِّره إذا ألقاه أي : تُلقى وتطرحُ عن فلكها " (٥) .

ومن المفسرين من اكتفى بزوال ضوء الشمس في بيان معنى كورت ، دون القول في الزوال للشمس ، أو البقاء في فلكها (٦) .

وطبيعي أن الشمس إذا ذهب نورها وأظلمت ، سيؤدي ذلك إلى ظلمة بقية الكواكب ؛ لأن الشمس هي مصدر الضوء ، يقول تعالى : ﴿ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ۞ وَخَسَفَ الْقَمَرُ۞ وَجُمِعَ

.....

١ ـ الكشاف : ٥٤٩/٢

٢ ـ في ظلال القرآن : مج٨، ج٣٠ ، ص ٤٧٧

٣ ـ التكوير : ١

٤ ـ الأنبياء : ١٠٤

٥ ـ الكشاف : ٥٤٩/٤، انظر : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث ، بيروت ، د . ت : ١١٤/٩ ، انظر : روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني ، محمد الألوسي أبو الفضل ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د. ط ، د ، ت: ٤٩/٣٠ .

٦ ـ انظر : إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن ، محمد بن محمد بن محمد الغزي ، الفاروق الحديثة ، القاهرة ، ١٤١٥هـ ، ط١ ، ت : خليل محمد العربي: ٣٣٧/١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ (١) ، فالخسف للقمر يعني الذهاب بنوره ، أو إزالته من مكانه " وذهب نوره أو ذهب بنفسه " (٢) ، ولم يحدد علماء التفسير سبب الجمع بين الشمس والقمر ، فمن العلماء من قال أن الجمع يكون في إطفاء نوريهما (٣) ، ورأى آخرون أن الجمع قائم على الانحباس عن الطلوع من مكانيهما المعهودين ، وجعلوا ذلك علامة على نهاية الدنيا (٤) ، وذهب قوم آخرون إلى أن الجمع يكون في الاقتران ثم التنازع من أجل الافتراق (٥) .

ويعتقد الباحث أن الجمع يكون في ذهاب الضوء عن كليهما ، أي أن التساوي بين الشمس والقمر يكون في الظلمة ، ويؤيد ما ذهب إليه الباحث ، استعمال القرآن لعنصر ثالث في الآيات الكريمة وهو البصر ، ثم جعل البصر في مقام الفاعلية على البرق ، ومعنى ذلك أن البصر في لحظة سريعة ، يُحَدُّ عن الإبصار والرؤية من شدّة هول الموقف ، والدهشة مما يرى من عجائب الأمور أولاً ، وذهاب الضوء الناجم عن الشمس ثانياً ، فالبرق في اللغة عدم الإبصار أو الحدّ منه " وبرق بصره برقاً ، وبرق يبرق بروقاً الأخيرة ، عن اللحياني : دهش فلم يبصر ... برق بصره أي ضعف " (٦) ، وقريب من ذلك ما نجده عند الرازي " وبرَّق عينه تبريقاً ، إذا وسعها وأحد النظر " (٧) . ويؤكد الزمخشري في كتابه الفائق ، أن شخوص البصر يؤدي إلى الضعف " برقة هي المرة من البرق ، مصدر بَرَقَ يبرق، إذا بقي شاخص حيرة، وأصله أن يشيم البرق فيضعف بصره "(٨) .

فالدهشة من هول الموقف ، وعظم الأمور تؤدي إلى الانبهار ، والحد من النظر ثم الضعف ، ويساعد ذلك حجب الضوء الناجم عن الشمس ، فيصبح الإنسان في ذلك اليوم ، في ظلمة حالكة ، يقول تعالى : ﴿ يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾(٩) ، ففي هذا الموقف ، يريد الإنسان أن

.....

١ ـ القيامة : ٧ ـ ٩

٢ ـ الكشاف : ٥٠٧/٤

٣ ـ انظر : معالم التنزيل ، البغوي : ٤٢٢/٤

٤ ـ انظر : الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي : ٣٣/١٥

٥ ـ الدر المنثور ، السيوطي : ٣٩٧/٣

٦ ـ لسان العرب ، مادة : برق

٧ ـ مختار الصحاح ، مادة برق

٨ ـ الفائق في غريب الحديث ، محمود بن عمر الزمخشري ، دار المعرفة ، لبنان ، د . ت ، ط٢ ، تحقيق : علي محمد البجاوي ـ محمد أبو الفضل إبراهيم .

٩ ـ القيامة : ١٠

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يختبئ لينجو من هول ذلك اليوم ، يقول ابن كثير : " أي إذا عاين ابن آدم هذه الأهوال يوم القيامة حينئذ ، يريد أن يفر ، ويقول : أين المفر ؛ أي هل من ملجأ أو من موئل " (١).

أما حالة النجوم يوم القيامة ، فإنها تتغير نتيجة لتغيّر الدنيا في ذلك اليوم ، فهي تطمس ويذهب نورها ، يقول تعالى : ﴿ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾(٢) ، ثم تهافتت من أماكنها ، وسقطت بسرعة ، يقول تعالى : ﴿ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴾(٣) ، " انكدر ، أي ؛ أسرع وانقضّ ، ومنه انكدرت النجوم " (٤) .

فالنجوم يذهب ضوؤها ، وتهوي بسرعة عن أماكنها ، فلا تبقى في ذلك اليوم في مواقعها التي أقسم بها سبحانه وتعالى في سورة الواقعة ، يقول تعالى : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ (٥) .

ولم يكن حال الكواكب في ذلك اليوم بأحسن حال من النجوم ، بل أيضاً الكواكب شأنها شأن النجوم في التساقط ، يقول تعالى : ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴾ (٦) ، إلا أن ما تمتاز به الكواكب عن النجوم ، أنها تتساقط متفرقة عن بعضها ، يقول ابن منظور : " نثرك الشيء بيدك ، ترمي به متفرقا " (٧) .

ولم يقتصر القرآن الكريم في حديثه عن أهوال يوم القيامة على السماء ، وما تحتويه من شمس، وقمر ، وكواكب ، ونجوم ، وما جري عليها من تغيير وتبديل ، يوحي بشدّة ذلك اليوم وعظمته ، بل تعدى ذلك إلى الأرض ، وما عليها من جبال وبحار ... الخ .

وبما أن الأرض هي مكان عيش الإنسان ، ومستقره ، ومأمنه ، فلا بد أن يكون الأمر في حالة تغيّرها ، أشد عليه من السماء ؛ لأنه قضى حياته كلها على ظاهرها ، يعرف منها الكثير، مقارنة بالسماوات ، التي لا يعرف عنها إلا الشيء اليسير بالنسبة للأرض ، إلا أن قوة الإيحاء والعرض لأهوال يوم القيامة ، تكون في مدركات الحس ، والشعور به أكثر إيثاراً ، وأشدُّ تفاعلاً من

.....

١ ـ تفسير القرآن العظيم : ٤٤٩/٤

٢ ـ المرسلات : ٨

٣ ـ التكوير : ٢

٤ ـ مختار الصحاح ، الرازي ، مادة : كدر

٥ ـ الواقعة : ٧٥

٦ ـ الانفطار : ٢

٧ ـ لسان العرب ، مادة : نثر

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

السماع به أو النظر إليه ، فكما أن هناك تفاوتاً في التأثير بين السماع بالشيء وبين رؤيته ، كذلك يكون قوة التأثير ناجمة عن الشعور بالشيء أكثر من رؤيته فقط ، ومثال ذلك من القرآن الكريم الحوار الذي جرى بين الله ـ ﷻ ـ وبين إبراهيم ـ عليه السلام ـ يقول تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْـرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِـي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَـكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَـالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءاً ثُـمَّ ادْعُهُـنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِـيمٌ ﴾(١) ، فإبراهيم يدرك تمام الإدراك أن الله يحي ويميت، لكن هذا الإدراك لم يصل إلى حدّ الاطمئنان، وهذا ما دعاه إلى القول :(ليطمئن قلبي)، وهذا يوحي بأن قلبه لم يطمئن بعد للعلم الذي عنده، أو أن قلبه كان مشغولاً بكيفية إحياء الموتى ، ولذلك طلب من الله ـ ﷻ ـ أن يريه كيف يحيي الموتى بعينيه ، فمرحلة العلم بالشيء تسمى علم اليقين ، وهي مرحلة لم تحظَ بتلك الأهمية عند إبراهيم ، فقد أراد أن يرقى إلى مرحلة أقوى ، لا يكون للشك أي دور فيها ، وهي مرحلة عين اليقين ، ومعنى ذلك أنه أراد رؤية إحياء الموتى مباشرة ، وقد ذكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ المرحلتين في قوله : ﴿ كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۞ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۞ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾ (٢).

إذاً ، على رغم من هذا الوضوح والبيان من القرآن الكريم لهول الساعة وضخامتها ، الذي نقله للمتلقي بوساطة حالة السماء ، والقمر ، والنجوم ، والكواكب ، إلا أنه أراد أن يعايش الإنسان تلك اللحظات ضمن واقعه الذي يعيش فيه ، لذلك لجأ إلى تصوير حالة الأرض ومن عليها ، التي كانت رمزاً للاستقرار والأمان في حياته الدنيا ، فبدأ بالأرض ، التي تعدُّ ذلك الملاذ الذي لا يجد غيره ، والمعاش الذي لا غنى عنه ، إلا أن الاختلاف حاصل بين حالتي السماء والأرض في ذلك اليوم ، والسماء يوم القيامة تتقلب بين مراحل عدّة من التموج إلى الطي، وهذا الأمر لا نلحظه في الأرض،التي عبّر عنها بألفاظ متنوعة،إلا أن بعضها قريب من البعض الآخر في المعنى، توحي

.....

١ ـ البقرة : ٢٦٠

٢ ـ التكاثر : ٥ ـ ٧

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بالحالة التي تسيطر على الأرض في ذلك الموقف ، نتيجة للهول والرعب ، موحياً بعظمة الأمر وفخامته .

إن الألفاظ التي وصفت حالة الأرض في ذلك اليوم ، لا تخرج عن معنى البروز أولاً ، والارتجاج أو الاهتزاز ثانياً ، لكن ألفاظ الارتجاج والاهتزاز لها حالاتها الخاصة ، أي كل لفظ له حالة أو مرحلة ، تختلف في المعنى الدقيق عن سابقتها ، ولذلك يحاول البحث أن يقسّم حالة الأرض إلى مشاهد ، بوساطة التمييز بين هذه الألفاظ.

المشهد الأول : حركة الأرض .

هذه الأرض التي عُرفت بالسكون والثبات ، لا تبقى على حالها يوم القيامة كما هو معهود ، بل تتحرك حركات في إيحاء شديد ، يحمل دلالة قوية على الهول العظيم في ذلك اليوم ، ولم يقتصر القرآن الكريم على وصف حركة الأرض في ذلك اليوم على لفظ واحد ، بل جاء الوصف بألفاظ عدّة، ليوحي بعدّة حركات، وكل لفظ له المعنى الذي يمتاز بوساطته عن غيره ولو في الجزئيات، والألفاظ التي حملت معنى التحريك والاضطراب للأرض في ذلك اليوم هي (الدّك ، الرّج ، الرجف ، الزلزلة) .

ومع أن الألفاظ السابقة جميعها تحمل معنى الحركة عند اللغويين والمفسرين (١) ، يرى الباحث أن هذا الأمر ليس من قبيل الترادف في ألفاظ القرآن الكريم ، فألفاظ القرآن الكريم لا ترادف فيها (٢) ، لكن التشابه في المعنى حاصل إلى حدّ كبير ، أدى إلى إخفاء ذلك الاختلاف والتمايز بين هذه الألفاظ .

وبما أن كل كلمة أو لفظة في القرآن ، تحمل معنىً معيناً ، فإن ـ كل لفظة ـ تدل على حالة معينة للأرض في ذلك اليوم ، بمعنى آخر ، أن دلالات الألفاظ ، توحي بمراحل متقاربة لحالة الأرض يوم القيامة ، أو أنها حالات متتابعة للأرض ، وما يطرأ عليها ، نتيجة لهول ذلك اليوم .

ويبدو أن الدّكّ هو الصفة العامة للأرض بعد الزلزلة ، والرجة ، والرجفة ، وذلك أن الدّك يأتي نتيجة للمراحل السابقة ، وهو بصفة عامة حالة الأرض بعد عدّة اهتزازات واضطرابات ، يقول تعالى : ﴿ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ (٣) ، ويقول تعالى : ﴿ كَلَّا

.....

١ ـ انظر : لسان العرب ، ابن منظور : مادة : رج ، مادة : رجف ، مادة : زلزل ، التبيان في تفسير غريب القرآن ، ابن قيم الجوزية : ٤٠٤/١ ، تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير : ٢٨٣/٤

٢ ـ انظر : البيان في إعجاز القرآن ، الخالدي: ١٦٤ ـ ١٦٧

٣ ـ الحاقة : ١٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

﴿إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾(١)، ودك الأرض بمعنى استوائها، لا ارتفاع فيها ولا انخفاض ، وهذا الاستواء جاء نتيجة اهتزازات واضطرابات متتابعة ، أدت إلى تحطيم ما على الأرض جميعاً ، يقول الألوسي : " والدك : قال الخليل : كسر الحائط والجبل ونحوهما ، وتكريره للدلالة على استيعاب ، وليس الثاني تأكيد للأول ، بل ذلك نظير الحال في نحو قولك جاؤا (كذا) رجلا رجلا ، وعلمته الحساب بابا بابا ؛ أي إذا دكت الأرض دكا متتابعاً ، حتى انكسر ، وذهب كل ما على وجهها من جبال ، وأبنية ، وقصور ، حين زلزلت المرة بعد المرة " (٢) .

مما سبق يلحظ الباحث ، أن الدكّ هو نتيجة لعدّ اضطرابات حصلت للأرض ، هذه الاهتزازات جعلت الأرض مستوية منبسطة ، ليس فيها منخفض أو مرتفع ، ويبدو أن أول هذه الاهتزازات، التي أخبر عنها القرآن هي الزلزلة ، يقول تعالى:﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ (٣)، فالزلزلة هي التحريك ، ولكن هذا التحريك للأرض لا يكون بقوة الرجة ، وإنما هو بداية الاهتزاز ، يقول أبو هلال العسكري : " ولهذا يقال زلزلت الأرض زلزلة خفيفة " (٤) ، ويعتقد الباحث ، أن أول مرحلة للأرض يوم القيامة ، تكون الزلزلة ، وهي البداية عند قيام الساعة ، فالقرآن الكريم لم يفصّل في الزلزلة كما فصّل في المرحلتين الآتيتين ، ولذلك اكتفى بقوله (زلزالها) ، ولم يحدد اتجاهات ذلك الاهتزاز .

إلا أن حركة الأرض لم تنتهِ عند مرحلة الزلزلة ، بل تعدت ذلك إلى مرحلة أشدّ من المرحلة السابقة ، مرحلة جديدة تسمى الرجفة ، وهي مرحلة الحركة فيها مستمرة دون توقف ، بحيث يكون هذا الارتجاف، للأرض أشد وطأة من الزلزلة ، فالرجفة تكون حركة سريعة في اتجاهين ، وفي ذلك يقول تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيباً مَّهِيلاً ﴾ (٥) ، ويقول تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴾ (٦) ، يقول العسكري في بيان الفرق بين الزلزلة

.....

١ ـ الفجر : ٢١

٢ ـ روح المعاني : ١٢٧/٣٠، ١٢٨

٣ ـ الزلزلة : ١

٤ ـ الفروق اللغوية : ٢٤٩.

٥ ـ المزمل : ١٤

٦ ـ النازعات : ٦

© Arabic Digital Library Yarmouk University

والرجفة : " أن الرجفة الزلزلة العظيمة ، ولهذا يقال : زلزلت الأرض زلزلة خفيفة ، ولا يقال : رجفت ، إلا إذا زلزلت زلزلة شديدة ، وسميت زلزلت الساعة رجفة لذلك ، ومنه الإرجاف، وهو الإخبار باضطراب أمر الرجل ،ورجف الشيء إذا اضطرب ،يقال: رجفت منه إذا تقلقلت " (١) .

وإذا كانت الرجفة هي المرحلة الثانية لحالة الأرض يوم القيامة ، فإن الرجة هي المرحلة الثالثة والأخيرة للأرض في ذلك اليوم، وهي مرحلة تختلف عن المرحلتين السابقين في اتجاه الاهتزاز، بينما تكون الرجفة في الاهتزاز باتجاهين مستويين ، فإن الرجة تكون في الرفع والخفض ، وهذه المرحلة أقوى في تدمير ما بقي على الأرض بعد الإرجاف ، يقول تعالى : ﴿ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجّاً ﴾ (٢) ، فالرج هو التحريك الشديد ، بحيث لا يبقي على الأرض شيئاً قائماً " رُجّت، حركت تحريكاً شديداً حتى ينهدم كلُّ شيءٍ فوقها من جبل وبناء " (٣) ، ويقول أبو السعود : " وقوله : إذا رجت الأرض رجا ؛ أي زلزلت زلزالاً شديداً ، بحيث ينهدم ما فوقها ، من بناء ، وجبل ، متعلق بخافضة رافعة ؛ أي تخفض وترفع وقت رج الأرض ، إذ عند ذلك ، ينخفض ما هو مرتفع ، ويرتفع ما هو منخفض " (٤) .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

---

١ ـ الفروق اللغوية ، أبو هلال العسكري : ٢٤٩

٢ ـ الواقعة : ٤

٣ ـ الكشاف ، الزمخشري : ٣٢٨/٤

٤ ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم : ١٨٨/٨

المشهد الثاني : استواء الأرض .

وصف القرآن الكريم الأرض يوم القيامة بمشهدين ، أحدهما : الارتجاج والاهتزاز ، وثانيهما : البروز ، والظهور ، والانبساط ، ولكل مشهد خصائصه التي يمتاز بها ، فمشهد البروز يوحي بمنظر جديد للأرض ، فهي ظاهرة بارزة للعيان ، لكن قبل بيان استواء الأرض ، هناك إشارة في القرآن الكريم ، توحي بأن الدكّ مرحلة تسبق مرحلة الاستواء ، بل تكون سبباً له ، يقول تعالى : ﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكّاً دَكّاً ﴾ (١) ، حيث تُدكُّ الأرض فتصبح في مستوى واحد ، لا ارتفاع فيها ولا انخفاض " والدكّ الدقّ ، وقد دككت الشيء ، أدكه دكّا ، إذا ضربته وكسرته ، حتى سويته بالأرض ، ومنه قوله عز وجل : فدكتا دكّة واحدة " (٢) ، ويقول أبو السعود : " الدكّ ، حطّ المرتفع بالبسط والتسوية ، فالمعنى إذا سويت تسوية بعد تسوية ، ولم يبق على وجهها شيء ، حتى صارت كالصخرة الملساء " (٣) ، فالأرض بعد الدك ، تصبح منبسطة مستوية ، ليس فيها مرتفع أو منخفض ، يؤدي إلى حجب الرؤية عن الناظر ، فهي مستوية في طولها وعرضها ، يقول تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً ﴾ (٤)، فها هي الجبال التي تُعدّ أكبر حائل لرؤية الناظر، تغادر أماكنها ، أو تستوي مع الأرض ، فالبروز عند ابن منظور هو الاستواء " وترى الأرض بارزة ؛ أي ظاهرة بلا جبل ، ولا تل ، ولا رمل " (٥) ، أما المفسرون ، فقد كانت لهم آراء متعددة ، وقد أجملها الألوسي في قوله : " وترى جميع جوانب الأرض بارزة بادية ظاهرة ، أما ظهور ما كان منها تحت الجبال ، فظاهر ، وأما ما عداه ، فكانت الجبال تحول بينه وبين الناظر ، قبل ذلك ، أو تراها بارزة لذهاب جميع ما عليها من الجبال ، والبحار ، والعمران ، والأشجار ، وإنما اقتصر على زوال الجبال ؛ لأنه يعلم منه زوال ذلك بطريق الأولى ، وقيل : إسناد البروز إلى الأرض مجاز ، والمراد ، ترى أهل الأرض بارزين من بطنها ، وهو خلاف الظاهر " (٦) .

.....

١ ـ الفجر : ٢١
٢ ـ لسان العرب ، مادة : دك
٣ ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم : ١٥٧/٩، انظر : روح المعاني ، الألوسي : ١٢٨/٣٠
٤ ـ الكهف : ٤٧
٥ ـ لسان العرب ، مادة : برز
٦ ـ روح المعاني : ٢٨٨/١٥ ، انظر : تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير : ٨٨/٣ ، جامع البيان عن تاويل آي القرآن ، الطبري : ٢٥٧/١٥ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وسواء أكان البروز باختفاء الجبال ، أم ذهاب ما على الأرض من عمران ... الخ ، فإن المعنى لا يتعدى ذلك إلى إخراج الموتى من الأرض للعرض والحساب " يحتمل أن يريد بروز أهلها من بطنها للحشر ، والمغادرة " (١) ؛ لأن القرآن عبّر عن هذا الموقف بوضوح ، يقول تعالى : ﴿ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ (٢)، فكل ما في الأرض يُعدّ ثقلاً ، يقول الزمخشري : " جُعِلَ ما في جوفها من الدفائن أثقالاً لها (وقال الإنسان ما لها) زلزلت هذه الزلزلة الشديد ، ولفظت ما في بطنها ؟ وذلك عند النفخة الثانية، حين تُزلزل، وتُلفظ أمواتها أحياءً ، فيقولون ذلك؛ لما يبهرهم من الأمر الفظيع ، كما يقولون (من بعثنا من مرقدنا)(٣) " (٤) .

فها هي الأرض يوم القيامة في مظهر جديد ، تتجلى في البروز العاري من أي مرتفع ، الخالي من أي عوج ، تظهر في مظهر مستوٍ ، ذا إيحاء ينبئ عن هول مادي ، أدت إلى ما آلت إليه الأرض في ذاك الزمان ، ولم يكتفِ القرآن ببيان هذه الحال للأرض ، بل يبسط في القول لإيضاح هذا الأمر ، يقول تعالى : ﴿ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ۞ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴾ (٥) ، فالأرض يوم القيامة تُمد ، وتُبسط ، وتتوسع من أطرافها ، " مدا الأرض ، يمدها مدا ، بسطها وسواها " (٦) ، يقول القرطبي : " وإذا الأرض مدت أي بسطت ، ودكت جبالها ... وألقت ما فيها ، وتخلت أي ؛ أخرجت أمواتها وتخلت عنهم " (٧).

المشهد الثالث : حالة الجبال .

بما أن الجبال جزء من الأرض ، فلا بد أن يطرأ عليها تغير كبير كما طرأ على الأرض ، يوحي بعظمة حدث يوم القيامة، فهذه الجبال التي عُرفت في الدنيا بالضخامة ، والصلابة ، والثبات ، ها هي تبرز بحلة جديدة ، تختلف تمام الاختلاف عما كانت عليه في الدنيا ، فثبات الجبال في الدنيا، يقابله الحركة يوم القيامة، والصلابة تقابلها المرونة ، يقول تعالى واصفاً الجبال

.....

١ ـ الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، الثعالبي : ٣٨٥/٢

٢ ـ الزلزلة : ٢

٣ ـ يس : ٥٢

٤ ـ الكشاف : ٦٢٠/٤ ، انظر ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الطبري : ٢٦٦/٣٠ ، الدر المنثور ، عبدالرحمن بن كمال بن جلال الدين السيوطي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٣ ، ص : ٥٩٢/٨

٥ ـ الانشقاق : ٣، ٤

٦ ـ لسان العرب ، مادة : مد

٧ ـ الجامع لأحكام القرآن ٢٧٠/١٩ ، انظر : الدر المنثور : ٤٥٥/٨

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

في الدنيا :﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَاداً ۞ وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً﴾ (١) ، ويقول تعالى : ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاء بَنَاهَا ۞ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ۞ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ۞ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ۞ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءهَا وَمَرْعَاهَا ۞ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ۞ مَتَاعاً لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾ (٢) ، ويقول تعالى : ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۞ وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ ۞ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ (٣) .

أما حالة الجبال يوم القيامة ، فهي في حِلة جديدة ، ليس لها شبيه في الدنيا ، فبعد أن كانت تملأ الأرض من مشارقها إلى مغاربها ، ومن شمالها إلى جنوبها ، أصبحت الأرض مفرغة منها ، ولن يتم ذلك الأمر ، إلا على مراحل عدّة ، كما سيحدث للسموات والأرض في ذلك اليوم ، فالقرآن يذكر ذلك ، إيحاءً منه لبيان الحالات التي ستكون عليها الجبال يوم القيامة ، وكيفية اختفائها ، ولتوضيح هذه المراحل ، فقد نقل القرطبي رأياً يوضح فيه حالات الجبال ، فقد ذكر أن لها حالات ستاً حتى تختفي عن وجه الأرض ، يقول في ذلك : " ويقال : إن الله تعالى ، وصف الجبال بصفات مختلفة ، ترجع كلها إلى تفريغ الأرض منها ، وإبراز ما كانت تواريه ، فأول الصفات : الاندكاك ، وذلك قبل الزلزلة ، ثم تصير كالعهن المنفوش ، وذلك إذا صارت السماء كالمهل ، وقد جمع الله بينهما فقال : يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن ، والحالة الثالثة : أن تصير كالهباء ، وذلك أن تتقطع ، بعد أن كانت كالعهن ، والحالة الرابعة : أن تنسف : لأنها مع الأحوال المتقدمة، قارة في مواضعها، والأرض تحتها غير بارزة، فتنسف عنها لتبرز ، فإذا نسفت ، فبإرسال الرياح عليها ، والحالة الخامسة : أن الرياح ترفعها على وجه الأرض ، فتظهرها شعاعا في الهواء، كأنها غبار، فمن نظر إليها من بعد، حسبها لتكاثفها ، أجسادا جامدة ، وهي بالحقيقة مارة ، إلا أن مرورها من وراء الرياح ، كأنها مندكة متفتتة ، والحالة السادسة : أن تكون سرابا ، فمن نظر إلى مواضعها ، لم يجد فيها شيئا منها كالسراب (٤).

.....

١ ـ النبأ : ٦، ٧

٢ ـ النازعات : ٢٧ ـ ٣٣

٣ ـ الغاشية : ١٧ ـ ١٩

٤ ـ الجامع لأحكام القرآن : ٢٤٢/١٣ ، ٢٤٣ ، انظر : فتح القدير بين فن الرواية والدراية وعلم التفسير ، محمد الشوكاني : ١٦٥/٥، ١٦٦

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وعلى أساس ترتيب القرطبي ، تكون ترتيب الآيات كما يلي :

المرحلة الأولى : يقول تعالى : ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴾ (١) .

المرحلة الثانية : يقول تعالى : ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴾ (٢) ، ويقول تعالى : ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴾ (٣) .

المرحلة الثالثة : يقول تعالى : ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسّاً۞ فَكَانَتْ هَبَاء مُّنبَثّاً﴾ (٤) .

المرحلة الرابعة : يقول تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً﴾ (٥) ، ويقول تعالى : ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾(٦) .

المرحلة الخامسة : يقول تعالى : ﴿ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْراً ﴾ (٧) ، ويقول تعالى : ﴿ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ (٨) .

المرحلة السادسة : يقول تعالى : ﴿ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً ﴾ (٩) .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

---

١ ـ الحاقة : ١٤

٢ ـ المعارج : ٩

٣ ـ القارعة : ٥

٤ ـ الواقعة : ٥ ، ٦

٥ ـ طه : ١٠٥

٦ ـ المرسلات : ١٠

٧ ـ الطور : ١٠

٨ ـ التكوير : ٣

٩ ـ النبأ : ٢٠

المطلب الثاني : دور الزمان والمكان في الخطاب :

إن الزمان والمكان عنصران مهمان وحاضران في القرآن الكريم ، واقتران بعضها مع البعض الآخر، ظاهر في كثير من الأحيان ، وخاصة في الإخبار عن الأمم السابقة ، أو الحديث عن العبادات ، ويعتقد الباحث أن هناك خبرين يتحدث عنهما القرآن بوساطة التصوير ، هذان الخبران يطغى في الخبر الأول الزمان على المكان ، حتى ليكاد المكان يختفي كلياً ، إلا من بعض التلميحات التي يشاركه فيها الحدث ، وأما الخبر الثاني ، فإن المكان يكون هو الأظهر في الأحداث ، وتكون السلطة له ، بينما لا يكون للزمان ذكر ، إلا في الحديث عما مضى من الأحداث ، وهذان الخبران هما القيامة والجزاء .

والذي يهم الباحث ، هو الحديث عن القيامة وأهوالها ، ويلحظ أن الزمان له الجانب الأعظم ، وقد جاءت الألفاظ التي تتحدث عن ذلك اليوم ، تحمل بين طياتها عوامل الزمن للدلالة على المستقبل المجهول، وفي الوقت نفسه ، لم تأتِ هذه الألفاظ على نمط واحد للدلالة على ذلك اليوم ، بل تعددت ، حيث جاءت الألفاظ بعدّة صفات ، جميعها تحمل معاني متقاربة ، تنبئ عن مستقبل مجهول ، يبعث على الخوف ، والفزع ، والروع في نفسية القارئ والمتلقي ، وهذه الأساليب والصفات هي :

١ ـ ألفاظ حاملة معاني الزمن ، مثل (الساعة) ، ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَاء اللّهِ حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلاَ سَاء مَا يَزِرُونَ ﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ (٢) ، و قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾(٣)

.....

١ ـ الأنعام : ٣١

٢ ـ الحجر : ٨٥

٣ ـ الزخرف : ٦٦

© Arabic Digital Library Yarmouk University

٢ ـ استعمال (إذا) الظرفية للدلالة على الزمن المستقبل المتيقن وقوعه (١) ، ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجّاً ﴾ (٢) ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا السَّمَاء فُرِجَتْ ﴾ (٣) ، وفي القرآن الكريم كثير من الأمثلة التي استعملت فيها (إذا) للدلالة على المستقبل " الأصل في استعمال (إذا) أن تكون لزمن من أزمنة المستقبل مختص من بينها بوقوع حدث فيه مقطوع بوقوعه في اعتقاد المتكلم " (٤) .

٣ ـ إضافة ظرف الزمان (يوم) إلى الأسماء ، مثل (اليوم الموعود ، اليوم الآخر ، يوم القيامة) ومثال ذلك من قوله تعالى : ﴿ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴾ (٥) ، وقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (٦) ، وقوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴾ (٧) .

٤ ـ استخدام ألفاظ تدل على المكان ظاهرياً ، لكن القرآن نقل دلالتها من المكان إلى الزمان ، ومثال ذلك استعمال (المرسى) الذي يُعدُّ للمكان أصلاً ليصبح دالاً على زمان الشيء ، ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿وَقَالَ ارْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ اللّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٨) ، يقول الزمخشري : " وكلُّ شيءٍ ثقيل رُسوُّه ثباته واستقراره، ومنه رسا الجبل، وأرسى السفينة " (٩) ، ويقول أيضاً : " كما أن مرسى السفينة مستقرها حيث تنتهي إليه " (١٠) ، ويرى ابن

---

١ ـ انظر : دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، محمد عبدالخالق عضيمة ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٦٩/١ ، ١٧٣

٢ ـ الواقعة : ٤

٣ ـ المرسلات : ٩

٤ ـ دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، محمد عبدالخالق عضيمة ، ١٧٣/١

٥ ـ البروج : ٢

٦ ـ البقرة : ٨

٧ ـ القيامة : ٦

٨ ـ هود : ٤١

٩ ـ الكشاف : ٢٢٤/٢

١٠ ـ الكشاف : ٥٤٢/٤ ، انظر : روح المعاني ، الألوسي : ٣٧/٣٠

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

عاشور أن الرسو يكون للمكان الذي تستقر في السفينة بعد الجريان ، وإن استعمال الرسو فيه استعارة تشبيهاً لوقوع الأمر ، وفي ذلك يقول : " والمُرسى مصدر ميمي من الإرساء وهو الإقرار يقال رَسَا الجبل ثبت ، وأرساه أثبته وأقره ، والإرساء الاستقرار بعد السير كما قال الأخطل .

وقال رائدُهم وأرْسُوا نزاولُها

ومرسى السفينة استقرارها بعد المجرى قال تعالى ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ ، وقد أطلق الإرساء هنا استعارة للوقوع ، تشبيهاً لوقوع الأمر الذي كان مرتقباً أو مترددًافيه ، بوصول السائر في البر أو البحر إلى المكان الذي يريده " (١) ، إلا أن القرآن الكريم نقل معنى المرسى من الدلالة المكانية إلى الدلالة الزمنية ، يقول تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا﴾ (٢) ، ويرى الزمخشري أن استعمال الرسو للشيء دليل على ثقله ، ولذلك خُصت الساعة بهذه اللفظة للدلالة على ثقلها " ولا أثقل من الساعة بدليل قوله تعالى : ﴿ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ "(٣) ، ويقول الألوسي : " وتقدير الاستفهام بمتى ، يقتضي أن المرسى اسم زمان " (٤) ، ويقول ابن عاشور : " وعلم الساعة ، هو علم تحديد وقتها كما ينبئ عنه السؤال " (٥) ، وشبيه مما سبق نجده في قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴾ (٦) .

ويعتقد الباحث أن الاستفهام جاء للدلالة على زمان قيام الساعة ، وبذلك يكون المرسى اسم زمان .

---

١ ـ التحرير والتنوير : مج٥ ، ٢٠١/٩، ٢٠٢

٢ ـ الأعراف : ١٨٧

٣ ـ الكشاف : ٢٢٤/٢

٤ـ روح المعاني : ٣٧/٣٠

٥ ـ التحرير والتنوير : مج٥ ، ٩/ ٢٠٢

٦ ـ النازعات : ٤٢

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٥ ـ على الرغم من بروز تجليات الزمان في أحداث يوم القيامة بشكل كثيف ، وبنمط عجيب ، على تنوع أشكالها ، واختلاف أنواعها ، إلا أن القرآن الكريم لم يكتفِ بما سبق في بيان أهمية الزمن في ذلك الوقت ، بل نجد أن هناك ظاهرة أسلوبية جديدة ، لا يمكن الكشف عنها إلا بعد طول تمعن ، وإدراك لمفهوم القول ، وهذه الظاهرة فيها ذكر واضح للزمان بوساطة استعمال بعض الأدوات الدالة عليه ، إلا أنها في الوقت نفسه تخفي بين طياتها دوراً آخر للزمان ، يرتبط بصورة فاعله بتسلسل الأحداث بطريقة تعتمد على الحدث نفسه ، ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ إِذَا السَّمَاء انفَطَرَتْ ﴾ (١) ، وقوله تعالى : ﴿ إِذَا السَّمَاء انشَقَّتْ ﴾ (٢) ، وقوله تعالى : ﴿وَإِذَا السَّمَاء فُرِجَتْ ﴾ (٣) ، فقد أراد القرآن الكريم أن يتسلسل بأحداث يوم القيامة بطريقة تنبئ عن ترابط الأحداث بعضها مع بعض ، وبمعنى آخر ، إن استعمال القرآن للأفعال (انفطرت) و(انشقت) و(انفرجت) ، تحمل داخل كل منها زمان ، يرتبط ارتباطا وثيقاً بزمن الحدث ، إضافة إلى ترابطها مع الفعل السابق لها والفعل اللاحق بها .

وإذا ما تجلى الحدث بوساطة الزمان ، نلحظ أن المكان له من الأهمية ما للزمان في بيان هول ذلك اليوم ، ذلك بما يجري على المكان الذي كان الإنسان يتخذه ملاذاً، أو يعدّه نموذجاً للثبات والقوة ، أو ينظر إليه بكونه رمزاً للإعجاب ، كل ذلك يتشقق ، ويتمزق ، ويصبح هباءً منثورا ، حيث تُكشط السماء ، وتبدل الأرض ، وتُمحى الجبال ، وتفجر البحار ، بأحداث لها وقعها في تسارع الزمان ، وانحلال المكان ، ويصبح الإنسان في وضع لم يعهده من قبل ، بما أصابه من ذهول ، وسيطر عليه من خلجات ، يقول سيد قطب : " والذي يميز الإنسان عن الحيوان ، هو شعوره باتصال الزمان والأحداث والغايات . وبوجود الهدف والغاية من وجوده الإنساني ، ومن الوجود كله من حوله . وارتقاؤه في سلم الإنسانية ، يتبع نمو شعوره هذا وسعته ، ودقة تصوره لوجود الناموس ، وارتباط الأحداث ، والأشياء بهذا الناموس . فلا يعيش عمره لحظة لحظة ، ولا حادثة حادثة ، بل يرتبط في تصوره الزمان ، والمكان ، والماضي ، والحاضر ، والمستقبل . ثم

.....

١ ـ الانفطار : ١

٢ ـ الانشقاق : ١

٣ ـ المرسلات : ٩

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يرتبط هذا كله بالوجود الكبير ونواميسه . ثم يرتبط هذا كله ، بإرادة عليا خالقة مدبرة ، لا تخلق الناس عبثًا ، ولا تتركهم سدى . " (١) .

وإذا كان لتسلسل الأحداث من الأهمية في بيان قوة الزمن ، وأهميته في ذلك الموقف ، نجد أن التفاعل بين الماضي والمستقبل ، ينمو بشكل غريب، ذلك بما أصبغه القرآن من لفتات جميلة ، توحي بانسياب الأحداث نحو مستقبل مجهول ، يظهر بوساطة ماضٍ معلوم ، هذا الجانب قد كان له الأثر الكبير في بناء أحداث ذلك المستقبل على الرغم من أن عدم الإدراك لوقته وزمانه ، إلا أن القرآن الكريم أراد أن يعرض ذلك الأمر ؛ ليوضح أهمية الزمن الماضي لمعرفة الزمن المستقبل ، يقول تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۞ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ۞ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۞أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ۞ يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ۞ أَئِذَا كُنَّا عِظَاماً نَّخِرَةً ۞ قَالُوا تِلْكَ إِذاً كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۞ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۞ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴾(٢).

يبدأ عرض القرآن ببيان أحداث المستقبل ، هذا المستقبل الغامض المجهول ، ليس عند الإنسان أي علم بمجرياته وأحداثه ، لكن القرآن الكريم استحضر ما سيكون في المستقبل ، ثم يعود القرآن في ربط أحداث المستقبل بما مضى من الأحداث ، ليوحي أن الزمن مرتبط بعضه ببعض ، في بيان لما ينتظر الإنسان في ذلك اليوم ، فعمل الماضي يوحي إلى حال المستقبل ، يقول تعالى : ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ۞ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۞ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ۞ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى ۞ وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ۞ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى ۞ فَكَذَّبَ وَعَصَى ۞ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى ۞ فَحَشَرَ فَنَادَى ۞ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ۞ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى۞ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى ﴾(٣).

---

١ ـ في ظلال القرآن ، سيد قطب ، مج ٨/ ج٢٩/ ص : ٣٨٧، ٣٨٨

٢ ـ النازعات : ٦ ـ ١٤
٣ ـ النازعات : ١٥ ـ ٢٦

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

هذا التنوع الجميل في الانتقال من حدث إلى آخر ، يعطي ترابطاً جميلاً لعنصر الزمان الذي وقعت فيه الأحداث فيما مضى ، مع المستقبل الذي يكون فيه الحدث في انتظار الوقت لوقوعه ، ولم يكتف القرآن الكريم في هذا التنقل في التاريخ ، بل يزهو المنظر بواقع الحال ، وهو الزمن الحاضر ، وفي ذلك يقول تعالى : ﴿ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاء بَنَاهَا۞ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا۞ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا۞ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ۞ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءهَا وَمَرْعَاهَا۞ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا۞ مَتَاعاً لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾(١).

ثم في لحظة سريعة ، يعود القرآن الكريم إلى الحديث عن يوم القيامة ، وكأنه يوحي بسرعة حدوث ذلك اليوم ، دون أن يشعر به الإنسان ، فلا حساب له في منظومة الزمان ، يقول تعالى : ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَاء اللّهِ حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلاَ سَاء مَا يَزِرُونَ﴾(٢) ، ويقول تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾(٣) ، يأتي الحديث مرّة أخرى في تناول أحداث يوم القيامة في لحظة سريعة، ليس لها حساب عند الإنسان ، لكن في الوقت نفسه ، يربط زمن قيام الساعة بالزمن الماضي الذي قضاه الإنسان في دنياه ، يقول تعالى : ﴿فَإِذَا جَاءتِ الطَّآمَّةُ الْكُبْرَى۞ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَى﴾(٤).

---

١ ـ النازعات : ٢٧ ـ ٣٣

٢ ـ الأنعام : ٣١

٣ ـ الأعراف : ١٨٧

٤ ـ النازعات : ٣٤ ، ٣٥

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولم يتوقف القرآن الكريم عند هذه اللحظات في بيان الإحداث التي يمر بها الإنسان ، بل تعدى ذلك إلى التوسع في الحديث عن يوم القيامة ، بما يصاحبه من زمان سريع ، ولحظات خاطفة ، يوضّح بوساطتها مدى أهمية الزمان الباقي لقيام الساعة، هذا الزمان الذي لم يلقَ أي اهتمام عند الإنسان ، زمان لم يحرص عليه في دنياه ، يعرض القرآن ذلك في أثناء الحديث عن موعد قيام الساعة ، يقول تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنْ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۞ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا ۞ إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ۞ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا ۞ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾ (١).

ويستعرض القرآن الكريم الزمان بالنسبة للإنسان ، هذا الزمان الذي أمضاه في الدنيا ، سواء أكان على ظاهرها أم في باطنها ، فإنه لا يتعدى ساعة دنيوية في حسابهم ، وفي ذلك دلالة على سرعته في الانقضاء والانتهاء ، ولذلك عبّر عنه سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾ ، فذكر العشية أو الضحا دلالة على قصر الوقت ، ولم يتوقف القرآن الكريم لبيان مضاء الوقت عند العشية والضحا ، يقول القرطبي : " كأنهم يوم يرونها ؛ يعني الكفار ، يرون الساعة لم يلبثوا في دنياهم ، إلا عشية ؛ أي قدر عشية ، أو ضحاها ؛ أي قدر الضحا الذي يلي تلك العشية ، والمراد تقليل مدة الدنيا " (٢) ، فكل من العشية والضحا متممان لليوم الواحد عند ابن كثير " أما العشية ، فما بين الظهر إلى غروب الشمس ، أو ضحاها بين طلوع الشمس إلى نصف النهار "(٣) ، ومعنى ذلك ، أن تقديرهم لحياتهم في الدنيا، أو في القبر كانت مدة يسيرة ، وقد وصفها القرآن بالساعة دلالة على قصر مدتها ، وشبيه بذلك ، نجده في قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُواْ إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَاء اللّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ (٤) ، ويقول تعالى : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ

---

١ ـ النازعات : ٤٢ ـ ٤٦

٢ ـ الجامع لأحكام القرآن ، ٢١٠/١٩

٣ ـ تفسير القرآن الكريم : ٤٧٠/٤

٤ ـ يونس : ٤٥

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (١) ، وشبيه من ذلك قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً ۞ يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْراً ۞ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْماً﴾ (٢).

لقد عبّر القرآن الكريم عن الزمن بقصر المدة ، وربما يعود ذلك إلى جانب من جوانب ثلاثة، أولها : يعود إلى شدّة العذاب وهوله حين يرونه، ولذلك أبعدهم المنظر عن مدة مكثهم في الدنيا ، يقول الثعالبي : " والمعنى أنه لهول المطلع ، وشدة ذهاب أذهانهم ، قد عزب عنهم مدة لبثهم " (٣) ، وثانيها : أن الدنيا وأيامها قليلة بالنسبة للآخرة ، ذلك أن ما مضى لا يُعدُّ ولا يُحسب ؛ لأنه انقضى ، ولا عودة له ، أما الحساب فيكون لما هو آتٍ ، وفي ذلك يقول ابن الجوزي : " لأن ما مضى ، كأنه لم يكن ، وإن كان طويلاً ، وقيل : لأن مكثهم في الدنيا قليل في جنب مكثهم في عذاب الآخرة " (٤) .

أما الجانب الثالث ، فهو جانب يتعلق بمرحلة بين مرحلتين ، وإن كان متعلقاً في الظاهر في الدنيا ، إلا أنه يُعدّ مرحلة عبور للآخرة ، وهو مرحلة القبر ، ويرى أبو السعود أن مرحلة القبر هي المعنية بقصر المدة ، يقول في ذلك : " أي عشر ليالي لمدة لبثهم فيها ، أو لاستطالتهم مدة الآخرة ، أو لتأسفهم عليها لما عاينوا الشدائد ، وأيقنوا أنهم استحقوها على إضاعتها في قضاء الأوطار ، وإتباع الشهوات ، أو في القبر وهو الأنسب بحالهم ، فإنهم حين يشاهدون البعث الذي كانوا ينكرونه في الدنيا ، ويعدونه من قبيل المحالات ، لا يتمالكون من أن يقولوا ذلك اعترافاً ، به ، وتحقيقاً لسرعة وقوعه ، كأنهم قالوا : قد بعثتم ، وما لبثتم في القبر إلا مدة يسيرة " (٥) .

كل ما ذُكر ، يوحي بقصر المدة التي يعاينها الكافرون يوم القيامة ، وكأننا نواجه اختزالاً للزمن ، أما في جانب آخر ، فإننا نشعر بوصف لمدة مكثهم في الدنيا بالقصيرة ، دليل على طول مكثهم في الآخرة ، وهذا الجانب هو الذي يضفي دوراً للزمن ، يقضي بأن يكون الزمن هو العامل الذي يتحكم بدور السيطرة على الأحداث .

.....

١ ـ الأحقاف : ٣٥
٢ ـ طه : ١٠٢ ـ ١٠٤
٣ ـ الجواهر الحسان في تفسير القرآن : ٣٩/٣
٤ ـ زاد المسير في علم التفسير : ٣٩٣/٧
٥ ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم : ٤١/٦

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويعتقد الباحث أن عامل الزمن يضطلع بمهام كثيرة في تصوير أحداث يوم القيامة ، وقد أوضح القرآن هذه الأهمية بوساطة جوانب ثلاثة ، أولها : هو البيان والتوضيح ليوم القيامة ، وثانيها : القائم بالأحداث، أما ثالثها : وهو الزمن الخفي ، ويعني الباحث بذلك موعد قيام الساعة .

وإذا ما أنعمنا النظر في قوله تعالى : ﴿ إِذَا السَّمَاء انفَطَرَتْ ﴾(١) ، وقوله تعالى : ﴿ إِذَا السَّمَاء انشَقَّتْ ﴾ (٢) ، وقوله تعالى : ﴿وَإِذَا السَّمَاء فُرِجَتْ ﴾(٣) ، نجد أننا أمام توقيت جديد لبداية الحدث ، فالحدث مرتبط بزمان معين ، وهذا الزمان ينتظر وقت حدوثه ، ومعنى ذلك أن السماء تنتظر الزمان للانشقاق أو الانفطار ... الخ ، ومرة أخرى ، نجد في القرآن ، أن الزمان ينتظر الحدث في القيام بمهامه ، وهو الإخبار عما جرى في الماضي من الأحداث ، ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۞ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۞ وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ۞ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۞ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾(٤) ، يقول الزمخشري : " وقيل ينطقها الله على الحقيقة وتخبر عما عُمل عليها من خير وشر " (٥) .

وقد استند المفسرون في آرائهم السابقة على ما ورد عن رسول الله ـ ﷺ ـ حين قرأ قوله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ ، حيث قال : " أتدرون ما أخبارها ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : فإن أخبارها ، أن تشهد على كل عبد ، أو أمة ، بما عمل على ظهرها ، أن تقول : عُمل كذا، وكذا ، يوم كذا ، وكذا ، قال : فهذه أخبارها " (٦) .

.....

١ ـ الانفطار : ١

٢ ـ الانشقاق : ١

٣ ـ المرسلات : ٩

٤ ـ الزلزلة : ١ـ ٥

٥ ـ الكشاف : ٦٢٠/٤ ، انظر التفسير البياني للقرآن الكريم ، عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ) ٨٧/١ انظر : التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ، محمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي ، دار الفجر للتراث ، القاهرة ، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠ ، ط١ ، تحقيق : جامد احمد الطاهر البسيوني : ١٨٧

٦ ـ سنن الترمذي ، الترمذي ، دار إحياء التراث ، د . ت ، د. ط ، رقم الحديث : ٢٣٥٣ ، باب صفة الجنة .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أما الجانب الثاني ، وهو ما يتصل بدور الزمن ، بكونه القائم بالأحداث ، فنجد ذلك في قوله تعالى : ﴿ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْراً ۞ خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاء لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلاً ۞ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً ۞ يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْراً ۞ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْماً ۞ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً ۞ فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً ۞ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلَا أَمْتاً ۞ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً ۞ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً ۞ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً ۞وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً ﴾(١) ، ويقول تعالى : ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ۞ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ۞ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ۞ يَوْمَ تَشَقَّقُ الأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ (٢) ،

فدور الزمن ، يتمثل في السيطرة على الحدث ، فلا يتجاوز الحدث دور الزمن ، بل إن الحدث لا يستطيع القيام بأي حركة ، إلا بعد أن يأذن له الزمان بذلك ، فنجد ذلك واضحاً عند عرض القرآن لبعض الأحداث ، التي لا تتم إلا بعد أن يأتي موعدها ، ويمكن توضيح ذلك ، بوساطة آيات سورة طه ، فالقرآن يربط حمل الأوزار على ظهور المعرضين عن عبادة الله ، بالوقت الذي تقوم فيه الساعة ، وكذلك لا يقوم الحشر ، إلا بعد أن يأتي موعد النفخ في الصور ، وكأن النافخ في الصور ، ينتظر مجيء ذلك اليوم ، وإذا ما استمرت سيطرة الزمان ، فإن الزمان يقدم للشفاعة من يستحقها في النوال .

---

١ ـ طه : ١٠٠ ـ ١١١

٢ ـ ق : ٤١ ـ ٤٤

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وإذا ما تجاوز البحث آيات سورة طه إلى آيات سورة ق ، فإن الزمن يتجلى في الظهور والسيطرة على الأحداث، إذ أن النداء والصيحة ، لا يقومان حتى يأتي موعدهما في ذلك اليوم ، فعند مجيء زمان ذلك اليوم ، تتسلسل الأحداث من النداء إلى الصيحة ، ثم الخروج للحشر ، فالحشر لا يتم إلا بعد أن يأتي الموعد لذلك اليوم .

أما الجانب الثالث ، وهو ما أطلق عليه الباحث الزمن الخفي ، فهذا الزمن لا يعلمه إلا الله ـ ﷻ ـ وهو زمن قيام الساعة ، ولم يخبر عن موعده أحداً ، وهو من الغيبيات الخمسة التي جعلها الله من علمه وحده ، يقول تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (١) ، ويقول تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللّهِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (٢) ، فعلم الساعة علم لا يدركه أحد ، إنما جعل له سبحانه وتعالى بعض الدلائل ، التي تخبر عن قرب موعده ، وفي الوقت نفسه ، جعل حدوثه فجأة ، يقول تعالى : ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاء أَشْرَاطُهَا ﴾ (٣) .

أما المكان ، فلم يكن له ذكر صريح ، بل نجد أن الحشر يتم بوساطة الحدث ، سواء أكان دالاً على الماضي مثل قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً﴾ (٤) ، يقول الزركشي : " والفائدة في الفعل الماضي ، إذا أخبر به عن

.....

١ ـ لقمان : ٣٤

٢ ـ الأعراف : ١٨٧

٣ ـ محمد : ١٨

٤ ـ الكهف : ٤٧

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المستقبل ، الذي لم يوجد ، أنه أبلغ ، وأعظم موقعاً ؛ لتنزيله منزلة الواقع " (١) ، أو بصيغة المضارع ، كما في قوله تعالى : ﴿وَمَن يَهْدِ اللّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاء مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً﴾ (٢) .

إن للزمان مكانة مهمّة في عرض الأحداث ، وإخراجها في صورة تقرب المشهد ، وتجليه، وتكشف مراميه ، فهي تعطي للحدث صبغة خاصة ، تشير للوقت الذي يقع فيه ، وتضفي على الجو العام ظلاله ، فتوحي بأبعاد دلالية ، تسمح بوساطتها للتأويل ، فالزمن ـ يوم القيامة ـ إما أن يكون حاملاً للحدث ، أو أن يكون الحدث حاملاً له ، أو لا يكون حاملاً ولا محمولاً ، وهذا النوع هو الذي لا يمكن الحديث عنه ، فهو بيد الله ـ ﷻ ـ وإخفاؤه لحكمة لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى .

ويعتقد الباحث ، إن الزمان في خطاب التهويل الذي يتحدث عن أهوال يوم القيامة هو المهم ، ووجوده أكثر أهمية من المكان ، بينما نجد أن المكان في خطاب الجزاء ، الذي يتحدث عن النعيم والعذاب، ذو أهمية عظيمة، وله من الأثر الكبير الذي يطغى على دور الزمان في ذلك الخطاب ؛ لأن الزمن في ذلك الخطاب ، لا يكون له أثر يُذكر ، إلا في حالة ذكر الماضي سواء لأعمال أهل الجنة أو أهل النار في الدنيا ، وفي ذلك يقول الرسول الكريم ـ ﷺ ـ : " يقال لأهل الجنة : يا أهل الجنة خُلودٌ لا موت ، ولأهل النار يا أهل النار خلود لا موت " (٣) .

---

١ ـ البرهان في علوم القرآن : ٣٣٧/٣

٢ ـ الإسراء : ٩٧

٣ ـ صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري ، كتاب الرّقاق ، رقم الحديث : ٦٥٤٥

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المطلب الثالث : تصوير العواطف والانفعالات والحالات النفسية :

تظهر في هذا النوع من الخطاب العواطف والانفعالات ، وضوحاً ظاهراً شاخصاً ، حين تبرز بوساطة الملامح ، والحركات بمختلف أنواعها من حيرة، وقلق ، وخوف ، وحزن ... الخ ، حتى أن المتلقي يشعر بكل خلجات نفسه ومكنوناتها ، تلك الحالة ، التي تسيطر على أصحاب هذه الانفعالات والمشاعر ، وكل ذلك عائد إلى دقة الوصف ، وروعة التعبير ، التي انتهجها القرآن الكريم لبيان تلك المشاعر والأحاسيس .

ولم يكن هذا التصوير للانفعالات والعواطف في خطاب التهويل ، هو الأول من نوعه في القرآن الكريم ، بل نجد أن هناك حالات قد نقلها القرآن الكريم بالطريقة نفسها ، على رغم من أن اختلاف مرحلتها الزمنية ، ومثال ذلك تصوير حالة عدم الرضا عن المولود الأنثى في الجاهلية ، والكره له ، فقد صور الوالد بحالة من الغضب حين يُبْشر به ، وحالة القلق لمستقبله ، وفي ذلك يقول تعالى:﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ (١) ، ولم يتكلم القرآن الكريم بوساطة التعبير المباشر ، بل وضح من خلال الملامح التي رسمها لوجه الوالد الذي خيم عليه لون السواد ، دلالة على الكره لهذه البشرى .

ومن حالات الحزن التي صوّرها القرآن الكريم بأسلوب جميل ، وأظهرها بمنظر يتحدث عن المشاعر التي تضفي بظلالها على ذلك الموقف ، حيث تظهر فيه قوة العرض لذلك المشهد بما يخيم عليه من حزن يشوبه الألم والغضب ، مشهد حزن يعقوب على يوسف (عليهما السلام) ، يقول تعالى : ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (٢) .

ومن المشاهد الحاملة لمشاعر الخوف والرعب ،نجد ذلك في قوله تعالى : ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً۞ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً۞ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً۞

---

١ ـ الزخرف : ١٧

٢ ـ يوسف : ٨٤

© Arabic Digital Library Yarmouk University

قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيّاً ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً﴾ (١)، فها هي مريم تختلي بنفسها عن البشر، وتلتجئ إلى مكان ، تجد فيه الأمن ، والطمأنينة ، والراحة النفسية ، ولكن فجأة يتبدد كل ذلك الاستقرار ، ويتحول إلى خوف ، ورعب ، وهلع ، باقتحام رجل غريب تلك الخلوة كما تصورت ، لكن الرجل يخبرها بسبب وجوده ، وأنه مرسل من الله ـ عز وجل ـ إليها ، لكن مريم ، لم تستطع أن تتخلص من ذلك الخوف ، بل يزداد ذعرها ورعبها من المستقبل الذي ينتظرها ، وخاصة أنها كانت في قومها ، المثل الأعلى في العفة والطهارة .

إذاً ، القرآن الكريم لم يتكلم عن الأحداث بالكلام المباشر ، بل نجد أنه كثيراً ما يتحدث عنها بوساطة التصوير من أجل تحريك عواطف المتلقي وانفعالاته ، وخاصة حين يكون الحديث عن يوم القيامة ، أو الحديث عن النعيم أو العذاب .

فالقرآن بوساطة معانية يخاطب الذهن والإدراك ، لينفذ من خلاله إلى المشاعر والأحاسيس ، ليصل في آخر المطاف إلى النفس الإنسانية ، تلك النفس التي تقوم بدور كبير في تسيير الإنسان ، لكن التأثير لا يتحصل للنفس بوساطة المعاني فقط ، بل نجد أن هناك بعض المواقف استخدمها القرآن ، والتي تحتوي على تأثيرات جانبية ، لا تقل أهمية عن تأثير المعاني نفسها ، ولكن وجودها مع المعاني تعطي للموضوع جمالاً عظيماً ، وهذه التأثيرات تصل إلى النفس من منافذ عدّة ، مثل التخييل والإيقاع ، يقول سيد قطب : " إن المعاني في الطريقة الأولى ، تخاطب الذهن والوعي ، وتصل إليهما مجردة من ظلالها الجميلة. وفي الطريقة الثانية ، تخاطب الحس والوجدان ، وتصل إلى النفس الإنسانية من منافذ شتى : من الحواس بالتخييل والإيقاع ، ومن الحس عن طريق الحواس ، ومن الوجدان المنفعل بالأصداء والأضواء . ويكون الذهن منفذاً واحداً من منافذها الكثيرة إلى النفس ، لا منفذها المفرد الوحيد " .(٢)

فالعواطف والانفعالات هي الأساس التي يخاطبها القرآن ، عندما يصور مشاهد ذلك اليوم بأهواله ، بسبب ما أصاب السماء من اضطراب بعد السكون ، وما حدث للأرض من حركات بعد الثبات ، وكيفية اختفاء الجبال بعد الظهور والبروز ، وما أصاب الإنسان من هول ، وروع

.....

١ ـ مريم : ١٦ ـ ٢٠

٢ ـ مشاهد القيامة في القرآن : ٨

© Arabic Digital Library Yarmouk University

بعد السكينة والأمان ... الخ ، وما يصاحب هذه المشاهد من إيقاع سريع ، وما ينتج عن كل ذلك من تخييل للموقف ، كل ذلك يلقي بظلاله على المتلقي ، ليحدث في نفسيته خوف ، وفزع دائمين من هول ذلك اليوم .

وإذا ما أنعمنا النظر في هذه المشاهد ، نلحظ أن القرآن الكريم ، قد سلط الضوء على الأحاسيس والمشاعر ، التي تصاحب ذلك الموقف ، وكيف أن الإنسان في ذلك اليوم يتخلى ببساطة ، عما كان يفتخر به في دنياه ، ويهرب من أقربائه ، وأهله ، وعشيرته ... الخ ، ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ۞ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ۞وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ۞ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ (١) ، هذه حالة الإنسان يوم القيامة ، فمشاعر الخوف والفزع من هول ذلك اليوم ، تجبره على الفرار من أخيه ، ثم أمه وأبيه ... الخ ، وقد بدأ بالأخ ، وانتهى بالولد خوفاً من المسؤولية في الدنيا ، ثم أن هناك ما يشغله عن أمور الدنيا وعلاقاتها ، يقول الزمخشري : " (يفر) منهم لاشتغاله بما هو مدفوع إليه ، ولعلمه أنهم لا يغنون عنه شيئاً . وبدأ بالأخ ثم الأبوين لأنهما أقرب منه ، ثم بالصاحبة والبنين لأنهم أقرب وأحب ؛ كأنه قال : يفر من أخيه بل من أبويه بل من صاحبته وبنيه ، وقيل : يفرّ منهم حذراً من مطالبتهم بالتبعات . يقول الأخ : لم تواسني بمالك ! والأبوان قصرت في برّنا ! والصاحبة : أطعمتني الحرام وفعلت ، وصنعت ، والبنون : لم تعلمنا ولم ترشدنا " (٢) .

فمشاعر الحب والحنان التي كانت في الدنيا ، لم يبق لها وجود في الآخرة ، بعد أن امتزجت بمشاعر الخوف والرعب من هول ذلك اليوم ، حيث يصبح الحب كرهاً وبغضاً ، والأنس خوفاً ، والألفة نفوراً؛ وكأن الإنسان ينسلخ عن ماضيه ، ويفر عما هو منه أصلاً ، فالمستقبل الجديد يشغله عما مضى من أحداث ، ينقل إلينا القرآن الكريم ذلك ـ سعياً منه لإثارة النفوس ـ بأسلوب عجيب، حيث يصف الحدث مجسداً كأنه واقع نشاهده بأم أعيننا ، فتتأثر به أنفسنا ومشاعرنا وتنجذب إليه أحاسيسنا وأهواؤنا ، الأمر الذي يجعلنا نعايش تلك الفترات العصيبة ، ونراها أكثر مما نسمعها ، فرؤية العين أوقع في النفس تأثيراً من سماع الأذن .

وإذا ما سار بنا البحث في التعمق في الآيات القرآنية ، نجد أنفسنا أمام مشهد ذات وقع عظيم على النفوس ، يبعث الخوف والفزع في القلوب ، فالقرآن الكريم لم يأتِ على الهول بأسبابه

.....

١ ـ عبس : ٣٤ ـ ٣٧

٢ ـ الكشاف : ٥٤٨/٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المباشرة ، وإنما تجاوز ذلك إلى الوصف غير المباشر ، بوساطة مشاعر وأحاسيس الناس في ذلك اليوم ، فالعلاقة القائمة على الحنان ليس لها أي معنى ، والأم لا تنظر إلى مولودها ، والمرضع تتجاهل رمز الأمومة ، حتى إن الحامل التي تُسرُّ وتفرح بحملها ، تتنازل عنه بكل بساطة من هول ذلك اليوم ، يقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ (١) .

فمشهد آيات سورة الحج لم يحمل أي وصف ليوم القيامة ، ولم يتحدث عن الأحداث في ذلك اليوم ، بل نلحظ أنه يصف حال الناس في ثلاثة مشاهد ، جميعها تتحرك ضمن إطار معين ، فبدأ بمشهدين عظيمين ، يصوران حالة الأم خاصة في ذلك اليوم ، ثم بعد ذلك تحدث عما يشعر به الناس عامة ، وقد بدأ بالأم المرضعة ؛ لما تمتاز به من الشفقة الكبيرة على رضيعها ، يقول ابن كثير : " تذهل كل مرضعة عما أرضعت ؛ أي فتشتغل لهول ما ترى ، عن أحب الناس إليها، والتي هي أشفق الناس عليه ، تدهش عنه في حال إرضاعها له ، ولهذا قال كل مرضعة ، ولم يقل مرضع ، وقال : عما أرضعت ؛ أي عن رضيعها قبل فطامه " (٢) ، ويقول ابن عاشور : " وذلك أن المرأة لشدّة شفقتها ، كثيرة الاستحضار لما تشفق عليه ، وأن المرضع أشدّ النساء شفقة على رضيعها ، وأنها في حال ملابسة الإرضاع ، أبعد شيء عن الذهول ، فإذا ذهلت عن رضيعها في هذه الأحوال ، دلّ ذلك على أن الهول العارض خارق للعادة " (٣) .

فالقرآن تناول في عرضه الأحاسيس والمشاعر التي تختلج الصدور في ذلك اليوم ، لبيان شدّته وهوله ، ولم يقف عند حال المرضعة ومشاعرها ، وهي الأكثر إشفاقاً لرضيعها ، بل تجاوز ذلك إلى حامل ، التي تضع حملها قبل تمامه (٤) ، فهول ذلك اليوم ، أدى إلى إسقاط الحامل لحملها ، الذي يُعدُّ رمزاً لأنوثتها وأمومتها ، فهي تتحمل الألم والضعف من أجل رؤيته طفلاً ، يقول تعالى : ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ ﴾ (٥) ، ففي ذلك اليوم تتنازل كلُّ أم عن عواطفها ومكنونات

.....

١ ـ الحج : ١، ٢

٢ ـ تفسير القرآن الكريم : ٢٠٦/٣

٣ ـ التحرير والتنوير ، ابن عاشور : مج ٨، ج١٧، ص : ١٩٠

٤ ـ انظر : الكشاف ، الزمخشري : ٢١١/٣

٥ ـ لقمان : ١٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

نفسها ، لما تشاهده من أهوال ، وقد استعمل القرآن الكريم (الذهول) في توضيح شدّة الأمر الذي ألجأ كل مرضعة وحامل إلي هذا الأمر ، " والذهولُ الذهابُ عن الأمر مع الدهشة " (١) .

أما ثالث المشاهد ، فهو يصف مشاعر الناس عامة من هول ذلك اليوم ، وقد وصفهم بالسكارى ، وفي الوقت نفسه أبعد عنهم حالة السكر بالمشروب ، فالدهشة والاستغراب الذي خيم على الناس قد جعلهم في حالة أشبه بحال الذي فقد عقله من الشراب ، لكن القرآن أوضح سبب الحالة التي سيطرت على هؤلاء الناس ، يقول تعالى : ﴿وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ ، يقول الشوكاني : " ولما نفى الله سبحانه عنهم السكر ، أوضح السبب ، الذي لأجله شابهوا السكارى فقال : " ولكن عذاب الله شديد " فبسبب هذه الشدة والهول العظيم ، طاشت عقولهم واضطربت أفهامهم فصاروا كالسكارى بجامع سلب كمال التمييز وصحة الإدراك " (٢) .

ويرى سيد قطب ، أن ما عاينه الناس يوم القيامة من أهوال ، جعلهم يفقدون مشاعرهم وعواطفهم ، التي كانت مصدر ألفتهم وتآلفهم في الحياة الدنيا ، ذلك أنهم بعد رؤيتهم لذاك الهول ، حتى الإدراك ، أصبح بعيداً عنهم على رغم من أن حركتهم طبيعية ، والنظر لا يخدمهم في تحصيل الرؤية ، فهم في حالة غير التي كانوا عليها في الدنيا ، يقول في ذلك : " إذا هو مشهد حافل بكل ، مرضعة ذاهلة عما أرضعت ، تنظر ولا ترى ، وتتحرك ولا تعي . وبكل حامل تسقط حملها للهول المروع ينتابها . وبالناس سكارى وما هم بسكارى ، يتبدى السكر في نظراتهم الذاهلة ، وفي خطواتهم المترنحة . . مشهد مزدحم بذلك الحشد المتماوج ، تكاد العين تبصره لحظة التلاوة ، بينما الخيال يتملاه ، والهول الشاخص يذهله ، فلا يكاد يبلغ أقصاه . . وهو هول حي لا يقاس بالحجم والضخامة ، ولكن يقاس بوقعه في النفوس الآدمية : في المرضعات الذاهلات عما أرضعن ـ وما تذهل المرضعة عن طفلها وفي فمه ثديها إلا للهول الذي لا يدع بقية من وعي ـ والحوامل الملقيات حملهن ، وبالناس السكارى وما هم بسكارى { ولكن عذاب الله شديد } "(٣) .

وإذا كان القرآن قد جعل هول يوم القيامة يفقد الأم حنانها ، وعطفها على رضيعها وجنينها ، فإنه في موقف آخر ، قد جعل الأب يقدم أبناءه فداء له ، وهو الذي كان في الدنيا يكدح ويعمل من أجل أبناءه ، سواء أكان من أجل حمايتهم ، أم تأمين أفضل معيشة لهم ، وفي ذلك اليوم تنقلب الموازين ، وتتساقط المشاعر والأحاسيس ، ويقدم الإنسان أفضل ما لديه ليفتدي به نفسه ، وهم

.....

١ ـ الكشاف ، الزمخشري : ٢١١/٣

٢ ـ فتح القدير : ٤٣٥/٣

٣ ـ في ظلال القرآن مج٥ ، ج٢٧ ،ص : ٥٧٨

© Arabic Digital Library Yarmouk University

الأبناء ثم الصاحبة (الزوجة) ثم الأخ ، ثم العشيرة ، وفي ذلك يقول تعالى : ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاء كَالْمُهْلِ۞ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ۞ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً۞ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ۞ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ۞ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ۞ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنجِيهِ ﴾ (١) .

ويعتقد الباحث ، أن آيات سورة المعارج ، قد جعلت الإنسان في ذلك اليوم يتخلى عن الأحاسيس والمشاعر التي كان يحتفظ بها في دنياه ، فالصورة العامة تنبئ عن خطب عظيم ، وهول جسيم ، تجعل الإنسان مشغولاً بنفسه ، ينسى كل قريب له كان في الدنيا ، يقول ابن كثير : " أي لا يسأل القريب قريبه عن حاله ، وهو يراه في أسوإ (كذا) الأحوال ، فتشغله نفسه عن غيره " (٢) ، ولم ينتهِ الأمر عند عدم السؤال عن الأقارب لهول الموقف ، بل تعدا ذلك ، إلى أن يفتدي الإنسان نفسه بأغلى ما يملك ، فبدأ بالابن ثم الصاحبة ، ثم الأخ ، ثم العشيرة ، ويرى الباحث أن هول الموقف ، قد يجبر الإنسان على تقديم الغالي والنفيس ، للخلاص من ذلك الموقف ؛ لأن الآيات قد بدأت بنفي السؤال بين الأقارب ، وبما أن عدم السؤال يعني عدم الاهتمام لحالهم ، لانشغال كل إنسان بنفسه ، فإن تقديم كل ما ورد ذكره سهل عنده ، من أجل الخلاص من ذلك الموقف .

فالآيات السابقة تسلط الضوء على المشاعر والعواطف الإنسانية ، والكيفية التي انتهت إليها ، فهي في غمرة النسيان والخفاء ، لأن الموقف لا يحتمل أن يجمع الإنسان بين عواطفه وحياته كما في الحياة الدنيا ، لكن هناك بعض المواقف الدنيوية ، قد يتجاوز الإنسان عن أحاسيسه وعواطفه إذا تناقضت في المصلحة مع حياته ، ومثال ذلك ما أخبر عنه سبحانه وتعالى من قتل الأولاد خوفاً من الفقر ، سواء أكان الخطاب موجهاً للأغنياء أم للفقراء ، فالنتيجة واحدة هي قتل الأولاد ، يقول تعالى : ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ (٣) ،

---

١ ـ المعارج : ٨ ـ ١٤

٢ ـ تفسير القرآن العظيم : ٤٢١/٤ ، انظر : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، أبو السعود : ٣١/٩

٣ ـ الأنعام : ١٥١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقوله تعالى : ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إِنَّ قَتْلَهُمْ كَـانَ خِطْءاً كَبِيراً﴾ (١) ، يقول الزركشي : " تقتلوا أولادكم من إملاق (نحن نرزقكم وإياهم) وقال في سورة الإسراء (نحن نرزقهم وإياكم) قدم المخاطبين في الأولى دون الثانية ؛ لأن الخطاب في الأولى في الفقراء بدليل قوله : من إملاق ، فكان رزقهم عندهم أهم من رزق أولادهم ، فقدم الوعد برزقهم على الوعد برزق أولادهم ، والخطاب في الثانية للأغنياء ، بدليل خشية إملاق ، فإن الخشية إنما تكون مما لم يقع ، فكان رزق أولادهم هو المطلوب دون رزقهم ؛ لأنه حاصل، فكان أهم ، فقدم الوعد برزق أولادهم على الوعد برزقهم " (٢) .

وإذا كان حال الإنسان في الدنيا ـ وفي بعض المواقف ـ يتخلى عن عواطفه من أجل مصلحته الشخصية ، فإن التخلي يوم القيامة بعد مشاهدة أهوالها يكون عظيماً ، حتى إنه لا يتخلى عنها ، بل سوف يقدم الغالي والرخيص من أبنائه وأقربائه للفداء من عذاب ذلك اليوم .

وإذا كان القرآن الكريم قد وصف هول ذلك اليوم بما آلت إليه كل من السموات ، والأرض ، والجبال ، وما نتج عنه من أهوال عظام ، أنسى الإنسانية عواطفها ومشاعرها، فإنه ـ القرآن الكريم ـ قد نقل حال الإنسان في ذلك اليوم بما ينتابه من مشاعر الخوف والفزع، بدلالات موحية، ذات أثر عميق في نفسية المتلقي ، فهو يأتي بعرض جديد ، لا ينطبق على المخلوقات العظيمة مثل السماء ، والأرض، والجبال ، بل جعل الإنسان في الاختلاف الحاصل له ، يبث صورة جديدة ، توحي بعظم الحدث وهوله ، فهاهو الإنسان يصل إلى مرحلة التغيّر في الملامح كما تغيرت قبله السماوات والأرض، يقول تعالى في ذلك : ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً﴾ (٣) ، فالهول قد عكس عِظمه وشدّته على الناس جميعاً حتى الصبيان ، فتغيرت لذلك لون شعورهم ، فأصبحت بيضاء بعد السواد ، يقول الزمخشري : " مثلٌ في الشدة يقال في اليوم الشديد : يومٌ يُشيبُ نواصي الأطفال ! والأصل فيه أن الهموم والأحزان إذا تفاقمت على الإنسان أسرع فيه الشيبُ . قال أبو الطيب :

والهمُّ يخترم الجسيمَ نحافةً ويُشيبُ ناصيةَ الصبيِّ ويُهرم " (٤)

---

١ ـ الإسراء :٣١

٢ ـ البرهان في علوم القرآن ، الزركشي : ٢٨٥/٣

٣ ـ المزمل : ١٧

٤ ـ الكشاف : ٤٩٠/٤، ديوان أبي الطيب المتنبي ، بشرح أبي البقاء العكبري ، المسمى (التبيان في شرح الديوان) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م ، ضبط نصح وصححه : كمال طالب ، ١٢٥/٤ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويرى فخر الدين الرازي ، أن سبب شيب الأطفال يوم القيامة عائد إلى أحد أمرين ، أولهما : سببه الأحزان والهموم ، ثانيهما : سببه طول مدة يوم القيامة ، فيبلغ الأطفال الشيب ، يقول في ذلك : " قوله (يجعل الولدان شيبا) وفيه وجهان (الأول) : أنه مثل في الشدّة ، يقال في ذلك اليوم الشديد : يوم يشيّب نواصي الأطفال ، والأصل فيه الهموم والأحزان ، إذا تفاقمت على الإنسان ، أسرع فيه الشيب ... و(الثاني) : يجوز أن يكون المراد وصف ذلك اليوم بالطول ، وأن الأطفال يبلغون فيه أوان الشيخوخة والشيب "(١) .

وإذا ما تجاوز البحث حالة الصبيان ، وتحول شعورهم من السواد إلى البياض بسبب الهول ، أو بسبب طول مدة يوم القيامة ، وما صاحب ذلك من هم وغم ، نجد أنفسنا أمام مشهد جديد يترابط بشكل غير مباشر مع المشهد السابق ، ذلك أنه يتكلم عن أحوال الناس في ذلك اليوم ، بما يصاحب ذلك من علاقات ، وقد أخبر القرآن عن ذلك ، وما تظهر على الناس من الهموم ، حتى إن كل إنسان يُحاكم عما عمله في دنياه ، بعيداً عن عواطف ومشاعر الأبوة ، فليس الأب محل شفاعة لابنه ، وليس للأب أي نوع من العطف والرحمة عند ابنه ، فالمشاعر والأحاسيس ليس لها أي قيمة في هذا الموقف ، وقد تناول القرآن ذلك بكل وضوح ، ليصوّر حالة الإنسان أنه بموقف يوحي بالشدة ، فليس له صاحب يتحمل عنه بعض الأعباء كما في الدنيا ، وقد جاء القرآن الكريم بالوالد والمولود ، ليدل دلالة واضحة على التغيّر الذي حدث في ذلك اليوم بسبب أهواله ، نتج عنه انعدام العلاقات بسبب اختفاء العواطف والأحاسيس ، يقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْماً لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئاً إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ (٢) ، ففي الآية السابقة منهجان دل عليهما القرآن الكريم ، أولهما : أن الخطاب للمؤمنين ، فالمؤمن الأب لا ينفع ابنه بأي نوع من الشفاعة ، وثانيهما : أن المولود لا يغني عن والده شيئاً ، فكل واحد مسؤول عن أعماله في دنياه ، يقول النسفي " يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده، لا يقضى عنه شيئا، والمعنى ، لا يجزى فيه ، فحذف ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ، وارد على طريق من التوكيد، لم يرد عليه ما هو معطوف عليه ؛ لأن الجملة الاسمية آكد من الجملة الفعلية،

---

١ ـ مفاتيح الغيب ، محمد بن عمر بن البكري الطبري ، المعروف بـ (بفخر الدين الرازي)، دار الفكر، بيروت ، ط١ ، ١٤٠١هـ/ ـ ١٩٨١م : ١٨٤/٣٠

٢ ـ لقمان : ٣٣

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد انضم إلى ذلك قوله : هو ، وقوله : مولود ، والسبب في ذلك ، أن الخطاب للمؤمنين ، وعليهم قبض أباؤهم على الكفر ، فأريدهم أطماعهم أن ينفعوا آباءهم بالشفاعة في الآخرة ، ومعنى التأكد في لفظ المولود ، أن الواحد منهم ، لو شفع للأب الأدنى ، الذي ولد منه ، لم تقبل شفاعته ، فضلا أن يشفع لأجداده ، إذ الولد يقع على الولد وولد الولد " (١) ، فالشفاعة للأقارب ، أو حمل الأوزار (الذنوب) عنهم يوم القيامة لا يكون أبداً ، وقد أخبر سبحانه وتعالى عن ذلك بقوله : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ﴾ (٢) ، فكل وزر يحمله صاحبه ، يقول الزمخشري : " فإن قلت : ما الفرق بين معنى قوله ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ وبين معنى ﴿ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ ﴾ ؟ قلت : الأول في الدلالة على عدل الله ، تعالى ـ في حكمه وأنه ـ تعالى ـ لا يواخذُ نفساً بغير ذنبها ، والثاني في أن لا غياث يومئذٍ لمن استغاث ، حتى إن نفساً قد أثقلتها الأوزار، وبهظتها ، لو دعت إلى أن يخفّف بعض وقرها ، لم تُجب ، ولم تُغث ، وإن كان المدعوُّ بعض قرابتها من أبٍ ، أو ولدٍ ، أو أخٍ " (٣) .

وفي بعض الآيات ، صرّح القرآن الكريم في حديثه عن أهوال القيامة ، وحالة الناس حينئذٍ ، بانعدام العلاقات الإنسانية واختفائها ، فلا علاقات نسب تربطهم ، ولا عواطف قربى تجمعهم ، وكل إنسان له من الهموم ما تكفيه ، يقول تعالى : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءلُونَ ﴾ (٤) ، والأخلاء يومئذٍ يتفرقون ، بل يصبح البعض عدو للآخر ، يقول تعالى : ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ۞الْأَخِلَّاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (٥) .

---

١ ـ تفسير النسفي : ٢٨٧/٣

٢ ـ فاطر : ١٨

٣ ـ الكشاف : ٦٢٨/٣ ، ٦٢٩

٤ ـ المؤمنون : ١٠١

٥ ـ المعارج : ١٠

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولم يقف القرآن الكريم على انتهاء العلاقات الإنسانية التي كانت في الدنيا ، بل يصور ما يختلج النفس من مشاعر جديدة ، توحي بعظم الندم الذي يختلج نفس الكافر يومئذٍ ، وهي خلجات الحسرة على ما آلت إليه حالته ، بسبب عناده وتكبره عن طاعة الله ، وعدم إطاعة الرسول ، يقول تعال : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً۞ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً﴾ (١) ، فالندم في أمرين ، أولهما : عدم إتباع الرسول في أوامره ونواهيه ، وثانيهما : الندم على اتخاذ فلان من الناس خليلا ، يقول ابن كثير : " وقوله تعالى : ويوم يعض الظالم على يديه ، الآية ، يخبر تعالى عن ندم الظالم ، الذي فارق طريق الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما جاء به من عند الله من الحق المبين ، الذي لا مرية فيه ، وسلك طريقا أخرى غير سبيل الرسول ، فإذا كان يوم القيامة ، ندم حيث لا ينفعه الندم ، وعض على يديه حسرة وأسفا " (٢) ، ولم يكتفِ القرآن بتصوير مشاعر الندم للكافر ، بل يستمر في العرض ليصل إلى تصوير حالة اليأس ، التي تسيطر على مشاعر الكافر وأحاسيسه ، وما ينتج عن ذلك من التمني لو كان ترابا ، يقول تعالى : ﴿ إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَاباً قَرِيباً يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَاباً ﴾ (٣) ، يقول الشوكاني : " ويقول الكافر : يا ليتني كنت ترابا ، فإن الكافر واقع في مقابلة المرء ، والمراد جنس الكافر ، يتمنى أن يكون ترابا لما يشاهده ، مما قد أعده الله له ، من أنواع العذاب ، والمعنى ، أنه يتمنى أنه كان ترابا في الدنيا ، فلم يخلق ، أو ترابا يوم القيامة " (٤) ، ويقول تعالى : ﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكّاً دَكّاً۞ وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً۞ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى۞ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ (٥) ، فحالة الندم والحسرة على ما قدم في حياته الدنيا من أعمال فاسدة ، ترافقه في الآخرة ، لتبقي نفسيته في عذاب دائم ، يقول ابن

---

١ ـ الفرقان : ٢٧ ، ٢٨

٢ ـ تفسير القرآن العظيم : ٣١٨/٣

٣ ـ النبأ : ٤٠

٤ ـ فتح القدير بين فني الرواية والدراية وعلم التفسير : ٣٧٠/٥

٥ ـ الفجر : ٢١ ـ ٢٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كثير : " يقول يا ليتني قدمت لحياتي ، يعني يندم على كل ما أسلف منه من المعاصي ، إن كان عاصيا ، ويود لو كان ازداد من الطاعات ، إن كان طائعا " (١) ، فالشعور بالندم هو الذي يخيم بظلاله على نفسية الإنسان في الآخرة ، خاصة عندما يجد ما عمل في دنياه حاضراً ، وشاهداً على أعماله الدنيئة ، في ذلك الموقف الرهيب ، الذي يبعث الخوف والروع ، يقول تعالى : ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَاء اللّهِ حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلاَ سَاء مَا يَزِرُونَ ﴾ (٢) ، وشبيه من ذلك قوله تعالى : ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْراً ۞ خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاء لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلاً﴾ (٣) .

ويسترسل القرآن الكريم في كشف نفسيات الكافرين يوم القيامة ، والكيفية التي آلت إليها حالهم في ذلك اليوم الموعود ، بعدما تكبرت وتجبرت على عبادته في الدنيا ، فها هي نفسيات تُذل بلون آخر من ألوان العذاب ، وهو التعب ، والغم ، ومعاينة الشدائد، تظهر نتائجه على أبدانهم ووجوههم ، يقول تعالى : ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً﴾ (٤) ، فأبدان الكافرين زرقاء اللون ، بسبب المعاناة الشديدة التي واجهتها ذلك اليوم ، يقول الألوسي : " كونهم زرق الأبدان، وذلك غاية في التشويه، ولا تزرق الأبدان إلا من مكابدة الشدائد، وجفوف رطوبتها " (٥) ، ولم يبقِ القرآن على حالة واحدة ، لبيان سوء نفسيات الكافرين في ذلك اليوم ، بل تعدى الأبدان إلى الوجوه ، يقول تعالى : ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى اللّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (٦) ، فسواد الوجوه سواء أكان حقيقة

---

١ ـ تفسير القرآن العظيم : ٥١١/٤

٢ ـ الأنعام : ٣١

٣ ـ طه : ١٠٠ ، ١٠١

٤ ـ طه : ١٠٢

٥ ـ روح المعاني : ٢٦٠/١٦

٦ ـ الزمر : ٦٠

© Arabic Digital Library Yarmouk University

أم مجازاً ، فيه دلالة على نفسيات حزينة كئيبة ، يلاحقها الهم والغم من كل صوب ودرب ، يقول الألوسي : " وجوههم مسودة ، بما ينالهم من الشدة ، التي تغيّر ألوانهم حقيقة ، ولا مانع من أن يجعل سواد الوجوه حقيقة ، علامة على غير مترتب على ما ينالهم ، وجوز أن يكون ذلك من باب المجاز ، لا أنها تكون مسودة حقيقة ، بأن يقال : إنهم لما يلحقهم من الكآبة ، ويظهر عليهم من آثار الجهل بالله عز وجل ، يتوهم فيهم ذلك " (١) .

وبما أن الخطاب يصف الحالات النفسية للكافرين يوم القيامة ، فقد لجأ إلى بيان ذلك برسمها على الوجوه ؛ لأن الوجوه هي الأظهر في تصوير الشدّة والكآبة ، فالصفة التي اتصفت بها وجوه الكافرين في ذلك اليوم ، تعطي علامة واضحة على سوء الموقف الذي يتعرضون له ، ولم يبقِ القرآن الكريم على وصف واحد لهذه الوجوه ، بل نوّع في تلك الصفات ، فيصفها مرّة بالمسودة كما في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ (٢) ، وقوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (٣) ، ومرة أخرى يصفها بالعانية ، بمعنى الذليلة ، ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً ﴾ (٤) ، يقول الزمخشري : " وأنهم إذا عاينوا يوم القيامة الخيبة ، والشقاوة ، وسوء الحساب ، صارت وجوههم عانية ، أي : ذليلة خاشعة ، مثل وجوه العناة ، وهم الأسارى : (٥) ، وهناك أوصاف أخرى لهذه الوجوه ، شبيهة بما سبق ، ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴾ (٦) ، " باسرة عابسة

.....

١ ـ روح المعاني : ٢٤/ ١٩

٢ ـ آل عمران : ١٠٦

٣ ـ الزمر ٦٠

٤ ـ طه : ١١١

٥ ـ الكشاف : ١٦٧/٣

٦ ـ القيامة : ٢٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كالحة مغبرة مسودة " (١) ، وقوله تعالى : ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۞ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴾ (٢) ، يقول ابن تيمية : " وهذا كله وصف للوجوه ، لحالها في الآخرة ، لا في الدنيا " (٣) ، فالقترة ، عبارة عن سواد ، توحي بدلالة الكآبة ، والهم لما كان ، أو لما هو آت ، يقول ابن كثير : " وترهقهم ؛ أي تعتريهم ، وتعلوهم ذلة من معاصيهم وخوفهم " (٤) .

ولكي يعطي القرآن الكريم وصفاً أكثر شدة لوجوه الكافرين يوم القيامة ، فقد استخدم ألفاظاً عدّة ، تؤدي بدورها إلى إظهار ما تمتلئ به نفوسهم من خلجات الخوف ، والفزع مما ينتظرهم ، جميعها توحي بحالة بالدلالة نفسها ، على عظم الموقف وشدته على الكافرين (٥) .

وكما عبّر القرآن الكريم ببعض الألفاظ عما يعتري وجوه الكافرين من كآبة ، وخوف ، وهموم ، فقد صوّر بالمقابل وجوه المؤمنين ببعض الصفات التي توحي بالراحة ، والطمأنينة ، للحالة النفسية التي تعتريهم في ذلك الموقف ، فها هي وجوه المؤمنين بيضاء مشرقة ، تمتاز بالسرور والفرح ، دلالة على الاطمئنان ، يقول تعالى في ذلك : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ۞ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٦) ، يقول الزمخشري : " والبياض من النور ... فمن كان من أهل نور الحق ، وُسِمَ ببياض اللون، وإسفاره وإشراقه ... " وقوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۞ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾ (٧) ، يقول القرطبي : " قوله تعالى : وجوه يومئذ مسفرة ؛ أي مشرقة مضيئة ، قد علمت مالها من الفوز،

---

١ ـ معالم التنزيل ، الحسين بن مسعود الفراء البغوي ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م ، ط٢ ، ت : خالد العك ـ مروان سوار: ٤٢٤/٤

٢ ـ عبس : ٤٠، ٤١

٣ ـ كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، مكتبة ابن تيمية ، د. ط ، ت : عبد الرحمن محمد قاسم النجدي : ١٦/ ٢١٩

٤ ـ تفسير القرآن العظيم ، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠١هـ : ٤١٦/٢

٥ ـ انظر : الملك : ٢٧ ، الغاشية : ٢ ، ٣

٦ ـ آل عمران : ١٠٦، ١٠٧

٧ ـ عبس : ٣٨ ، ٣٩

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والنعيم ، وهي وجوه المؤمنين ، ضاحكة أي ؛ مسرورة فرحة مستبشرة " (١) ، وقوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۞ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ (٢) .

وإذا ما أنعمنا النظر في القرآن الكريم ، أدركنا أن القرآن كما أخبر سابقاً عن الحالات النفسية الدالة على الفرح والسرور منها ، أو الموحية على سوء الحال بالنسبة لأصحابها ، فإن يستخدم لوناً آخر ، يتكلم بوساطته عن سوء الحال لصاحبه ، استخدمه القرآن بأسلوب مغاير عما مضى ، فلم يتكلم فيه عن صفة الوجوه سواء اتصفت بالبياض أم بالسواد ، لكنه في الوقت نفسه ، استخدام السلب لنعمة كان يمتلكها في الدنيا ، وهي نعمة البصر ، فإذا كانت وجوه الكافرين يوم القيامة مسودة من هول المنظر ، فكيف يكون وجه الأعمى يوم القيامة ؟ الذي لا يرى ، ولا يعي ما يحدث حوله ، يقول تعالى : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ۞ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً ۞ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾ (٣) .

فسلب نعمة البصر من إنسان في موقف هو في أشد الحاجة إليها ، يضيف مرارة وصعوبة إلى صعوبة الموقف الواقع فيه ، وفي ذلك زيادة في سوء أحوالهم ، يقول الشوكاني : " أعمى ؛ أي مسلوب البصر " (٤) ، ويؤكد الألوسي ، أن العمى فيه زيادة في الغم والهم ، يقول في ذلك : " تجويز أن يكون العمى ، عبارة عما يلحقه من الغم المفرط ، كأنه قيل : من كان في الدنيا ضالاً ، فهو في الآخرة مغموم جداً ، فإن ما (كذا) يرى إلا ما يسوؤه ، والأعمى سواء " (٥) .

وزيادة في بيان سوء أحوال الكافرين يوم القيامة ، يصفهم القرآن بحالة تشبه الحالة السابقة ، لكن يُضاف إلى سلب البصر سلب كلٍ من السمع والكلام ، وفي ذلك يقول تعالى : ﴿ وَمَن يَهْدِ

---

١ ـ الجامع لأحكام القرآن ، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي ، دار الشعب ، القاهرة ، ١٣٧٢هـ ، ط٢ ، ت : أحمد عبدالعليم البردوني: ٢٢٥/١٩

٢ ـ الغاشية : ٨ ، ٩

٣ ـ طه : ١٢٤ ـ ١٢٦

٤ ـ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، دار الفكر ، بيروت ، د. ط : ٣٩١/٣٠

٥ ـ روح المعاني : ١٢٤/١٥

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

اللّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاء مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْماً وَصُمّاً مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً ﴾ . (١)

تلك النعمة التي امتلكوها في الدنيا ، لا يستطيعون الاحتفاظ بها في الآخرة ، فالسلب لنعمة البصر منهم ، تجعلهم في موقف يزداد صعوبة ومرارة ، إضافة إلى مرارة الموقف ، والأشد من سلب البصر ، السلب لكل من السمع والكلام ، يقول الشوكاني : " ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا ، وبكما ، وصما ، وإنما سلبوا السماع ؛ لأن فيه بعض تروح ، وتأنس ، وقيل : لا يسمعون ما يسرهم ، بل يسمعون ما يسوءهم." (٢) .

فالعواطف والمشاعر لم يبقَ لها أي قيمة تُذكر في ذلك اليوم ، وهذا الأمر أدى إلى الابتعاد عن الأقارب ، أو الافتداء بالأكثر لحمة في النسب ، وأقربهم رحمة في القلب مثل الأبناء ، وزاد القرآن في بيان هول الموقف على الكافرين ، بأن صوّر وجوههم بالسواد ، بسبب خوفهم وروعهم من الموقف.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

---

١ ـ الإسراء :٩٧

٢ ـ فتح القدير بين فني الرواية والدراية وعلم التفسير : ٤٢٨/٣

المطلب الرابع : دور الشخصيات وحركاتها العفوية في تصوير الأحداث :

ويمضي الخطاب القرآني في نقل أحداث يوم القيامة بأسلوب مغاير عما مضى ، على رغم من أن الإنسان هو موضوع الحديث ، إنما عرضه يكون لنمط جديد بعيداً عن تصوير الأحاسيس والمشاعر من حيث الوصف ، وإنما يكون دورها في التأثير على الشخصيات للقيام بأدوار ، لا ترقى للمستوى المعهود الذي ألفناه في الدنيا ، أو استخدام الشخصيات وسيلة لتقوم بإنتاج حركات توحي بشيء معين، ذات دلالة لاستعظام أمر ما، أو تعجب من موقف معين، ومثل هذه الأمور قد نجد لها ما يسوغها، ذلك أن دور الحركات تظهر بشكل واضح لبيان قوة الأحداث وعظمتها .

وكما هو معلوم ، أن الشخصيات هي التي تصطنع الأحداث في الدنيا ، ولكن في الخطاب الذي يتحدث عن أهوال القيامة ، يكون بخلاف ما سبق ، ذلك أن الأحداث هي التي تسيّر الشخصيات ، وتجبرها على اصطناع حركات معينة ، توحي بهول يوم القيامة .

ولما كان نجاح التأثير ، مقيساً في مدى أثره على المتلقي ، أهتم القرآن الكريم برسم الشخصيات وحركاتها بوساطة صور معينة ، ذات صفات وحركات غير اعتيادية ، تخبر بطريقة غير مباشرة عن أهوال وأحداث ذلك اليوم ، لتبث بدورها صداها على المتلقي ، ولهذا لم يبقَ القرآن الكريم على حالة واحدة في رسم الشخصيات وحركاتها العفوية ، بل نوّع في الرسم لتلك الشخصيات ، فتارة يصورها بحالة يعتريها الخوف دون معرفة السبب ، وتارة أخرى يخيم عليها العجب من مشاهد الانقلاب الكوني للأرض والسماء ... الخ ، وتارة ثالثة ، تنقل حالة الشخصيات وحركاتها أثناء خروجها من الأجداث، لتوحي بالرعب الذي يلقي بظلاله عليهم في ذلك الموقف ، ومثال ذلك قوله تعالى :﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾(١) ، فالحركة السريعة هي المسيطرة على المشهد ، فالناس يخرجون بحركة سريعة ، دالة دلالة واضحة على الخوف الذي جعلهم يتحركون بهذه الحركة غير الاعتيادية ، كأنهم يلبون أمراً ما ، يحاول كل فرد منهم الإسراع في تنفيذ هذا المطلب " والنسلان ، هو المشي السريع " (٢) ، وإلى جانب السرعة في الخروج ، يُلحظ أن الإجبار في الخروج يرافق الخروج ، وهذا المشهد يوحي بأن الخروج جاء بالإجبار ، وليس بالاختيار ، يقول أبو السعود : " ينسلون ، يسرعون بطريق الإجبار ، دون الاختيار "(٣)، فالسرعة توحي بعظمة الأمر الناتج عن آمر صاحب قوة عظيمة ،

.....

١ ـ يس : ٥١

٢ ـ تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير : ٥٧٥/٣

٣ ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم : ١٧١/٧

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والمأمورين يدركون مدى هذه القوة التي تسيطر عليهم ، ويلحظ الباحث أن آية يس ، تحتوي على أمرين ، لهما من الأهمية الكبيرة في بيان هول ذلك اليوم ، أولهما : يتناول السرعة في التلبية ، ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعاً كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴾ (١) ، فالإيفاض ، توحي بالسرعة ، وصولاً لشيء معين " الإيفاض الإسراع " (٢) ، وكأنهم يتسابقون لذلك الشيء ، فهذا الشيء الذي يتسابقون إليه ، هو الداعي ، يقول الألوسي : " أنهم يخرجون مسارعين إلى الداعي ، يسبق بعضهم بعضاً " (٣) .

أما ثانيهما : فنجد فيه الإجبار على ذلك الخروج ، على رغم من أن القرآن لم يستخدم أفعالاً دالة دلالة واضحة على ذلك ، لكن الإجبار يكون في السرعة للتلبية ، وكأنما نلحظ ارتباطاً ذهنياً بشيء معين وهو الصور ، فالصوت الناتج عن الصور ، يجعلهم يلبون مسرعين ، فهذه التلبية تأتي وفق إجبار ذهني محض ، وفي ذلك يقول تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾ (٤) .

فالشخصيات في المواقف السابقة ، لها أدوار تقوم بها ، لكن هذه الأدوار عفوية ، فهي تقوم بالخروج أولاً ، ثم بالإسراع إلى الداعي ، وكلا الأمرين لم يكن لهم فيها خيار في القبول أو الرفض ، ويعتقد الباحث أن دور الشخصيات العفوية في خطاب التهويل ، هو عبارة عن صور ، أراد القرآن الكريم بثها لتصل إلى نفسية المتلقي ، من أجل بلوغ أكبر أثر في هذه النفسية ، ولذلك يلجأ القرآن في بعض الأحيان إلى التنوع في هذه الصور، ومثال ذلك تشبيه الناس بالفراش تارة ، وبالجراد تارة أخرى ، ولا يعني ذلك أن التشبيه جاء عشوائياً ، إنما كان التشبيه وفق معاني معينة ، تتجه صوب الأدوار ، على رغم من كونها عفوية ، يقول تعالى : ﴿خُشَّعاً أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴾ (٥) ، ويقول تعالى : ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ

---

١ ـ المعارج : ٤٣

٢ ـ لسان العرب ، ابن منظور : مادة : وفض .

٣ ـ روح المعاني : ٢٩/٦٦

٤ ـ يس : ٥١

٥ ـ القمر : ٧

© Arabic Digital Library Yarmouk University

كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴾ (١) ، فكل تشبيه له طابعه الخاص الذي بوساطته سيؤدي المعنى الذي يحمله ، وفي الوقت نفسه يختلف عن التشبيه الآخر ببعض الميزات ، التي توجد في تشبيه ولا تكون في الآخر، أو أن هذا التشبيه متمم للتشبيه الآخر، من أجل توضيح فكرة معينة لن تكتمل إلا بوجوده ، لكن الاختلاف بين التشبيهين السابقين موجود من عدّة جوانب، أولهما : طبيعة التشبيه ، والوقت ثانيهما ، ودور الشخصيات ثالثهما ، أما بالنسبة للجانب الأول ، طبيعة التشبيه ، فالاختلاف بينهما موجود في المشبه به ، ففي سورة القمر ، شبه الناس بالجراد ، أما في سورة القارعة ، فقد شبههم بالفراش ، وكلا التشبيهين له طابعه الذي يتصف به دون أن يتشابه مع الآخر .

أما الجراد ، فيضرب به المثل في الكثرة والتموج ، " يقال : في الجيش الكثير المائج بعضه في بعض : جاءوا كالجراد وكالدَّباء . منتشر في كل مكان " (٢) ، ومعنى ذلك أن الجراد يُضرب به المثل في الكثرة ، وليس كالفراش الذي يُضرب به المثل في الخفة والطيش ، يضيف الزمخشري قائلاً : " شبههم بالفراش في الكثرة ، والانتشار ، والضعف ، والذلة ، والتطاير ... وفي أمثالهم : أضعف من فراشة ، وأذل ، وأجهل " (٣) ، وإذا أنعمنا النظر في ما قاله الزمخشري ، نجد أن التشابه بين التشبيهين كان من حيث الكثرة ، أما الفرق بينهما ، فيكون أكثر من حيث الانتظام ، بمعنى أن الجراد له من المعرفة لتحديد اتجاه معين في السير والتقدم ، أو السير وراء قائد له ، وقد بين القرآن ذلك ، يقول تعالى : ﴿ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾ (٤) ، فالناس يتجهون صوب الداعي ، وهنا يعتقد الباحث أن تشبيههم بالجراد ، يكون وفق الإدراك والمعرفة ، فالتشبيه لم يخرج الناس من حال إلى حال ، وإنما جاء التشبيه ، ليؤكد أن الناس يكونون في ذلك اليوم ، كحال الجراد في الانتظام في السير ، والإطاعة للقائد ، ونلحظ في ذلك دلالة واضحة على السير بانتظام صوب الداعي ، أما الفراش ، فإنه يتصف بالطيش والجهل ، فليس له جهة معينة يقصدها، أو قائد يرشده ، وهذا الأمر يتجه بالبحث إلى الجانب الثاني وهو الوقت ، فوقت تشبيههم بالفراش يختلف عن وقت تشبيههم

---

١ ـ القارعة : ٤

٢ ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، مكتبة مصر ، القاهرة ، شرحه وضبطه وراجعه : يوسف الحمّادي : ٣٠٩/٤

٣ ـ المصدر السابق : ٦٢٥/٤

٤ ـ القمر : ٨

© Arabic Digital Library Yarmouk University

بالجراد ، فتشبيههم بالفراش يكون في بداية الخروج من القبور ، فهم في طيش وحيرة ، ليس لهم جهة يقصدونها ، فيدخل بعضهم في بعض ، أما الحالة الثانية ، وهي تشبيههم بالجراد ، فتكون عند سماع المنادي ، وهنا يقصدون الداعي ، يقول القرطبي : " ... يخرجون من الأجداث ؛ أي القبور ، واحدها جدث ، كأنهم جراد منتشر ، مهطعين إلى الداع . وقال في موضع آخر : يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ، فهما صفتان في وقتين مختلفين ، أحدهما عند الخروج من القبور، يخرجون فزعين ، لا يهتدون أين يتوجهون ، فيدخل بعضهم في بعض ، فهم حينئذٍ كالفراش المبثوث ، بعضه في بعض ، لا جهة له يقصدها . الثاني : فإذا سمعوا المنادي قصدوه ، فصاروا كالجراد المنتشر ؛ لأن الجراد له جهة يقصدها ، ومهطعين ، معناه مسرعين "(١) .

ويؤيد ما ذهب إليه الباحث ، بأن وصفهم القرآن بـ (بمهطعين) أي (مسرعين) ، دلالة على إدراك تام للجهة التي يقصدونها وذلك عندما شبههم بالجراد ، وبالمقابل عند وصف الناس في ذلك اليوم بما يصاحبهم من حركات بالفراش ، لا نجد أي لفظ يحمل معاني الإسراع ، بل إن الوصف يحمل معنى الطيش ، وعدم الهداية .

أما الجانب الثالث ، وهو دور الشخصيات ، فكلا الموقفين يعبر عن الدور العفوي للشخصيات ، ونلحظ ذلك ضمن مراحل ، ابتداءً من القيام وانتهاءً بالإحضار ، وجميع المراحل السابقة تكون بالإجبار، بمعنى أن الإنسان مجبر على القيام بهذه الأعمال ، وليس له خيار في الرفض والقبول .

إذاً ، ليس للإنسان في هذا الموقف أي دور يذكر ، وإنما دوره يُحصر في التنفيذ بعيداً عن الإرادة ، سواء أكان بالقبول أم الرفض ، ولتوضيح ذلك ، سيقوم الباحث بتجاوز الترتيب القرآني للآيات ، بأن يرتب الآيات وفق نظرية البحث ، في بيان الأدوار العفوية للإنسان .

فالإنسان يوم القيامة يمتاز بعفوية الحركات ، ذلك أنه يُسيَّر بوساطة الأحداث ، بحيث إن الأحداث هي التي تقوم بدور المسيّر للإنسان ، وليس للإنسان أي دور يُذكر في تسيير الأحداث كما في الدنيا .

ويعتقد الباحث ، أن للأحداث دوراً مهماً في تسيير الإنسان بحركاته العفوية يوم القيامة ، ويكون ذلك في عدّة مراحل ، هذه المراحل لها من الأهمية الكبيرة في توضيح ذلك الدور ، على رغم من خروجه عن الإرادة الإنسانية ، لكن ما يلفت النظر ، أن هذه المراحل قد ذُكرت في

.....

١ ـ الجامع لأحكام القرآن : ١٣٠/١٧

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

القرآن وفق درجات الأسبقية في التنفيذ ، حيث تبدأ بمرحلة القيام ، وتنتهي بمرحلة الإحضار .

لكن قبل الحديث عن ساعة البعث ، وخروج الناس من أجدائهم ، لا بد من الحديث عن الأحياء ، فهؤلاء ليسوا بمعزل عن الهول ، إن ما يجرى على سابقيهم ينالهم ، فسوف يموتون كما مات أسلافهم ، يقول تعالى : ﴿ إِ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ۞ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ (١) ، فالموت يأتيهم فجأة ، وهم مشغولون في أمورهم الدنيوية ، يقول الزمخشري : " والمعنى : أنها تبغتهم ، وهم في أمنهم وغفلتهم عنها ، لا يُخطِرونها ببالهم ، مشتغلين بخصوماتهم في متاجرهم ، ومعاملاتهم ، وسائر ما يتخاصمون فيه ويتشاجرون ؛ ومعنى يخصمون ، يخصم بعضهم بعضاً ... (توصية) ولا يقدرون على الرجوع إلى منازلهم وأهاليهم ، بل يموتون ، بحيث تفجؤهم الصيحة " (٢) ، وليس كما قال القرطبي، أن الناس بعد هذه الصيحة يساقون إلى محشر القيامة : " والناس في أسواقهم ، ومعايشهم ، يختصمون ، ويتشاجرون على عاداتهم ، فبينما هم كذلك ، إذا أمر الله عز وجل إسرافيل ، فنفخ في الصور نفخة ، يطولها ويمدها ، فلا يبقى أحد على وجه الأرض إلا أصغى ليتا ، ورفع ليتا ، وهي صفحة العنق ، يتسمع الصوت من قبل السماء ، ثم يساق الموجودون من الناس إلى محشر القيامة " (٣) ؛ لأن بعد الصيحة يكون الموت لجميع الناس ، ثم بعد ذلك يكون البعث .

فبعد الموت لجميع الناس يكون البعث ، وهنا تبدأ المراحل في الظهور ، ويبدو أن المراحل متقاربة في الزمن ، بحيث يصعب كثيراً التمييز بينها ، وهذا ما ألمح إليه الألوسي حين فسّر قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ (٤) ،حيث يقول : " لجواز اجتماع القيام ، والنظر ، والمشي ، لتقارب زمان القيام ، ناظرين ، وزمان الإسراع في المشي " (٥) ، ومعنى قول الألوسي ، أن الصعوبة حاصلة للتفريق بين هذه المراحل ، لكن الباحث يرى ، أن التمييز بين هذه الحركات ممكن إذا أنعمنا النظر في الألفاظ المستخدمة ، إضافة إلى الحركات الإنسانية التي

.....

١ ـ يس : ٤٩ ، ٥٠

٢ ـ الكشاف : ٦٥٦/٣

٣ ـ الجامع لأحكام القرآن : ٥٧٥/٣

٤ ـ الزمر : ٦٨

٥ ـ روح المعاني : ٣٢/٢٣

© Arabic Digital Library Yarmouk University

تؤدي دوراً واضحاً في المساعدة ، في إيضاح تلك المراحل .

إلا أن الصورة العامة لبيان الهول ، يمكن توضيحها بوساطة دور الشخصيات العفوية وحركاتها ، هذه الشخصيات التي يظهر دورها ، بوساطة ما تقوم به بالإجبار ، فأول مرحلة هي الخروج من القبور ، يقول تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ (١) ، فمعنى ينسلون هو يخرجون (يخرجون بسرعة) (٢) ، وقد ورد اللفظ ينسلون حين تحدث سبحانه وتعالى عن خروج يأجوج ومأجوج ، يقول تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾ (٣) ، وفي ذلك دلالة واضحة على أن معنى ينسلون هو الخروج ، فالناس في ذلك اليوم لا يملكون من أمرهم شيئاً إلا الامتثال إلى أمر الله تعالى ، وهو الخروج بسرعة من الأجداث ، بما يصاحبه من الذل والهوان (٤) ؛ لأنهم يدركون أن هذا الأمر ليس بأيديهم ، دلالة على أن الخروج جاء بالإكراه ، وزيادة في بيان المشهد لتوضيح حال الكافرين ، أتى بلفظ (مهطعين) دلالة على الذل ، فهم في مشهدين ، أولهما : الخروج بالإجبار ، وثانيهما : حالة الذل التي تخيّم عليهم ، فهم في حيرة ودهشة ، يصاحبهما الذل والهوان " والمهطع الذي ينظر في ذل وخشوع " (٥) ، ويبقى المشهد ثابتاً ، من حيث خروج الناس من باطن الأرض إلى ظاهرها ، ولا يتحركون عن أماكنهم ، وبهذا الخروج ، تنتهي المرحلة الأولى لتبدأ المرحلة الثانية ، وهذه المرحلة ، تصور حال الناس على ظاهر الأرض ، يقول تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ۞ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ (٦) ، والساهرة ، هي وجه الأرض " فإذا هم بالساهرة : أي على وجه الأرض ، بعدما كانوا في بطنها ، قال الفراء :

.....

١ ـ يس : ٥١ .

٢ ـ لسان العرب ، مادة : نسل ، انظر : إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن ، الغزي : ٣٨٥/١ ، التبيان في تفسير غريب القرآن ، احمد بن محمد الهائم المصري ، دار الصحابة للتراث بطنطا ، مصر ، ١٩٩٢ ، ط١ ، ت : فتحي أنور الدابولي : ٢٩٧/١.

٣ ـ الأنبياء : ٩٦ .

٤ ـ انظر : القمر : ٧ .

٥ ـ لسان العرب ، ابن منظور ، مادة : هطع .

٦ ـ النازعات : ١٣ ، ١٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

سميت بهذا الاسم ؛ لأن فيها نوم الحيوان ، وسهرهم ، والعرب تسمي الفلاة ، ووجه الأرض ، ساهرةٌ ، بمعنى ذاتُ سهر ؛ لأنه يسهر فيها خوفاً منها ، فوصفها بصفة ما فيها " (١) ؛ إي أن الناس خرجوا في ذلك الوقت من باطن الأرض إلى وجهها ، لكن هذه المرحلة لم تنتهِ عند الخروج ، بل تتعدى ذلك إلى الدهشة ، والتعجب ، والخوف، أو الانتظار لما يُفعل بهم ، وفي ذلك يقول تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ﴾ (٢) ، ويقول تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ (٣) ، وقد أجمع أكثر المفسرين على أن تفسير(ينظرون) بين الإبصار برؤية العين ، والانتظار لما يُفعل بهم (٤) .

إلا أن هناك من المفسرين من فرّق بين (ينظرون) في الآيتين السابقتين، بأن فسّر (ينظرون) في آية الصافات ، بشكل مغاير عن تفسير (ينظرون) في آية الزمر ، ومن هؤلاء المفسرين الطبري ، الذي فسّر آية الصافات بقوله : " فإذا هي شاخصة أبصارهم ، ينظرون إلى ما كانوا يدعونه ، من قيام الساعة ، ويعاينونه " (٥) ، ويرى ابن عاشور ، أن إيثار البصر على باقي الحواس لأهميته في ذلك الموقف ، حيث يقول : " وأوثر البصر من بين بقية الحواس ، لمزيد اختصاصه بالمقام ، وهو التعريض بما اعتراهم من البهت لمشاهدة الحشر " (٦) ، ويعتقد الباحث أن ينظرون الواردة في آية الصافات، جاءت محصورة بالبصر أي : ينظرون إلى أهوال القيامة ، أو ينظرون إلى أنفسهم من الحياة بعد الممات ، يقول الزمخشري : " (فإذا هم) أحياء بصراء ،

.....

١ ـ الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي : ١٩٨/١٩ ، ١٩٩

٢ ـ الصافات : ١٩ .

٣ ـ الزمر : ٦٨

٤ ـ انظر : الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، الواحدي : ٩٣٨/٢ ، معالم التنزيل ، البغوي : ٨٧/٤ ، الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي : ١٥/ ٧٢ ، تفسير الجلالين ، جلال الدين بن أحمد المحلي و جلال الدين بن عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ، دار الحديث ، القاهرة ، ط١ ، ت : عبدالقادر عرفات العشا حسونة: ٦١٦/١ ، تفسير النسفي ، النسفي : ٦٣/٤ ، روح المعاني ، الألوسي : ٧٩/٢٣ ، التحرير والتنوير ، ابن عاشور : مج١١/ ج٢٤ /٦٧ .

٥ ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٥هـ : ٤٥/٢٣

٦ ـ التحرير والتنوير : مج١١/ ج٢٣ /١٠٠

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(ينظرون) " (١) ، أما في آية الزمر فمعناها ينتظرون ما يفعل بهم ؛ أي ينتظرون أمر الله فيهم ، فلفظة ينظرون في آية الزمر قد سبقت بـ (القيام) ، دلالة على الاستعداد لتنفيذ أمر ما .

أما المرحلة الثالثة ، وهي مرحلة الاستحضار ، حيث يتم فيها حضور الناس بالإجبار ، وهي مرحلة تالية لمرحلة الوقوف والانتظار ، يقول تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ (٢) ، فعند النفخ في الصور يأتي الناس أذلاء صاغرين " والداخر والدَّخر الصاغر " (٣) ، فالجميع يحضر ذلك الموقف يوم القيامة ، ولا يستثنى منهم أحد ، يقول تعالى : ﴿ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾ (٤) ، ويقول تعالى : ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ (٥) ، يقول الزمخشري : " والمعنى ، أن كلهم محشورون ، مجموعون ، محضرون للحساب ... ومعناه ، أن المحشر يجمعهم " (٦) ، ويقول ابن كثير : " أي ؛ وأن جميع الأمم الماضية والآتية ، ستحضر الحساب يوم القيامة ... إنما نأمرهم أمرا واحدا ، فإذا الجميع محضرون"(٧) ، وشبيه مما سبق، يقول تعالى : ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً﴾ (٨) .

وإذا أنعمنا النظر في الآيات السابقة ، أدركنا أن وقوع الفعل بالمفعول (الناس) ، سواء بالجمع أم بالإحضار ، هو المهم (٩) ، فالغرض ، هو إبراز المفعول به في ذلك الموقف ، والحال التي آلت إليه أحواله ، وبذلك يكون تسليط الضوء على الناس في حالة إحضارهم ، أو جمعهم ، هو ما أراد القرآن الكريم بيانه في ذلك اليوم .

وإذا فهمنا ، أن وقوع الفعل بالمفعول ، نتج عنه إجبار الناس على التجمع ، والحضور يوم القيامة ، فإن القرآن الكريم أراد من ذلك ، تصوّر ذلك اليوم بأحداثه وأهواله ، والكيفية التي يكون

.....

١ ـ الكشاف : ٣٨٩/٤
٢ ـ النمل : ٨٧ .
٣ ـ الكشاف ، الزمخشري : ٤٢٩/٣
٤ ـ يس : ٣٢
٥ ـ يس : ٥٣
٦ ـ الكشاف : ٦٥١/٣ ، انظر : تفسير النسفي ، النسفي : ٧/٤
٧ ـ تفسير القرآن العظيم : ٥٧١/٣ .
٨ ـ النبأ : ١٨
٩ ـ انظر : البرهان في علوم القرآن : الزركشي : ١٤٤/٣

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

عليها الإنسان من الإجبار ، والخضوع ، والخنوع ، فلا أرض تستره ، ولا سماء تخفيه ، وليس له رأي يبديه ، ولا شفيع ينجيه ، فهو مسيّر ، وليس مخيّر ، ولو كان مخيّراً ، فيكون هو من يقوم بالفعل ، ولكنه قيامه به دون إرادة تُذكر ، وإنما على سبيل الإطاعة فقط ، وذلك حين يتبعون الداعي ، يقول تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً ﴾ (١).

وكما أن دور الشخصيات عفوي ، فإن حركاتهم عفوية أيضاً ، فالخوف والدهشة التي تسيطر عليهم في ذلك الموقف ، يجبران الإنسان على إنتاج حركات ، تعطي دلالة واضحة عما يعتريهم من فزع وخوف ، ولم يقتصر القرآن على حركات عامة تشمل جميع الجسم ، أو حركات جزئية مثل العيون ، بل نجد أن التنوع في الحركات كثير في القرآن ، فتارة يصف حركات الإنسان كاملة ، في تمثيل للروع والفزع الذي يخيم عليه ، وتارة أخرى يرسم الانطباع العام على الوجه ، وتارة ثالثة يصف الخوف والرهبة بوساطة العيون ، وكل ذلك جاء في خدمة المعنى ، الذي أراد القرآن أن ينقله للمتلقي .

ويرى الباحث أن الحركات هي دلائل عن الكلام ، توحي بما يختلج النفوس من مشاعر وأحاسيس ، بوساطتها يمكن الكشف عما يعتريها من خلجات ، سواء أكانت تؤدي إلى الفرح ، أم إلى الحزن والندم، وقد بيّن القرآن ذلك بوساطة اليدين، حين وصف حالة الندم للذي أشرك بربه ، يقول تعالى : ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً ﴾ (٢) ، وشبيه من ذلك ، ما نجده في وصف حالة الخوف ، للناس الذين يفرون من سماع القرآن ، يقول تعالى : ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ۝ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴾ (٣) ، فالقرآن ، لم يلجأ إلى التعبير بوساطة الكلام عن ندم المشرك بربه ، أو الخوف الذي يملأ صدور الهاربين من القرآن ، وإنما استخدم الكلام لوصف حركة اليدين ، أو الحركات الدالة على ما يعتري الصدور ، سواء أكان ندماً أم خوفاً ، ومثل هذه الأمور نجدها في وصف الحالات النفسية للناس يوم القيامة ، بوساطة

---

١ ـ طه : ١٠٨
٢ ـ الكهف : ٤٢
٣ ـ المدثر : ٤٩ ـ ٥١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

سيطرتها على الحركات ، أو رسمها على الوجوه .

ولم يتوقف القرآن عند وصف حركات الناس لبيان الخوف والفزع ، اللذان يسيطران عليهم يوم القيامة ، بل جعل للوجوه جانباً كبيراً ، فبوساطتها يمكن التكهن بما يختلج النفوس من مشاعر الخوف ، والقلق ، والرعب ، فالملامح التي تظهر على الوجوه ، ذات فاعلية عظيمة ، لبيان ما تكنه الأنفس من خلجات ، بمعنى آخر ، أن الوجوه هي ترجمان للمشاعر الإنسانية ، ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ۞ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ۞ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ۞ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ۞ أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ (١) ، فالوصف للوجوه ، هو تعبير للأمان والخوف معاً ، فوجوه المؤمنين ضاحكة تحمل دلالة على الطمأنينة ، بينما وجوه الكافرين عابسة ، توحي بالكآبة والخوف ، يقول الزمخشري : " (مسفرة) مضيئة متهللة . من أسفر الصبح إذا أضاء ... (غبرة) ، غبار يعلوها (قترة) سواد كالدخان ، ولا ترى أوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه ، كما ترى في وجوه الزنوج ، إذا اغبرت ، وكأن الله ـ عز وجل ـ يجمع إلى سواد وجوههم والغبرة ؛ كما جمعوا الفجور إلى الكفر " (٢) ، ويرى البغوي ، أن وجوه المؤمنين ضاحكة مستبشرة بما خيم عليها من الراحة النفسية ، بسبب الكرامة التي منحها الله لهم ، بخلاف الكافرين التي أرهقتهم المشاهد التي يرونها ، يقول في ذلك :" وجوه المؤمنين ، مسفرة ، مشرقة، مضيئة ، ضاحكة بالسرور، مستبشرة فرحة ، بما نالت من كرامة الله عز وجل، ووجوه يومئذٍ ، عليها غبرة ، سواد وكآبة ، مما يشاهدونه من الغم ، والهم ، ترهقها قترة ، وتغشاها ظلمة وكسوف " (٣) .

وقد ركز القرآن الكريم على الوجوه ، لما لها من الأثر في بيان الحالات النفسية التي تختلج الصدور ، وقد ألمح ابن تيمية إلى ذلك بقوله : " أن وصف الوجوه بالأعمال ، ليس بالقرآن ، وإنما في القرآن ، ذكر العلامة كقوله تعالى : **سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم وَلَوْ نَشَاء لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ** " (٤) .

وفي ذكر علامات السرور والبهجة على وجوه المؤمنين ، ورسم حالات الهم والكدر على

.....

١ ـ عبس : ٣٨ ـ ٤٢

٢ ـ الكشاف : ٥٤٨/٤

٣ ـ معالم التنزيل : ٤٥٠/٤

٤ ـ كتب ورسائل وفتاوي ابن تيمية في التفسير : ١٦/ ٢١٩

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وجوه الكافرين ، نجد ذلك في قوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ۝ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾ (١) ، فوجوه المؤمنين نضرة بمعنى " مشرقة حسنة ناعمة " (٢) ، أما وجوه الكافرين ، فهي بائسة معبسة ، من الهم والغم ، اللذان يخيمان عليها ، بسبب ما ينتظرها من العذاب " أي مقطبة ، قد أيقنت أن العذاب نازل بها " (٣) .

وبعد أن وصف القرآن الكريم الوجوه بحالات معينة ، توحي بحالات نفسية مطمئنة ، أو مشاعر مضطربة خائفة ، نجده يتجاوز الوجوه إلى الأبصار ، وكما أن الوجوه تنبئ عما يملأ النفوس من مشاعر أو أحاسيس ، فإن الأبصار لها دور في إبراز تلك المشاعر ، ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ﴾ (٤) ، وقوله تعالى :﴿ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ (٥)، فخشوع الأبصار ، دلالة على شدّة الذل التي تغشاهم ، وهي حالة من حالات الإبصار الظاهرة ، الدالة على ما يختلج الصدور في الباطن ، يقول ابن قيّم الجوزية : " فوصفهم بذل الظاهر ، وهو خشوع الأبصار ، وذل الباطن ، وهو ما يرهقهم من الذل ، خشعت عنه أبصارهم " (٦) ، ويقول سيد قطب : " ثم تتم سماتهم (خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة) ، فنلمح من خلال الكلمات سيماهم كاملة ، وترتسم لنا من قسماتهم صورة واضحة . صورة ذليلة .. لقد كانوا يخوضون ويلعبون ، فهم اليوم أذلاء مرهقون " (٧) ، ويرى ابن عاشور أن الخشوع في الأبصار ، هي حركة مرادها الطأطأة في الرأس ، مع استمرارية النظر ، دلالة على الذلة والخوف معاً ، حيث يقول : " وخشوع الأبصار : هيئة النظر بالعين بذلة وخوف ، استعير له وصف (خاشعة) لأن الخاشع يكون مطأطئا مختفيا " (٨) .

فالصورة العامة للناس يوم القيامة ، تظهر بوساطة إحدى الجوانب الآتية ، لبيان الحالات

---

١ ـ القيامة : ٢٢ ـ ٢٥

٢ ـ الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي : ١٠٧/١٩

٣ ـ لسان العرب ، ابن منظور ، مادة : بسر

٤ ـ القلم : ٤٣

٥ ـ المعارج : ٤٤

٦ ـ التبيان في أقسام القرآن : ١٢٥/١

٧ ـ في ظلال القرآن : مج٨/ ج٢٩/ ٢٨٨

٨ ـ التحرير والتنوير : مج١٤/ ج٢٩/ ٩٩

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الشعورية التي تختلج النفوس ، وما ينتج عن هذه الحالات من حركات لا شعورية ، بحيث يدرك المتلقّي صعوبةَ مواقف الناس في ذلك اليوم ، بوساطة حركاتهم ، والتي توحي بما يملأ قلوبهم من الخوف والفزع ، وأول هذه الجوانب : الحركات العفوية للشخصيات ، وهي حركات سريعة ، من غير وجهة لمكان ما ، مما يوحي ذلك إلى عدم إدراك الإنسان لأي عمل يقوم به ، ثانيها : سمات الوجوه التي تنبئ عن سوء الموقف أو جماله ، وذلك بما ترتسم على الوجوه من سمات ، تُقرأ بوساطتها حال الإنسان في ذلك المكان والزمان ، تحمل دلالة الارتياح والاطمئنان ، أو تنبئ عن الكد وسوء المنقلب ، ثالثها : حركة العينين : وما يصاحبها من خشوع وذل ، دلالة على الرهبة والروع الذي يعيشهما الإنسان في ذلك الموقف ، بسبب الحزن على ما مضى ، والخوف مما ينتظره في المستقبل .

وقد استخدم القرآن الكريم الحركات ، والوجوه ، والعيون للناس في نقل أحداث ذلك اليوم للمتلقي ، بوصفها الأصل في ترجمة ما يختلج هذه النفوس من خلجات شعورية ؛ لأنها تعدُّ وسائل نقل ، لما في النفوس دون الحاجة للتعبير عن هذه الخلجات بالكلام ، وفي الوقت نفسه ، فهي الأكثر ظهوراً ووضوحاً في الإنسان ، والرؤية من قبل الآخرين .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثاني : دواعي استخدام التصوير في خطاب التهويل :

المطلب الأول : البيان والتوضيح :

مما لا شك فيه أن التحول الذي يصيب بعض الكتابات وخاصة الشعرية ، من الكلام المباشر إلى غير المباشر ، يكون ناجماً عن التغيير الذي قد يطرأ في عقلية الكاتب أو المؤلف ، ذلك بما يتصوره من ألتماس طرق التغيير للبعد عن الملل والسأم بالنسبة للمتلقي ، أو أن الموضوع لا يمكن نقله بصورة مباشرة ، ولذلك ينتقل الكاتب إلى لون آخر من ألوان التعبير عن الفكرة ، تناسب الموضوع من جهة ، وتتماشى مع عقلية المتلقي أو السامع من جهة أخرى ، ويبدو أن التحول الذي يصيب كثيراً من الألوان الشعرية في التعبير بوساطة التصوير ، واستخدام الصور الفنية ، لهما الأثر الكبير عند المتلقي أكثر من الكلام المباشر ، ذلك أن الشاعر أو الكاتب إنما يلجأ إلى التصوير الفني في إبراز هدف واحد ، تكون نتائجه على المتلقي (١).

وإذا كان الشعراء قد استحسنوا هذا اللون في الشعر، لإفراغ ما في أنفسهم من أحاسيس ومشاعر ، فقد جعله القرآن الكريم وسيلة ، اتخذها عنواناً في بيان أهوال يوم القيامة ، وذلك لبيان ما في هذا اليوم من مصاعب وعثرات تحيط بالإنسان ، وقد وضّح ذلك بوساطة إبراز هذه العوامل من المعنوي إلى المحسوس ، ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ (٢) ، فهذه الأوزار، وهي الآثام التي عملها الكافرون في الدنيا ، تحمل على الظهور لشدة ثقلها ، " والوزْرُ : الحمل الثقيل " (٣) ، وقد استعمل الظهر للدلالة على ثقل الأحمال " لأنه اعتيد حملُ الأثقال على الظهور " (٤) ، وفي ذلك استعارة على تحويل الآثام من المعنوي إلى المادي ، لبيان وتوضيح شدّة العذاب الذي يقع على عاتق الكافرين يوم القيامة ، يقول الألوسي : " وهو المراد هنا ؛ أي يحملون ذنوبهم وخطاياهم ، كما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، وذكر الظهور ؛ لأن المعتاد الأغلب الحمل عليها ، كما في كسبت أيديكم ؛ فان الكسب في الأكثر بالأيدي ، وفي ذلك أيضا إشارة ، إلى مزيد ثقل المحمول ، وجعل الذنوب ، والآثام محمولة على الظهر من باب الاستعارة التمثيلية ، والمراد بيان سوء حالهم ،

---

١ ـ انظر : البيان في ضوء أساليب البيان ، عبد الفتاح لاشين ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٩٢ ، ص : ١٨

٢ ـ الأنعام : ٣١

٣ ـ لسان العرب ، ابن منظور ، مادة : وزر .

٤ ـ الكشاف ، الزمخشري ، ٢/ ٨٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وشدة ما يجدونه من المشقة ، والآلام ، والعقوبات العظيمة ، بسبب الذنوب ، وقيل : حملها على الظهر حقيقة وإنها تجسم " (١) ، وشبيه من ذلك قوله تعالى : ﴿ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْراً ۝ خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاء لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلاً ﴾ (٢) ، فقد شبه الوزر بالعقوبة الثقيلة ، التي يعجز الإنسان حتى بالصبر على تحملها لشدّة ثقلها ، يقول الزمخشري : " يريد بالوزر ، العقوبة الثقيلة الباهظة ، سمّاها وزراً ، تشبيهاً في ثقلها على المعاقبِ وصعوبة احتمالها ، بالحمل الذي يفدحُ الحامل ، وينقض ظهره ، ويلقى عليه بهره *، أو لأنها جزاء الوزر وهو الإثم "(٣)، وقريب من ذلك ما نجده عند العمادي المعروف بأبي مسعود ، حيث يقول : " فإنه ؛ أي المعرض عنه ، يحمل يوم القيامة وزرا ؛ أي عقوبة ثقيلة فادحة على كفره ، وسائر ذنوبه ، وتسميتها وزرا ؛ إما لتشبيهها في ثقلها على المعاقب ، وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل ، وينقض ظهره ، أو لأنها جزاء الوزر ، وهو الإثم ، والأول هو الأنسب" (٤) .

ومن المفسرين من رأى ، أن الوزر هو الذنب ، وقد شبه الذنب بالشيء الثقيل ، الذي لا يستطيع الإنسان حمله إلا على ظهره ، ومع ذلك فهو يثقل كاهله لشدّة ثقله ، يقول القرطبي : " وهم يحملون أوزارهم ؛ أي ذنوبهم ، جمع وزر ، على ظهورهم مجاز ، وتوسع ، وتشبيه بمن يحمل ثقلا "(٥) .

وسواء أكان الوزر هو الذنب أم العقوبة ، فإن المعنى واحد ، من حيث نقل ما هو معنوي إلى المادي، فالخطاب القرآني قد اتخذ المحسوسات الدنيوية عوامل رئيسة في البيان والتوضيح ، لإيصال الفكرة للمتلقي ، ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَـئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُم بِمَا

---

١ ـ روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني ، محمد الألوسي أبو الفضل : ١٣٢/٧.

٢ ـ طه : ١٠٠ ، ١٠١.

* ـ بهره بمعنى قهره وعلاه وغلبه . انظر : لسان العرب ، ابن منظور ، مادة ، بهر .

٣ ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ١٦٤/٣.

٤ ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، محمد بن محمد العمادي أبو السعود ، دار إحياء التراث ، بيروت : ٤١/٦

٥ ـ الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي: ٤١٣/٦

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كَانُواْ بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ (١) ، وقوله تعالى : ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ۞ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ (٢) ، وقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ۞ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۞ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ۞ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ (٣) .

فمعلوم أن الأعمال في الدنيا ، ليست كالمقادير التي توزن من حيث الثقل والخفة ، إلا أن القرآن الكريم ، أراد بيان ذلك من حيث المشابهة ، ليكون أقرب لفهم المتلقي ، وإن اختلف المفسرون في معنى الموازين ، فمنهم من رأى أن الموازين جمع ميزان ، وذهب آخرون إلى أن الموازين ، جمع موزون ، بمعنى ما له وزن وقدر (٤) ، يقول أبو السعود : " إن الميزان لا يتوصل به ، إلا إلى معرفة مقادير الأجسام ، فكيف يمكن أن يعرف بها مقادير الأعمال التي هي أعراض منقضية ، وقيل : إن الأعمال الظاهرة في هذه النشأة بصورة عرضية ، تبرز في النشأة الآخرة ، بصورة جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح " .(٥)

ويذهب الطبري إلى أن الله تعالى يجعل الأعمال بالأوزان ، كما جعل الأيادي والأرجل تتكلم لتشهد على أصحابها ، وفي ذلك يقول : " فإن أنكر ذلك جاهل بتوجيه معنى خبر الله عن الميزان وخبر رسوله صلى الله عليه وسلم عن وجهته ، وقال وكيف توزن الأعمال ، والأعمال ليست بأجسام توصف بالثقل والخفة ، وإنما توزن الأشياء ليعرف ثقلها من خفتها ، وكثرتها من قلتها ، وذلك لا يجوز إلا على الأشياء التي توصف بالثقل ، والخفة ، والكثرة ، والقلة . قيل له في قوله : وما وجه وزن الله الأعمال ، وهو العالم بمقاديرها ، قبل كونها وزن ذلك نظير إثباته إياه ... وزن الله أعمال خلقه ، بأن يوضع العبد ، وكتب حسناته في كفة من كفتي الميزان ، وكتب سيئاته في الكفة الأخرى ، ويحدث الله تبارك وتعالى ثقلاً وخفة في الكفة التي الموزون بها ، أولى احتجاجاً

.....

١ ـ الأعراف : ٨، ٩ .

٢ ـ المؤمنون : ١٠٢ ، ١٠٣.

٣ ـ القارعة : ٦ ـ ٩ .

٤ ـ انظر : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، محمد بن محمد العمادي : ٢١٣/٣ .

٥ ـ المصدر السابق : ١٩٩/٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

من الله بذلك على خلقه كفعله بكثير منهم من استنطاق أيديهم وأرجلهم استشهاداً بذلك عليهم " (١) .

فالأوزان أشياء متعارف عليها في الدنيا ، ونلحظ أن الرسول الكريم (ﷺ) قد اتخذ المشابهة لما في الدنيا ، وسيلة لبيان غرضه وقصده من تسبيح الله (ﷻ) ، والكيفية التي يُحسب به أجر ذلك التسبيح ، يقول الرسول الكريم (ﷺ) : " كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن ، سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم " (٢) .

ولم يقتصر القرآن الكريم على تحويل الذنوب أو الأعمال من الأشياء المعنوية إلى المادية ، التي تُحمل أو تُوزن، بل تعدى ذلك إلى السماء، التي جعلها مادة محسوسة أيضاً ، مثل أي مادة دنيوية ، يمكن تلمّسها أو إمساكها بوساطة اليدين ، يقول تعالى : ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ (٣) ، فقد شبّه تعالى السماء يوم القيامة بالكتاب حين يُطوى على ما كتب فيه "السجل الصحيفة، والمعنى كطي السجل على ما فيه من مكتوب " (٤) ، ومثاله أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(٥) ، فقد شبه السموات بالشيء المادي الملموس الذي يمكن السيطرة عليه بقبضة اليد ، وفي ذلك إيضاح وإبانة لقدرة الله في السيطرة على مخلوقاته ، " ... وأن الوجه الحَسَن في حُسن هذه التشبيهات أن يقدَّر المعقول محسوساً ، ويُجعل كالأصل في ذلك المحسوس على طريق المبالغة " (٦).

.....

١ ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الطبري : ١٢٣/٨، ١٢٤

٢ ـ صحيح بخاري ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري ، دار ابن الهيثم ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٣م ، تقديم : أحمد محمد شاكر ، رقم الحديث (٦٤٠٦ ، ٦٦٨٢ ، ٧٥٦٣) .

٣ ـ الأنبياء : ١٠٤

٤ ـ الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، الواحدي : ٧٢٥/٢ .

٥ ـ الزمر : ٦٧

٦ ـ نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، فخرالدين الرازي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٥ ،ت : بكري شيخ أمين ، ١٩٢

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وإذا كانت نظرة الرازي إلى التشبيهات والاستعارات بهذه الرؤية ، بأن جعلها ضمن البيان والتوضيح لبيان قدرة الله وعظمته ، فإن سيد قطب قد وسّع هذا المنظور ليطلق عليه التجسيم على وجه التشبيه والتمثيل ، فقد أعطى المفهوم معنى أوسع من معنى سابقيه ، حتى أن البيان والتوضيح يكون أقرب للفهم ، فهو تشبيه الأمر المعنوي المجرد بأمر محسوس مجسم على سبيل التشبيه والتمثيل (١) .

المطلب الثاني : تعظيم الحدث :

وإذا جعل الرازي وظيفة التصوير في الشرح والإبانة والتوضيح ، فهذا الرأي لا يلقى أي قبول عند غيره من النقاد ، فالقزويني مثلاً يرى أن المبدع يلجأ إلى التصوير لغرض التزيين أو التشويق من جانب ، أو التشويه والتخويف من جانب آخر ، وذلك من أجل الترغيب في الشيء أو التنفير منه ، إذ يقول : " ... وهذه الوجوه تقتضي أن يكون وجه الشبه في المشبه به أتم ، وهو به أشهر ، ... ومنها تزينه للترغيب فيه كما في تشبيه وجه أسود بمقلة الظبي ومنها تشويهه للتنفير عنه كما في تشبيه وجه مجدور بسلحة جامدة قد نقرتها الديكة ، وقد أشار إلى هذين الغرضين ابن الرومي في قوله :

تقول : هذا في مُجاجُ النحل تمدحه وإن تعِبْ قلت : ذا قيءُ الزنابير " (٢) .

أما القرطاجني ، فيؤكد ما ذهب إليه القزويني ، بأن وظيفة التصوير تكون في التزيين والتشويه ، بوساطة العلاقة التي تربط التصوير بالتخييل ، فقد قسّم التصوير إلى قسمين ، قسم ضروري ، وقسّم ليس بضروري لكنه عون للضروري في إبراز التصوير ناحية القبح أو الحُسن ، وفي ذلك يقول : " وينقسم التخييل بالنسبة إلى الشعر قسمين : تخييل ضروري ، وتخييل ليس بضروري ، ولكنه أكيد ومستحب ، لكونه تكميلاً للضروري ، وعوناً له على ما يراد به من إنهاض النفس على طلب الشيء أو الهرب منه " (٣) ، فالتصوير عند القرطاجني ذو وظيفة تأثيرية ، تؤدي إلى الترغيب بالشيء أو التنفير منه . بمعنى أن التصوير له وظيفة

.....

١ ـ انظر : البيان في إعجاز القرآن ، صلاح عبد الفتاح الخالدي ، دار عمار للنشر والتوزيع ، عمان ، ط٣ ، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م : ١٩٠

٢ ـ الإيضاح في علوم البلاغة ، المعاني والبيان والبديع ، شرح تلخيص المفتاح ، محمد عبدالرحمن بن عمر أبو المعالي جلال الدين الخطيب القزويني، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط١ ، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م ، ص : ١٣٦ ، ديوان ابن الرومي ، علي بن العباس بن جريج ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٤ ، تحقيق : حسن نصار : ١١٤٥/٣

٣ ـ منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، حازم القرطاجني ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨١ ، ص : ٨٩ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

جوهرية ، تربط مباشرة بين العناصر التي تؤدي إلى السيطرة على المتلقي بالقبول للشيء أو النفور منه ، هذا الأمر قد ألمح إليه مصطفى ناصف ، بوساطة العلاقة التي تربط بين القلب والعقل ، وفي ذلك يقول : " إن الوحدة التي تسيطر على العمل الخيالي تعني بالتوافق التام بين العقل والقلب " (١) .

فناصف في رأيه السابق ، قد وسّع وظيفة التصوير لتشمل التزيين والتشويه ، الذي بدوره يؤدي إلى التأثير، وبهذا المفهوم الجديد لوظيفة التصوير ، فقد جعل التأثير الهدف الرئيس لهذه الوظيفة ، وهذا الرأي له أصحابه في النقد الحديث .

ويرى عبد الفتاح لاشين ، أن أهمية التصوير يكون في إظهار الفاعلية النفسية لمؤلفه ، فهو ـ أي التصوير ـ يُعدُّ تعبيراً صادقاً عن خلجات مبدعه ، ويُعدُّ تعبيراً حقيقياً لمشاعره النفسية التي تؤثر بدورها على المتلقي عند تحليله لها أيضاً ، يقول لاشين : " قد يجد الأديب في دلالة الألفاظ المجردة شيئاً من العموم وعدم الدقة ، أو يجد أن اللفظ المجرد لا يستطيع أن يحمل ما في نفسه من شعور ، فيفزع إلى فن التصوير في اللغة التي تقدم صوراً متعددة للتعبير عن المعنى الواحد ، فيختار منها ما يراه ملائماً لما في نفسه ، كفيلاً بنقله إلى السامع على شكل يرضاه ، أو ينتقي منها صورة يتخذها قالباً يصب فيه ما في نفسه وما يلفه من شعور " (٢) .

ويوافق علي صبح رأي لاشين ، في أن وظيفة التصوير تكون في الجمع بين إظهار ما في نفسية المؤلف من خلجات ، وما يصبو إليه من التأثير على المتلقي ، وهما مرحلتان مرتبطتان بعضهما ، ففي المرحلة الأولى ، يظهر ما أراد الأديب إظهاره من فكرة ، تحتوي بدورها على أحاسيس الأديب ومشاعره ، أما المرحلة الثانية ، فيكون دوره في إيقاظ المشاعر عند المتلقي وإثارتها " فالصورة الأدبية هي التركيب القائم على الإصابة في التنسيق الفني الحي لوسائل التعبير ، التي ينتقيها وجود الشاعر ـ أعني خواطره ومشاعره وعواطفه ـ المطلق من عالم المحسوسات ؛ ليكشف عن حقيقة المشهد أو المعنى في إطار تام مُحَس مُؤثر ، على نحو يوقظ الخواطر والمشاعر في الآخرين " (٣) ، فالتصوير عنده ، صلة ورابط ، بين شعور الشاعر ومشاعر المتلقي ، كأنه إفراغ لتلك الشحنات والانفعالات ، التي تكون في نفسية الشاعر ، فيفرغها في ذهنية المتكلم ، أو يدخل بوساطته ، إلى أحاسيس المتلقي ومشاعره ، ليثيرها على نمط ما .

.....

١ ـ الصورة الأدبية ، مصطفى ناصف ، دار الأندلس ، بيروت ، د . ط ، ص : ١٦ .

٢ ـ البيان في ضوء أساليب القرآن ، عبد الفتاح لاشين ، ص : ١٨ .

٣ ـ البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر ، علي علي صبح ، المكتبة الأزهرية ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٩٥م ، ص : ١١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولم يكتف علي صبح بهذا البيان لأهمية التصوير ، بل توسع بهذه الأهمية ليعطيها تعريفاً أوسع من سابقه ، ويعيد تلك الأهمية إلى القدرة التي يتضمنها التصوير من إيصال الفكرة بأوفر وقت وأوجز عبارة ، مما يؤدي ذلك إلى التوسع في أفكار المتلقي عند فهم الصورة ، وهذا الأمر يثير عند الأخير من تفكر في أبعادها ، الذي يؤدي إلى ألتماس صور جديدة واستحضارها ، كل ذلك مرده إلى تأثير الصورة الأولى فـ " الصورة هي أقدر الوسائل على نقل الأفكار العميقة ، والمشاعر الكثيفة في أوفر وقت ، وأوجز عبارة ، وأضيق حيز ، فكلما أمعن الناظر فيها ، استقطب أفكاراً جديدة " (١) .

وإذا أنعمنا النظر في الآيات التي تتحدث عن أهوال يوم القيامة ، أدركنا أن القرآن الكريم بوساطة التصوير قد نقل إلى المتلقي أحداث ذلك اليوم بأسلوب تصويري جميل ، فيه من الجمالية التي تضع المتلقي في قلب الحدث ، من أجل تعظيم الحدث وتهويله ، ومرّة أخرى يبرز أهمية ذلك اليوم بوساطة القسم بهذا اليوم لما له من الأهمية ، أما بالنسبة لتصوير أحداث ذلك اليوم ، حيث تشترك فيه مظاهر الطبيعة في إبراز هول ذلك اليوم ، يقول تعالى : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۞ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ۞ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۞ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۞ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۞ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۞ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۞ وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ ۞ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ۞ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ۞ وَإِذَا السَّمَاء كُشِطَتْ ۞ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۞ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۞ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ (٢) ، يرى الشوكاني أن الحديث عن ذلك اليوم ، إنما جاء للتعظيم " وأما الحديث فالمقصود به التمثيل على جهة تعظيم أمر الحساب والقصاص "(٣) . ويقول سيد قطب في وصف هذا الحدث ، بما فيه من أهوال ، اشتركت فيه كل من الأجرام السماوية ، ومظاهر الطبيعة ، ووحوش البرية : " هذا مشهد انقلاب تام لكل معهود ، وثورة شاملة لكل موجود ،

.....

١ ـ المرجع السابق : ٣٣ ، ٣٤

٢ ـ التكوير ١ ـ ١٤

٣ ـ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، دار الفكر ، بيروت، د. ط: ١١٤/٢، يرى الباحث أن الآية الكريمة لا تمثيل بها، وإنما هي وصف لأحداث ذلك اليوم .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تشترك في الانقلاب والثورة الأجرام السماوية والأرضية، والوحوش النافرة ، والدواجن الأليفة ، ونفوس البشر ، وأوضاع الأمور ...

ويبدأ المشهد بحركة جائحة ، وثورة ثائرة . وكأنما انطلقت من عقالها المردة المدمرة ، فراحت تقلب كل شيء ، وتنثر كل شيء . تهيج الساكن ، وتروع الآمن ... " (١) .

أما بالنسبة للمشهد الآخر ، الذي يصور المشاعر الإنسانية بما يسيطر عليها من خوف ورعب من هول ذلك اليوم ، فنجده في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءتِ الصَّاخَّةُ ۞ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۞ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۞ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ۞ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ (٢) ، يتحدث القرآن الكريم عن هول ذلك اليوم ، بوصف حالة الإنسان ، حيث تتقطع أوصال القربى ، وعلاقات المحبة ، وأول ما يفر المرء من أقربائه وأحبائه ؛ لأن الإنسان في ذلك اليوم جاء ما يشغله عن الأمور الدنيوية ، يقول الزمخشري : " يقال صخَّ لحديثه مثل أصاخ له ، فوصفت النفخة بالصّاخّة مجازاً ؛ لأن الناس يصخُّون لها (يفرُّ) منهم لاشتغاله بما هو مدفوع إليه ، ولعلمه أنهم لا يغنون عنه شيئاً . وبدأ بالأخ ثم بالأبوين ؛ لأنهما أقرب منه ، ثم بالصاحبة والبنين لأنهم أقرب وأحب ، كأنه قال : يفرُّ من أخيه بل من أبويه بل من صاحبته وبنيه ، وقيل : يفرُّ منهم حذراً من مطالبتهم بالتبعات "(٣) ، ويقول ابن كثير : " يوم يفر المرء من أخيه ، وأمه ، وأبيه ، وصاحبته ، وبنيه ؛ أي يراهم ويفر عنهم ؛ لأن الهول عظيم والخطب جليل " (٤) ، ويعتقد الباحث أن التبعات ، هي التي تجبر المرء في ذلك اليوم على الفرار والهرب من أقرب الناس إليه ، فتكون بداية الفرار من البعيد ، غير المسؤول عنه بشكل مباشر ، وهو الأخ ، ويختمها القرآن بالمسؤولية المباشرة ، التي تكون على الأبناء .

ولبيان عظمة ذلك اليوم ، فقد نوّع القرآن في الإخبار عنه ، وذلك واستخدام وسائل أسلوبية كانت العرب تستخدمها للغرض نفسه ، ومن ذلك مثلاً القسم ، فإن القسم بالشيء يكون تعظيماً لهذا : " هو أن يريد المتكلم الحلف على شيء ، فيحلف بما يكون فيه ، فخر له ، أو تعظيم لشأنه ، أو تنويه لقدره " (٥) ، ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ (٦) ، يقول

---

١ ـ مشاهد القيامة في القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ، القاهرة ، ط ١٤ ، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م: ٦٧ .
٢ ـ عبس : ٣٣ ـ ٣٧
٣ ـ الكشاف : ٥٤٨/٤
٤ ـ تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير : ٤٧٤/٤
٥ ـ إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن ، الغزي: ٢/ ٢٥١
٦ ـ القيامة : ١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الزمخشري : " والمعنى في ذلك أنه لا يقسم بالشيء إلا إعظاماً له " (١).

ويُعدُّ الاستفهام من الأساليب التي استخدمها العرب للتعظيم ، ولذلك جاء القرآن بهذا الأسلوب ليخاطبهم بالأساليب المستخدمة عندهم ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ الْحَاقَّةُ ۞ مَا الْحَاقَّــةُ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴾ (٢) ، يقول القرطبي : " ما الحاقة ؛ لأن معناها ما هي واللفظ استفهام معناه التعظيم والتفخيم لشأنها " (٣) ، ويؤكد الطبري أن الاستفهام قد جاء للتعظيم ، عندما فسّر قوله تعالى : ﴿ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴾ (٤) ، حيث يقول : " لأي يوم أجلت ؛ أي أخرت ، وهذا تعظيم لذلك اليوم فهو استفهام على التعظيم " (٥) .

أما التكرار ، فاستخدامه أيضاً ، يدل على عظمة الشيء المكرر في القول ، يقول الطبري : " وكرر قوله تعالى كلا سوف تعلمون مرتين لأن العرب إذا أرادت التغليظ في التخويف والتهديد كرروا الكلمة مرتين " (٦) ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۞ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ (٧) ، حيث تكررت الجملة (ما أدراك ما يوم الدين) على سبيل التعظيم ، يقول الكرماني : " وما أدراك ما يوم الدين تكرار أفاد التعظيم في القرآن " (٨) . *

.....

١ ـ الكشاف : ٤ / ٥٠٦

٢ ـ الحاقة : ١ ـ ٣

٣ ـ الجامع لأحكام القرآن : ١٨/ ٢٥٧

٤ ـ المرسلات : ١٢

٥ ـ الجامع لأحكام القرآن : ١٩/ ١٥٨

٦ ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٣٠/ ٢٨٥

٧ ـ الانفطار : ١٧ ، ١٨

٨ ـ أسرار التكرار في القرآن ، المسمى بـ " توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان " ، محمد بن حمزة بن نصر الكرماني ، دار الاعتصام ، القاهرة ، ط٢ ، ١٣٩٦هـ ، تحقيق : عبدالقادر أحمد عطا ، ٢١٥/١ ، انظر : تفسير الجلالين ، محمد بن أحمد وعبدالرحمن بن أبي بكر المحلي والسيوطي : ٧٦١/١

*) أما فضل حسن عباس ، فيرى أن التكرار جاء لفائدة تأكيد الإنذار ، انظر : البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني) ، فضل حسن عباس ، دار الفرقان ، عمان ، ط ٩ ، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م : ٥٠٤

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ولم يكتفِ القرآن بالأساليب السابقة لبيان عظمة الحدث ، بل استخدم اسم الإشارة (تلك) للغرض نفسه في التعظيم ، ومثال ذلك قوله تعالى :﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ (١) ، يقول أبو السعود : " تلك الدار الآخرة إشارة تعظيم وتفخيم ، كأنه قيل : تلك التي سمعت خبرها "(٢) ، ويقول الألوسي : " تلك الدار الآخرة مشيراً إشارة تعظيم وتفخيم ما نزل لشهرته منزلة المحسوس المشاهد "(٣) .

المطلب الثالث : الترهيب :

إن أهمية الصورة الفنية ، تظهر بوساطة الإسهامات الكثيرة ، التي تنتجها من أجل إبراز الجوانب الكلية للمعنى ، ويتم ذلك بالتكثيف الذي تسهم فيه ، لإخراج ذلك المعنى بطرق جمالية لا يمكن إجمالها في الكلام المباشر" تسهم الصورة إسهاماً كبيراً في تكثيف المعنى "(٤) ، وهذا الأمر جعل للتصوير قدرة كبيرة في إظهار جوانب عدّة ، وخاصة في الإخبار عن الأمور المستقبلية ، وقد تنبه عدد من الباحثين إلى هذا الأسلوب القرآني ، وخاصة في التفريق بين كون الخطاب للمؤمنين أو للكافرين ، : " وقد عرفنا هذا الأسلوب يجري على نمطين ـ غالباً ـ فإذا ذكر ـ سبحانه ـ الخطاب ﴿ يا أيها الذين آمنوا...﴾ كان للترغيب والحث على أمر ما. . . وإذا ذكر ﴿ يا أيها الناس﴾ فإن الخطاب يتوجه للكافرين ويكون فيه ترهيب من أمر ما يفعلونه " (٥) .

وإذا كان النداء له ميزته الخاصة كما ذكر حسين جمعة ، وبوساطته يمكن التمييز بين أنواع المخاطبين ، يرى الباحث أن الخطاب القرآني بـ ﴿ يا أيها الناس﴾ هو خطاب عام يشمل الكافرين والمؤمنين معاً ، جاعلاً الترهيب عنصراً فاعلاً في تصوير أحداث ذلك اليوم ، والحال التي يكون الناس عليها ، وما يحدث للطبيعة من اضطراب ، والأجرام السماوية من تناثر ، بصور جديدة لم يعهدها الإنسان في حياته ، ممثلاً كل ذلك بأسلوب تصويري جميل ، ينقل الأحداث التي تنتظر الإنسان في ذلك اليوم .

.....

١ ـ القصص : ٨٣

٢ ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم : ٢٧/٧

٣ ـ روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني ، ١٢٥/٢٠

٤ ـ الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز ، مختار عطية ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ، د . ط ، ص : ٢٥٢ .

٥ ـ جمالية الخبر والإنشاء (دراسة بلاغية جمالية نقدية) ، د . حسين جمعة ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٥ ، ص : ١٩٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

حتى يحدث التصوير فاعليته في الترهيب عند المتلقي، لم يكتفِ بنقل صورة الإنسان ، والكيفية التي يكون عليها في ذلك اليوم ، بل نجد أن القرآن قد جمع من العناصر الأخرى المشاركة له في دنياه ، والتي كان ينظر إليها بإعجاب وعظمة ، حتى يقارن في مخيلته ، الكيفية التي آلت إليها في ذلك اليوم العصيب ، فأصبحت عناصر توحي بالضعف بعد القوة ، الاضطراب بعدما كانت رمزاً للنظام ، ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ إِذَا السَّمَاء انفَطَرَتْ ۞ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ۞ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۞ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴾ (١) .

فهذا مشهد من مشاهد الآخرة ، ينقله القرآن الكريم بأسلوب التصوير ، مبيناً فيه حال الشمس الكواكب ، هذه المسميات العظام ، التي عُرفت بالقوة والنظام في الدنيا ، كيف أصبحت ، لا قوة ولا نظام لها ، فالسماء تنفطر ، الكواكب تتناثر وتتساقط (٢) ، والبحار تُفتح بعضها إلى بعض ، فتصبح بحراً واحداً(٣) ، والقبور يُقلب ترابها ، فيخرج موتاها (٤) .

فالمشهد السابق يصور يوم الحشر ، مشهد يختلف تمام الاختلاف عما هو معهود في الدنيا ، كل عنصر له حركة تثير الخوف في النفس البشرية ، وكل حدث له وقعه الشديد الذي يؤدي إلى إثارة مشاعر وأحاسيس المتلقي ، يقول سيد قطب : " عودة إلى المشاهد الطبيعية المنقلبة في اليوم العظيم : السماء منفطرة منشقة ، والكواكب مبعثرة منتثرة ، والبحار فائضة متفجرة ، والقبور منبوشة مبعثرة . هول في السماء وفي الأرض ، حركة عنيفة في الطبيعة " (٥) .

ويضيف قائلاً : " وهذه الأحداث الكونية الضخام ، تشير بجملتها إلى هذا الكون الذي نعهده . الكون المنسق الجميل ، الموزون الحركة ، المضبوط النسبة ، المتين الصنعة ، المبني بأيد بإحكام . إن هذا النظام سينفرط عقد نظامه ، وتتناثر أجزاؤه ، وتذهب عنه صفاته هذه التي يقوم بها ؛ وينتهي إلى أجله المقدر ، حيث تنتهي الخلائق إلى صورة أخرى من الكون ، ومن الحياة ، ومن الحقائق غير ما عهدت نهائياً في هذا الكون المعهود " (٦) .

لقد شمل القرآن الكريم في تصويره لأهوال يوم القيامة ، جميع العناصر التي تثير أحاسيس ومشاعر المتلقي ، هذه الأحداث التي نقلها القرآن الكريم بأسلوب التصوير ، مبيناً بوساطتها

.....

١ ـ الانفطار : ١ ـ ٤

٢ ـ انظر : الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي : ٢٣١/١٩

٣ ـ انظر : المصدر السابق : ٢٤٤/١٩ ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، أبو السعود : ١٢٠/٩

٤ ـ انظر : تفسير البيضاوي ، البيضاوي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٦ ـ ١٩٩٩٦ ، ت : عبدالقادر عرفات العشا حسونة : ٤٦٠/٥ .

٥ ـ مشاهد القيامة في القرآن : ٢٢٧

٦ ـ في ظلال القرآن ، سيد قطب : مج٨ ، ج٣٠ ، ص : ٤٧٥ ، ٤٧٦

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أهوال يوم القيامة ووقائعه ، حيث ألقت بظلالها على نفسية المتلقي ، وأحكمت سيطرتها عليه، يقول سيد قطب : " وهذا هو الشعور العام الذي يتسرب إلى النفس وهي تطالع مشاهد هذا الانقلاب المرهوب "(١) .

وفي مشهد آخر ، ينقل القرآن الكريم المتلقي في تصوير حي إلى الآخرة ، وخاصة في لحظة الحساب ، ليريه حالة الناس في مشهدين مختلفين ، كل مشهد له خصائصه وسماته التي تميزه عن المشهد الآخر ، فالمشهد الأول مشهد الفرح والسرور ، حيث يتحدث عن رضا صاحبه بما وصل إليه ، هذا المشهد ينقله القرآن الكريم بأسلوب جميل ، يكون فيه التصوير هو العامل الظاهر ، ونلحظ ذلك حين يتحدث القرآن عن الإنسان في حالة إمساكه بكتابه ، فالقرآن لم يتحدث مباشرة عن الكتاب ومحتوياته ، ولم ينقل ما دار فيه من أحداث ومعطيات ، بل على العكس ، نجد الصورة هي التي تتحدث عن ذلك الموقف ، وتحديداً ، حين تصوّر الإنسان وهو يمسك كتابه ، إلا أن جهة إتيان الكتاب هي التي تحدد مستقبل ذلك الإنسان ، من حيث السعادة والشقاوة في الآخرة .

وإذا ما تابع المتلقي المشهد ، يلحظ أن تحديد مكان إتيان الكتاب أو جهة قبضه هو المهم ، وبوساطته يمكن معرفة حياة الإنسان في الآخرة ، وبمعنى آخر ، هو ترجمان لما في الكتاب أو إخبار لما يحويه الكتاب من العلم والبيان ، ففي الموقف الأول يعبر عنه القرآن باليمين ، يقول تعالى في ذلك : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ ۞ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهْ ۞ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ (٢) ، وقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۞ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً ۞ وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً﴾ (٣) ، فالآيات السابقة ، تتحدث عن حساب الإنسان المؤمن ، بما نال من الفرح والسرور ، ودل على ذلك إتيان كتابه باليمين ، يقول سيد قطب : " والمشهد المعروض هو مشهد الناجي في ذلك اليوم العصيب ، وهو ينطلق في فرحة غامرة ، بين الجموع الحاشدة ، تملأ الفرحة جوانحه " (٤) ، فاستعمال القرآن الكريم لليمين دلالة على الرضا والسرور ، يقول ابن عاشور : " وإيتاء الكتاب باليمين علامة على أنه إيتاء كرامة وتبشير ، والعرب يذكرون التناول باليمين كناية على الاهتمام

---

١ ـ المرجع السابق : ٤٧٦/٨ .
٢ ـ الحاقة : ١٩ ـ ٢١ .
٣ ـ الانشقاق : ٧ ـ ٩
٤ ـ في ظلال القرآن ، مج٨ ، ج٢٨ : ٢٥٦ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بالمأخوذ والاعتزاز به " (١) .

ولم يبق القرآن على ذكر اليمين فقط ، بل أضاف شرحاً وافياً لفرحة ذلك الإنسان ، بعد ذكر تناول كتابه بيمينه ، وقد عبّر بذلك بوساطة ما نقله على لسان ذلك الإنسان .

وفي موقع آخر ، نعتهم القرآن الكريم بأصحاب الميمنة ؛ لأنهم يأخذون كتبهم بأيمانهم ، يقول تعالى في ذلك : ﴿ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ (٢) ، وقوله تعالى : ﴿ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ (٣) .

وفي جانب آخر ، يعرض القرآن الكريم صوراً للإنسان الكافر ، الذي عصى ربه وأوامره في الدنيا ، ينقل ذلك بمشهد آخر ، يقابل مشهد المؤمن ، لكن في حالة مختلفة ، فكما أن المؤمن في مكان آمن ، نجد أن الكافر في منزلة عسيرة ، لا أمن فيها ولا اطمئنان ، عبّر القرآن عن تلك المرحلة بوساطة الشمال ، ليعطي طابع الترهيب من هول الموقف ، يقول تعالى في ذلك : ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ ۞ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ ۞ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ۞ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ ۞ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ﴾ (٤) ، وفي موقف آخر ، يعبّر القرآن عن الشمال بـ (وراء الظهر) بحالة عدم الرضا عما وصل إليه الإنسان الكافر في ذلك اليوم ، يقول تعالى في ذلك : ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاء ظَهْرِهِ ۞ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً ۞ وَيَصْلَى سَعِيراً﴾ (٥) ، إلا أن الموقفين السابقين لأصحاب الشمال يصوران حالة الإنسان في ذلك اليوم ، لكن الخلاف بينهما كائن في طريقة الإخبار ، ففي الموقف الأول ، ينقل القرآن الإخبار بما آل إليه الموقف بلسان الكافر ، فالإنسان الكافر في ذلك الموقف ، يتمنى عدم إتيان كتابه بشماله ، وهو يدرك أن من وراء هذا الإتيان الحساب العسير ، وهذا المشهد ما جاء في آيات الحاقة ، لكن في الموقف الثاني ، والذي أخبرت عنه آيات سورة الانشقاق ، فقد جاء التعبير بـ (وراء الظهر) ، حيث ينقل القرآن حالة الإنسان الممسك كتابه ، بما يملئ قلبه من

.....

١ ـ التحرير والتنوير ، مج ١٤ ، ج ٢٩ : ١٣٠ .
٢ ـ الواقعة : ٨ .
٣ ـ البلد : ١٨ .
٤ ـ الحاقة : ٢٥ ـ ٢٩ .
٥ ـ الانشقاق : ١٠ ـ ١٢ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الخوف والرعب اللذان يخيمان على قلبه ، على الرغم من أن أكثر المفسرين قد فسروا قوله تعالى (وراء ظهره) بمعنى شماله (١) ، وهنا يلحظ الباحث أن التعبيرين جاءا وفق نمطين مختلفين ، على الرغم من أن النمطين يتحدثان عن موقف واحد ؛ أي أن ظاهر القول ينقل حالة الإنسان الكافر يوم القيامة ، وخلال عرضه على الحساب ، إلا أن الموقفين مختلفين من حيث العرض ، ففي الموقف الأول ينقل الموقف بكلام الإنسان نفسه ، وهذا الأمر نلحظه في آيات سورة الحاقة ، أما آيات سورة الانشقاق ، فإن القرآن ينقل حال الإنسان في الآخرة حسب أعماله في الدنيا ، فكأنه يخبر عن مستقبل آتٍ حسب معطيات الإنسان في الدنيا، ولذلك عبّر عن ذلك بقوله تعالى (وراء ظهره) ، بمعنى أن من أعرض عن ذكر الله ــ تعالى ذكره ــ في الدنيا ، فيكون نتاجه بأن يأتيه كتابه بما يحمله في الدنيا من وراء ظهره .

المطلب الرابع : قوة التأثير لحصول الاستجابة والانفعالية .

إن نظرة النقاد إلى وظيفة الصورة الفنية سواء أكان للشرح والإيضاح ، أم الترهيب ، أم لبيان لقوة الحدث . . . الخ ، لم تلقَ تأييداً عند عدد من النقاد والباحثين ، الذين وجدوا للصورة الفنية وظيفة أخرى ، لم ينتبه إليها غيرهم ، هذه الوظيفة لا ترتبط بالأديب أو العمل الأدبي ، بل ارتباطها يكون في التأثير في المتلقي، مما يؤدي هذا التأثير إلى الاستجابة .

بهذا المفهوم الجديد لأهمية الصورة الفنية ، يرى الباحث أن وظيفة الصورة قد سارت في اتجاه جديد ، خرجت بوساطته عن المألوف ، ومما يؤيد ذلك جابر عصفور ، الذي يرى أن أهمية الصورة تنبع من تأثيرها في المتلقي ، واستثارة أحاسيسه ومداركه الذهنية ، إذ يقول : " طبيعة الصورة بكونها تقديماً حسياً للمعنى ، وقد لاحظ النقاد علاقة الصورة بمدركات الحس ، وقدرتها المتميزة على مخاطبة إحساسات المتلقي ، وإثارة صورة ذهنية في مخيلته " (٢) .

وبصورة أوضح لأهمية الصورة ما نجده عند عز الدين إسماعيل ، الذي جعل اسم الصورة مرتبطاً بالتأثير والاستجابة الانفعالية عند المتلقي ، ولولا الاستجابة لما كانت بهذا الاسم " إن

.....

١ ــ انظر : تفسير البيضاوي ، البيضاوي : ٤٦٩/٥ ، تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير : ٤٩٠/٤

٢ ــ الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، جابر أحمد عصفور، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٩٢ ، ص : ٩

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الصورة تكون جديرة بهذا الاسم عندما تخلق الاستجابة الانفعالية ، وإذا لم تخلقها كنا أمام بلاغة فقط وليس أمام صورة " (١) .

ويؤكد إسماعيل في موضع آخر ما ذهب إليه سابقاً ، بأن الصورة هي الحافز الذي يثير مشاعر المتلقي وانفعالاته : " إن الصورة تؤدي إلى إثارة المتلقي " (٢) .

أما الزعبي ـ عند تفسيره لنظرية الجرجاني في ربط التخييل بالصور البيانية ـ فيرى أن التأثير في المتلقي بوساطة الصور الفنية ، هو الأجدى نفعاً ، وأكثر فاعلية من الكلام المباشر ، وهذا التأثير يصل إلى حدّ السيطرة على ذهنية المتلقي ، أو كما وصفه بالسحر ، الذي يتحكم بعواطف المتلقي ومشاعره ، يقول في ذلك : " ويمعن الجرجاني في الحديث عن التخييل في الشعر ، مبيناً كيفية تجلياته في الصور البيانية : في الاستعارات ، والتشبيهات، والتمثيل ، وغيرها ، ورابطاً هذا كله بعمق التأثير في المتلقي تأثيراً يصل إلى حدّ السحر : (٣) ، ويضيف الزعبي قائلاً : " لأن الهدف الأساسي الذي يسعى الشعر إلى تحقيقه هو استثارة انفعال السامع من خلال صور ينفعل لتخيلها وتصورها " (٤) .

ويشير كبّابه إلى أن تأثير الصورة الفنية ،لا يتمُّ إلا بوساطة الملامسة القوية لعواطف المتلقي وأحاسيسه " غير أن استخدام الصور المجازية لا يقصد بها مجرد استعادة البهاء الحسي للأشياء ، وتصوير تجربة الشاعر فحسب ، وإنما ليبعث الحياة فيها عن طريق ربطها بعواطفنا وأمالنا ومخاوفنا وتقاليدنا ورغباتنا " (٥) .

ويلمّح سيد قطب لأثر التصوير في إثارة مشاعر وأحاسيس المتلقي ، وهو بذلك يؤكد على الميزة الخاصة التي امتاز بها التصوير القرآني في التأثير على المتلقي ، بوساطة تصوير المعاني

.....

١ـ نقلاً عن ، رسالة ماجستير بعنوان (الصورة الفنية في القصة القرآنية ، قصة سيدنا يوسف ـ عليه السلام نموذجاً ـ دراسة جمالية) ، بلحسيني نصيرة ، الجزائر ، جامعة تلمسان ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية ، قسم اللغة العربية وآدابها ، ص : ٣٩

٢ ـ التفسير النفسي للأدب ، عز الدين إسماعيل ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص : ٦٧ .

٣ ـ المتلقي عند حازم القرطاجني ، زياد صالح الزعبي ، مجلة الجامعة الإسلامية ، المجلد التاسع ، العدد الأول : ٣٣٩ ، ص ٣٦٣ ، ٢٠٠١

٤ ـ المرجع السابق ، ص : ٣٥٥

٥ ـ الصورة الفنية في شعر الطائيين بين الانفعال والحس ـ دراسة ـ ، وحيد صبحي كبّابه ، من منشورات إتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ١٩٩٩ : ١٢

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الذهنية والحالات النفسية ، وإظهارها بصورة حسية ، وبهذا المعنى ، يستحضر الحالات التي تسيطر على الإنسان داخل النص القرآني ، بإبرازها كأنها مواد تُحسُ وتُنظرُ من قبل المتلقي ، ويجعلها حالة تشبه حالة المتلقي ، إذا صار حاله إلى هذا الموقف ، إذ يقول : " لقد كانت السمة الأولى للتعبير القرآني هي إتباع تصوير المعاني الذهنية والحالات النفسية ، وإبرازها في صور حسية ، والسير على طريقة تصوير المشاهد الطبيعية ، والحوادث الماضية ... " (١) .

ويوافق البوطي رأي سيد قطب ، بأن أهمية التصوير وروعته ، تكون في تنبيه المشاعر والأحاسيس المختلفة عند المتلقي ، مما يؤدي إلى ترسيخ الصورة في النفس والوجدان ، حيث يقول : " لأنّ المعرفة العلمية وحدها لا تكفي في الإنجذاب والتأثير ، فلا بد معها من غزو لمناطق الشعور ، وبعث لكوامن العواطف ؛ حتى يتهيأ السامع إذا سمع ، والقارئ إذا تلا إلى انجذاب نفسي ، يدفعه إلى إعتناق أشرف المبادئ وأحكم المثل " (٢) .

ويحيل عبد السلام راغب التأثير والاستجابة للصورة لطرفي الموضوع ، الطرف الأول ويقصد به الصورة نفسها ، أما الطرف الثاني فنسبه إلى المتلقي ، ففي الطرف الأول ، يرى أن التأثير للصورة ، يكون بسبب إخراج المعاني من المدارك الذهنية إلى الصور حسية ، يشاهدها المتلقي تسلسلياً ، بحركة بطيئة ، مما يؤدي إلى التأثر بهذه الصورة والاستجابة لها " فالإنسان يتأثر بالصورة ، ويتفاعل معها، لأنها تقديم حسي للمعنى، ولأن المعنى لا يدرج دفعة واحدة ، بل يتم إدراكه بتدرّج وبطء ، وهذا ما يثير الإنسان ، ويدفعه إلى تأمل الصورة مرات ومرات "(٣) .

وأما الطرف الثاني ، الذي أعاده الراغب إلى المتلقي نفسه ، فيكون دوره ــ المتلقي ــ في التأمل الكبير للصورة ، من حيث ترتيب أجزائها ، وكشف وظيفتها ، حتى يستطيع فهمها بجميع أبعادها " ولكي يحقق المتلقي ذلك ، لا بدّ أن يبذل الجهد ، حتى تتكشف له الصورة ووظيفتها ، فإذا تمّ له كشف ذلك تحقق التأثير فيه " (٤) .

على الرغم أن التصوير له الفاعلية الكبرى في الإثارة والاستجابة ، إلا أنه في الوقت نفسه ، ليس كل تصوير له الفاعلية نفسها في جذب انتباه المتلقي ، وإثارة أحاسيسه ومداركه الذهنية ، وإنما يكون التأثير في العلاقات التي تترابط بوساطتها الصورة ، حتى وإن كانت رموزاً أو

.....

١ ــ التصوير الفني في القرآن ، سيد قطب ، ص : ٢٤١ .

٢ ــ من روائع القرآن ، محمد سعيد رمضان البوطي مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٦هـ ــ ١٩٩٦م ، ص : ١٦٨

٣ ــ وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم ، عبد السلام أحمد الراغب ، فصلت للدراسات والترجمة والنشر ، حلب ، سورية ، ط١ ، ٢٠٠١م ، ص : ٤٢٠

٤ ــ المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إشارات ، وربما يتعدى التأثير إلى التناسق بين المتباعدات ، أو المتنافرات ، يقول الجرجاني : " إنما الصنعةُ والحذق ، والنظر الذي يلطف ويدقّ ، في أن تجمع في أعناق المتنافرات والمتباينات في ربقة ، وتعقد بين الأجنبيات معاقد نسب وشبكة ، ... وذلك تبّين لك فيما تراه من الصناعات من وسائل الأعمال التي تُنسب إلى الدقة ، فإنك تجد الصورة المعمولة فيها ، كلما كانت أجزاؤها أشدّ اختلافاً في الشكل والهيئة ، ثم كان التلاؤم بينها مع ذلك أتم ، والائتلاف أبين، كان شأنها أعجب ، والحذق لمصوّرها أوجب " (١) ، ويؤكد الرباعي ما ذهب إليه الجرجاني بقوله : " وللصورة الشعرية أشكال مختلفة ، يساير كل شكل منها طبيعة الجمال أو النفس التي ينشأ عنها ، فبعض أشكال الصور بسيط ، لا يتعدى الإشارات الساذجة أو التشابه المتناسبة الأجزاء ، وبعضها معقد شديد التعقيد ، كالرموز والاستعارات التي لا تقف عند إيجاد علاقات بين أمور متناسبة ، أو متشابهة ، أو متجانسة فحسب ، وإنما تتعدى ذلك إلى إحداث علاقات بين أمور مختلفة ، بل بين أمور متضادة متنافرة أيضاً " (٢) .

والمتأمل في آيات القرآن الكريم ، والمنعم في صوره ، خاصة أحداث يوم القيامة ، يلحظ أن طابع التصوير قد نقل المتلقي بطريقة غير مباشرة إلى أهوال وأحداث ذلك اليوم ، وأن المتلقي بدوره ، يقوم بجمع صوره ، وترتيب أجزاء تلك الصور ، لبيان الصورة الكلية التي أراد القرآن الكريم أن يريه إياها ، فإذا كانت لهذا المتلقي تلك القدرة لذلك ، أنعم النظر طويلاً في التأمل ، مما يؤدي إلى إثارة أحاسيسه ومشاعره عند فهم هذه الصورة ، وإدراك أبعادها والتماس أهدافها * ، ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۞ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۞ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴾(٣)، وقوله تعالى : ﴿ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ۞ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ۞ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ۞ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ (٤) ، فهذان موقفان يصوران حال الإنسان يوم القيامة ، وكلا الموقفين يستحضر مشاعر الإنسان وأحاسيسه ، ليصور

---

١ ـ أسرار البلاغة ، عبدالقاهر الجرجاني ، ١٤٨

٢ ـ الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، عبدالقادر الرباعي ، جامعة اليرموك ، اربد ، الأردن ط١ ، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م ، ص : ١٥

* في هذا البحث ، يتجاوز الباحث عن الترتيب وفق القرآن الكريم في السور ، من حيث تقديم بعض السور على بعض ، لما يقتضيه الشرح والبيان .

٣ ـ عبس : ٣٤ ـ ٣٦

٤ ـ المعارج : ١١ ـ ١٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الحال التي يكون عليها الناس في ذلك اليوم ، فأما الموقف الأول ، فإن القرآن الكريم يصور حالة الإنسان يوم قيام الساعة ، وما يسيطر عليهم من مشاعر الخوف والفزع ، حتى أن ذلك الإنسان يفر من أقرب الناس إليه ، فبدأ القرآن بالأبعد وهو الأخ ، ثم الأبوين لأنهما الأقرب منه.

أما الموقف الثاني ، فيبدأ المشهد القرآني بالأقرب ، فالإنسان في ذلك الوقت ، يحاول أن يقدم الغالي والنفيس لفداء نفسه من العذاب ، وهو وقت قد استقرت به الحال ، وعرف كل إنسان مصيره ، فالمجرم حين يدرك أن مصيره إلى النار، يحاول حينئذٍ فداء نفسه بالأقرب وهو الابن ، ثم يقدم صاحبته وأخيه ... الخ ، يقول سيد قطب : " فما بال (المجرم) ؟ إن الهول ليأخذ بحسه ، وإن الرعب ليذهب بنفسه ، وإنه ليود لو يفتدى من عذاب يومئذ بأعز الناس عليه ، ممن كان يفتديهم بنفسه في الحياة ، ويناضل عنهم ، ويعيش لهم . . ببنيه . وزوجته وأخيه ... " (١) ، ويقول ابن عاشور : " يصرخ الكافر يومئذٍ فيقول : أفتدي من العذاب ببنيّ وصاحبتي وفصيلتي ... الافتداء : إعطاء الفداء ، وهو ما يعطى عوضا لإنقاذٍ من تبعةٍ " (٢) .

فالموقفان السابقان هما موقفان مختلفان ، فالأول يصور الفزع والخوف من هول يوم القيامة ، بينما يصور الموقف الثاني حال المجرم إذا ما آلت به الحال إلى العذاب ، وشبيه بهذين الموقفين ما نجده في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾(٣)، وقوله تعالى : ﴿ خُشَّعاً أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ ﴾ (٤) ، ففي الموقف الأول (سورة القارعة) تصوير لحالة الناس يوم تقوم الساعة ، من هول ذلك اليوم يكونون كالفراش في الخفة وعدم الهداية ، أما الموقف الثاني (سورة القمر) تصوير لحالة الناس ملبين لدعوة الداعي للحساب .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

.....

١ ـ في ظلال القرآن مج ٨ ، ج٢٨ ، ص : ٢٧٩ .

٢ ـ التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور ، مج ١٤ ، ج٢٩ ، ص : ١٦٠ ، ١٦١

٣ ـ القارعة : ٤

٤ ـ القمر : ٧

الفصل الثاني

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أسلوب البناء اللغوي والإيقاعي في خطاب التهويل :

المبحث الأول : اللفظ والسياق :

المطلب الأول : البنية الصوتية ودورها في تهويل الحدث .

المطلب الثاني : الإيقاع المناسب للأحداث

المبحث الثاني : أنماط التركيب :

المطلب الأول : التكرار .

المطلب الثاني : التقديم والتأخير .

المطلب الثالث : الحذف والذكر .

المطلب الرابع : التوسع .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أسلوب البناء اللغوي والإيقاعي في خطاب التهويل :

المبحث الأول : اللفظ والسياق في خطاب التهويل :
المطلب الأول : دور السياق في تحديد اللفظ :

لا يختلف الخطاب القرآني ـ وخاصة خطاب التهويل ـ عن غيره من أنواع الخطابات من حيث البنية التكوينية للألفاظ والجمل ، فهو مثل غيره ، يتألف من حروف وألفاظ وجمل ، لكن الخلاف الواقع بينها كائن في الطريقة التي تألفت فيها هذه الألفاظ ، والكيفية التي جاءت عليها ، والمعاني التي تحملها ، وكل ذلك عائد إلى السياق الذي يربط بعضها مع بعض ، مما يؤدي إلى جذب سمع المتلقي وانتباهه ، واستحضار تفكيره وذهنه ، واجتذاب وجدانه وقلبه ، فيسري إليه الخشوع أولاً ، ويتبعه الخوف ثانياً ، وتستحوذ عليه الخشية ثالثاً .

فالسياق ذو وظيفة عظيمة ، هذه الوظيفة تظهر فائدتها بوساطة بيان معاني المفردات والألفاظ ، من خلال ضم بعضها إلى بعض ، وقد بيّن الجرجاني ذلك بقوله : " إن الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتعرف بها معانيها في أنفسها ، ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض ، فيعرف فيما بينها من فوائد " (١) .

ويوضح سيد قطب فضل السياق في تحديد اللفظ ، حين بيّن سبب تسمية الدنيا بالعاجلة في سورة القيامة (٢) ، يقول في ذلك : " وأول ما يلحظ من ناحية التناسق في السياق ، هو تسمية الدنيا بالعاجلة في هذا الموضع . ففضلا عن إيحاء اللفظ ، بقصر هذه الحياة وسرعة انقضائها ـ وهو الإيحاء المقصود ـ فإن هناك تناسقا بين ظل اللفظ ، وظل الموقف السابق المعترض في السياق " (٣) .

ويؤكد السامرائي ما ذهب إليه سيد قطب ، حين تحدث عن تعاور المفردات باستعمال القرآن للفظ (الطور) في قوله تعالى : ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾(٤)، واستعمال (الجبل) في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ ﴾ (٥) ، يقول في ذلك : " إن الذي نريد أن نوضحه أن ذلك ليس

---

١ ـ دلائل الإعجاز، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي ، دار المدني ، القاهرة، جدة، ط ٣ ، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م ، ت : محمود محمد شاكر: ٥٣٩

٢ ـ انظر : القيامة : ٢٠

٣ ـ في ظلال القرآن : ٣٨٢/٢٩

٤ ـ البقرة : ٦٣ ، انظر : السورة نفسها : ٩٣

٥ ـ الأعراف : ١٧١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تناقضاً ولا اختلافاً ، بل إن ما ذكره في الموضعين حق حتى لو اختلف معني المفردتين . ذلك أن المذكور قد يكون عاماً في موطن وخاصاً في موطن آخر ، وقد يكون له حالتان فيذكر حالة في موطن ويذكر حالة أخرى في موطن آخر ، وقد يكون الأمر عاماً فيذكر جزءاً منه في موطن ويذكر الجزء الآخر في الموطن الآخر وهكذا. وكل ذلك بحسب ما يقتضيه السياق والنظام" (١) .

ويوضح فضل عباس دقة السياق القرآني في اختيار اللفظة المناسبة لكلٍ من اللفظ والمعنى ، حين تحدث عن تغاير الكلمات ، فقد استعمل السياق القرآني الاندثار للنجوم ، بينما استخدم الانتثار للكواكب (٢) .

مما سبق ، يلحظ الباحث ، أن الألفاظ قوالب المعاني ، وذلك بشكل عام ، أما الذي يحدد المعاني ضمن ألفاظ معينة مخصصة فهو السياق ، إذ السياق هو الأصل في بث الحياة في الألفاظ ، لمنحها المعنى المراد ، وعلى هذا يجد الباحث أن الألفاظ في خطاب التهويل تتميز بأمور عدّة منها :

أولاً : موافقتها السياق .

ثانياً : موافقتها المعنى .

إن ما يهم الباحث من دراسة الألفاظ ، هو الدلالات التي تحملها بوساطة السياق، ومثال ذلك ، أن السياق القرآني قد أطلق عدّة مسميات على يوم القيامة ، وكل اسم من هذه الأسماء له دلالة خاصة ، ترتبط بالسياق الذي جاءت فيه أولاً ، ثم توحي بأن ذلك اليوم ، له شأن في كل مرحلة بخلاف المرحلة السابقة أو اللاحقة ، ولهذا تعددت الأسماء ثانياً ، ومن هذه الأسماء على سبيل المثال لا الحصر (البعث ، الساعة ، القيامة ، النشر ، الحشر ... الخ) وهذه المسميات تطلق على فترة زمنية معينة في الظاهر ، لكنها من حيث الدلالة ، تُقسم إلى مراحل عدّة ، لكل مرحلة اسم معين ، وهذه المراحل بعضها يكمل البعض الآخر ، شأنها شأن حالة الجبال ، أو الأرض ، أو السماء .

ومع أن الباحث قد ذكر بعض الأسماء ليوم القيامة ، إلا أنه يرى أن المراحل السابقة قد لامست ذهنية المتلقي من جانب النظر ، فحالة يوم القيامة وما يحدث فيها من أهوال ، قد يلحظها الإنسان بالنظر ، وقد نقل القرآن هذه الأهوال إلى المتلقي بوساطة التصوير ، وكأنها حاضرة أمامه ، يتمعن فيها ويشاهدها ، وهي حالة الأرض والجبال ... الخ ، ويعتقد الباحث أن هناك نوعاً

---

١ ـ بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، فاضل صالح السامرائي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ٢٠٠٠م ، ط١ ، ص : ٩٧

٢ ـ انظر : إعجاز القرآن الكريم ، فضل حسن عباس ،سناء فضل عباس ، دار النفائس ، عمان ، ط٧ ، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٩م ، ص : ١٦١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

آخر ، قد ارتبطت به أسماء يوم القيامة ، لا يكون للنظر دور فيها ، ولا في نقل مجرياتها ، ولكن تُظهر بوساطة حاسة جديدة من حواس الإنسان ، ألا وهي السمع ، ولذلك لجأ القرآن لبيان هول ذلك اليوم إلى حاسة السمع إضافة إلى حاسة النظر ، ومن هذه الأسماء التي ارتبطت بالسمع لبيان هول يوم القيامة (الصاخة، القارعة)، وهناك مسميات لأشياء تتصل اتصالاً وثيقاً بحاسة السمع ، وإنما جاء الاتصال بها بطريقة غير مباشرة ، وتدل على القيامة أيضاً مثل (الناقور ، الصور) إلا أن أسماء القيامة التي تظهر بحاسة النظر ، قد ذُكرت في القرآن بكثرة بالنسبة لحاسة السمع .

وبما أن الحديث عن بعض حواس الإنسان ، وبناء الألفاظ عليها في بث الفزع والخوف في نفس المتلقي ، فإن الباحث يعتقد ، أن باقي الحواس الإنسانية لم يتحدث عنها القرآن في فترة القيامة ، وإنما جعلها ضمن مرحلة أخرى ، وهي مرحلة العذاب (١)، لمناسبتها للموضوع .

فأكثر أسماء ذلك اليوم ذكراً في القرآن هو (القيامة) ، وهو الاسم الأكثر شيوعاً ومعرفة ، بينما باقي الأسماء لم تُذكر بكثرة ، بل أن بعضها ذكر مرة واحدة ، مثل التغابن (٢) .

ولو أنعمنا النظر في الآيات القرآنية التي ذُكر فيها اسم القيامة ، لأدركنا أن السياق القرآني يتحدث بصورة عامة عن أحداث ذلك اليوم ، بما يحمله من تهديد ، ووعيد للكافرين ، والمتكبرين عن عبادة الله، ولم يحدد السياق القرآني أي نوع من التهديد، بل أن السياق يتحدث بصورة عامة ، عما يكون عليه الإنسان في ذلك اليوم ، يقول تعالى : ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَـؤُلاء تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٣) ، فالخزي والعار شعاران يرتفعان على وجوه الكافرين يوم القيامة ، ولم يكتف السياق القرآني بذلك في وصف أحوال الكافرين ، بل إنهم في موقع آخر، محجوبون عن تكليم الله، وفي هذا الحجب عذاب شديد ؛ أي لا ينعمون بالرحمة من

---

١ ـ انظر : دراسة بعنوان (صورة الجحيم في القرآن الكريم)، خالد موسى حسين الزعبي ، قسم اللغة العربية ، جامعة آل البيت ، ٢٠٠٥

٢ ـ انظر : التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن ، عودة أبو عودة ، ص : ٣٦٢

٣ ـ البقرة : ٨٥ ، انظر : النحل : ٢٧

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الله تعالى ، يقول تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَـئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١) ، فلا يكلمهم الله ، وفي ذلك إهمال لهم، وهو من أشد أنواع الألم ، وقد ذكر السياق القرآني ذلك حين وصف أهل الجحيم ، يقول تعالى : ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ (٢) ، فنفي النظر إليهم ، ولا منهم ؛ يعني الإعراض عنهم ، ويحمل دلالة الغضب عليهم ، يقول الزمخشري : " تعريض بحرمانهم أهل الجنة في تكرمةِ الله إياهم بكلامه ، وتزكيتهم بالثناء عليهم ، وقيل : نفيُ الكلام عبارة عن غضبه عليهم ، كمن غضب على صاحبه ، فصرمه وقطع كلامه " (٣) ، ويرى ابن كثير أن عدم الكلام معهم يتبعه عدم النظر إليهم ، وإبعاد النظر يعني ؛ أن الرحمة لا تنالهم من الله تعالى " ولا يكلمهم الله، ولا ينظر إليهم يوم القيامة ؛ أي برحمة منه لهم ؛ يعني لا يكلمهم الله كلام لطف بهم ، ولا ينظر إليهم بعين الرحمة ، ولا يزكيهم ؛ أي من الذنوب والأدناس ، بل يأمر بهم إلى النار " (٤)، أما القرطبي ، فيؤكد أن الله لا يكلم هؤلاء الناس بنفسه ، وإنما يأمر من يكلمهم عنه ، بكلام يحمل طابع التوبيخ والذم " ولا يكلمهم الله يوم القيامة، لكنه تعالى يأمر من يوبخهم ، ويكبتهم ، ويقيم الحجة عليهم في مقام الحساب " (٥) .

وبصفة عامة ، يتحدث السياق القرآني بوساطة استخدام اسم القيامة ، عما ينتظر الناس عامة في ذلك اليوم ، ولم يقتصر الحديث عن الكافرين أو العاصين ، بل شمل الحديث عن المؤمنين أيضاً ، وذلك بتصوير حال الإنسان بين مرحلتين ، فأما الفوز وأما العذاب ، يقول تعالى : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ

---

١ ـ البقرة : ١٧٤ ، انظر : آل عمران : ٧٧

٢ ـ المطففين : ١٥.

٣ ـ الكشاف : ١٩٨/١.

٤ ـ تفسير القرآن العظيم : ٣٧٦/١ .

٥ ـ الجامع لأحكام القرآن : ٣٠٩/١٣

© Arabic Digital Library Yarmouk University

الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ (١) .

ويبقى اسم القيامة شعارًا، يحمل دلالة ذلك اليوم بصورة عامة ، بما فيه من أحداث ، يوم يُجمع فيه الخلق من حدب وصوب ، فالجمع أول مرحلة من مراحل ذلك اليوم ، يقول تعالى : ﴿اللّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ حَدِيثاً ﴾ (٢) ، ويقول تعالى : ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِلّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ (٣) ، فظاهر الآيات تحمل معنى التهديد والوعيد ، وقد رافق هذا التهديد ، قسم لحصول هذا الجمع تأكيداً لهذا الأمر ، يقول أبو السعود : " ليجمعنكم إلى يوم القيامة ، جواب لقسم محذوف ... أي والله ليجمعنكم " (٤) ، وزيادة على التأكيد لحصول الجمع للخلق ذلك اليوم ، فقد سُمي يوم القيامة باسم يوم الجمع ، يقول تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ (٥) ، ويقول تعالى : ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٦) ، تسمية ذلك اليوم بـ (يوم الجمع) ، يوحي بشدّة وعظمة ذلك اليوم ؛ لأن الناس يُجمعوا لموقف عظيم ، يحاسب فيه الإنسان عن أعماله في الدنيا .

---

١ ـ آل عمران : ١٨٥ .

٢ ـ النساء : ٨٧

٣ ـ المائدة : ١٢

٤ ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم : ١١٥/٣ ، انظر : الوجيز في تفسير القرآن العزيز ، الواحدي : ٢٧٩/١ ، معالم التنزيل ، البغوي : ٤٥٨/١ ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، الثعالبي : ٥٠٨/١ .

٥ ـ الشورى : ٧

٦ ـ التغابن : ٩ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولم يتحدث السياق القرآني عن العدل والإنصاف إلا وذكر يوم القيامة ، فذلك اليوم يتحقق فيه العدل بجميع أنواعه ، وكافة ألوانه ، والحاكم بين الخلق في ما يختلفون فيه هو الله ، يقول تعالى : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَىَ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (١) ، ويقول تعالى : ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللّهِ قَالُواْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُواْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾ (٢) ، فموازين العدل تكون يوم القيامة ، فكل إنسان يأخذ حقه ، ولا يُظلم أحد ، يقول تعالى : ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ (٣) ، حتى إن عدل الرحمن في ذلك اليوم يتعدى الخلق إلى الحيوانات ، وفي ذلك يقول رسول الله ـ ﷺ ـ : " لتؤدُّنّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يُقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء "(٤) .

ولم يتوقف السياق القرآني في ذكر أحداث ذلك اليوم عند العدل الإلهي ، بل يتعدى ذلك إلى المحاسبة عن الأعمال في الدنيا ، أما بتجسيد تلك الأعمال ، ونقلها من الشيء المعنوي إلى الحسي ، لتوضيح صورة المُعذب ، وما يعانيه من آلام العذاب، كما في قوله تعالى : ﴿لِيَحْمِلُواْ

.....

١ ـ البقرة : ١١٣

٢ـ النساء : ١٤١ .

٣ ـ الأنبياء : ٧ .

٤ ـ صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج ، دار إحياء التراث العربي ، ١٩٧٢ ، رقم الحديث : ٤٦٧٩ ، كتاب (البر والصلة والآداب) . الجلحاء : هي الشاة التي لا قرن لها . انظر : لسان العرب ، ابن منظور : مادة : جلح .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلاَ سَاء مَا يَـزِرُونَ﴾ (١)، وقوله تعالى:﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ (٢) ، أو بحرمانه من أهم الحواس مثل البصر ، الذي كان يتمتع بوساطته في الدنيا ؛ لأنه لم يكن يستخدمه في طاعة الله ، بل كان ينعم ويتلذذ بوساطته بالمحرمات ، وفي ذلك يقول تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى۞ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً۞ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى ﴾ (٣) ، بل جعل القرآن الكريم الإنسان بمقام الهادي إلى العذاب ، كما وصف فرعون حين يقدم قومه إلى النار ، يقول تعالى : ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴾ (٤) .

إضافة لما سبق ، فقد تحدث السياق القرآني باستخدام اسم القيامة عن بعض الناس ، وأضفى عليهم صفة الذل والخشوع ؛ لأنهم منبوذين مبعدين ممقوتين ، يقول تعالى : ﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴾ (٥) ، ويرى الزمخشري أن وصفهم بـ (المقبوحين) توحي بإبعادهم " أي من المطردين المبعدين " (٦) ، أو يكونون من الموسومين بعلامات تؤدي إلى تشويههم ، ولذلك يحقرهم الناس " المقبوحين أي المشوهين بسواد الوجوه وزرقة العيون " (٧) ، لأن أبغض ألوان العيون عند العرب هي الزرقة ؛ لأن أعداءهم الروم

---

١ ـ النحل : ٢٥ .

٢ ـ العنكبوت : ١٣

٣ ـ طه : ١٢٤ ـ ١٢٦

٤ ـ هود : ٩٨ .

٥ ـ القصص : ٤٢.

٦ ـ الكشاف ، الزمخشري : ٤٥٤/٣.

٧ ـ التبيان في تفسير غريب القرآن ، الهائم المصري ، ٣٢٩/١ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

كانوا يتميزون بالعيون الزرقاء ، ولذلك كانوا يكرهون هذه الصفة للعيون (١) .

وإذا كان اسم (القيامة) اسم جامع لأحداث ذلك اليوم ، بكل أبعاده وأشكاله ، فإنَّ الخطاب القرآني قد استخدمه ، ليخبر عن أحداث ذلك اليوم ومجرياته ، فإن هناك أسماء ، قد تحمل المعنى نفسه ، لكنها لا تنقل صورة ذلك اليوم بأبعاده كما في اسم القيامة ، بل تتحدث عن هول بطابع جديد ، هول يتملك النفس بوساطة زمان القيام ، ولهذا أطلق عليها السياق القرآني اسم الساعة ، ليتناسب مع الموعد التي تقوم فيه ، فالزمان الذي تقوم به الساعة ، تتبعه أحداث أخرى ، لا يمكن أن تتم إلا إذا جاء وقتها ، ووقتها مرهون بزمان معين ، والساعة في المعاجم اللغوية تدل على الوقت ، سواء أكان الوقت الحاضر كما قال الرازي (٢) ، أو على جزء من الوقت كما يرى ابن منظور (٣) ، فالساعة في المعنى اللغوي تدل على زمان معين ، وهذا ما أكده السياق القرآني ، حين تكلم عن القيامة ، وجعل من أسمائها الساعة ، فهذا العلم لا يمكن معرفته أو التنبؤ به إلا من يستطيع التحكم بالوقت ، وهو الله عز وجل ، يقول تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (٤) ، فعلم الساعة يوحي بوقت قيامها ، " قال الزجاج معنى الساعة في كل القرآن ، الوقت الذي تقوم فيه القيامة " (٥) ، وهي فترة قصيرة ، سُميت لقلة وقتها ساعة " أنها ساعة خفيفة ، يحدث فيها أمر عظيم ، فلقلة الوقت الذي تقوم فيه ، سماها ساعة " (٦) .

فالوقت الذي تقوم فيه القيامة هو الغالب على الاسم ، في إيحاء لأهمية ذلك الوقت ، وهذا ما جعل السياق القرآني يطلق على الزمان الذي يقوم به الحدث اسم الساعة ، على الرغم من أن الخفاء والتجلي يكون للأشياء المحسوسة ، لكن الوقت الذي يحصل فيه الهول ، هو المقدم على الهول نفسه ، يقول تعالى : ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَاء اللّهِ حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمُ السَّاعَةُ

.....

١ ـ انظر : المصدر السابق : ٤١/٦

٢ ـ انظر : مختار الصحاح ، مادة : سوع

٣ ـ انظر : لسان العرب ، مادة : سوع

٤ ـ لقمان : ٣٤ .

٥ ـ لسان العرب ، ابن منظور ، مادة : سوع .

٦ ـ المصدر السابق ، المادة نفسها .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بَغْتَةً قَالُواْ يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلاَ سَاء مَا يَزِرُونَ ﴾ (١) ، فزمان قيام الحدث ، زمان تترابط به الأحداث وتتسارع ، وكأن الأحداث في انتظار ذلك اليوم ، فالساعة لا تأتي إلا فجأة ، دون علم مسبق للناس بها ، يقول تعالى : ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (٢) ، فعامل الوقت ، وما يرتبط به من أحداث ، تبين أن الناس في ذلك اليوم في قسمين ، قسم مؤمن ، خائف من الأهوال التي لم يسبق العلم بها ، يقول تعالى : ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ (٣) ، وقسم آخر ، يعيش مرارة الأحداث ، وصعوبة الأهوال ، يقول تعالى : ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ ﴾ (٤) ، فكلا القسمين خائف من وقت القيام ، وهذا الأمر راسخ في مشاعره وأحاسيسه .

وهناك أسماء تحمل معنى القيامة ، لكن هذه الأسماء تكون من ناحية الحدث ، كأننا حين قراءتها ، نتصور الأحداث تخرج من بين ثنايا ألفاظها ، إلا أن ذكرها في القرآن الكريم قليل ، ومثال ذلك اسم (البعث) ، وهو اسم ارتبط بساعة القيام ، وهذا الارتباط حاصل في قيام الموتى من القبور ، ومع أن الحدث هو الظاهر في القول ، لكن هذا الحدث مرتبط بصورة خفية بزمن البعث ، ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٥) .

ومن أسماء يوم القيامة ، يوم الفصل ، ويوم التلاق ... الخ ، والبحث لا يريد أن يفصل في ذلك خوفاً من الإطالة .

---

١ ـ الأنعام : ٣١ .

٢ ـ الزخرف : ٦٦

٣ ـ الأنبياء : ٤٩.

٤ ـ القمر : ٤٦.

٥ ـ الروم : ٥٦ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وكما أن الوقت والحدث يخيمان على بعض أسماء يوم القيامة ، يجد الباحث أن الصوت لا يقل أهمية عن سابقيه ، وهناك من أحداث الدنيا ما ارتبط بالصوت ، ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ (١) ، فالصوت له أهميته في إماتة القوم الكافرين ، يقول ابن كثير " فأخذتهم الصيحة ، وهي ما جاءهم من الصوت القاصف " (٢) ، وفي نظرية عكسية ، يكون الصوت هو الوسيلة التي بوساطتها يُبعث من في القبور يوم القيامة ، يقول تعالى : ﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴾(٣) .

وبما أن الصوت وسيلة لبعث من في القبور، فقد أصبح للصوت دور في إبراز أثره على بعض الأسماء ، حيث نجد أن بعض الأسماء ما تميز بحدث الصوت ، حتى ليلقي بظلاله على الاسم كاملاً ، فيُعرف الاسم بحدث الصوت ، ومن هذه الأسماء (الصاخة ، القارعة) ، ومثال ذلك من قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءتِ الصَّاخَّةُ ﴾ (٤) ، فالصاخة اسم يدل على الصوت الشديد ، يقول الكرماني : " والصاخة من الصخ ، الصوت الشديد ؛ لأنه بشدة صوتها ، يجثو لها الناس كما ينتبه النائم بالصوت الشديد " (٥) ، والقارعة لها ما للصاخة من شدّة الصوت ، فهي تقرع الأسماع ، مما يؤدي إلى فزع القلوب وخوفها ، يقول أبو السعود : " القارعة ، القرع هو الضرب بشدة واعتماد ، بحيث يحصل منه صوت شديد ... سميت بها ؛ لأنها تقرع القلوب والأسماع بفنون الأفزاع والأهوال " (٦) ، وقد استخدم السياق القرآني الصوت الشديد لبث الخوف والفزع ، يقول تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾(٧) ، فإحداث الصوت جاء بوساطة الصور ، وفي آية أخرى ، يستخدم السياق القرآني الناقور ، ومع أن اللغويين قد

---

١ ـ هود : ٦٧ .

٢ ـ تفسير القرآن العظيم : ٥٥٦/٢ .

٣ ـ ق : ٤٢

٤ ـ عبس : ٣٣ .

٥ ـ أسرار التكرار في القرآن : ٢١٤/١.

٦ ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم : ١٩٢/٩ .

٧ ـ الزمر : ٦٨ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فسروا معنى كل واحد منهما بلفظ الآخر ، يقول تعالى : ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ۞ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴾ (١) ، يقول الرازي : " الصور القرن " (٢) ، ويفسر ابن منظور معنى الناقور بقوله : " الناقور : الصُّورُ الذي ينقر فيه الملك ؛ أي ينفخ " (٣) ، ويفرق سيد قطب بين صوت الناقور وصوت الصور ، ويرى أن الناقور أشد إيحاء لبيان عظمة الصوت من الصور ، يقول في ذلك : " والنقر في الناقور ، هو ما يعبر عنه في مواضع أخرى بالنفخ في الصور . ولكن التعبير هنا أشد إيحاء بشدة الصوت ورنينه ؛ كأنه نقر يصوّت ويدوّي . والصوت الذي ينقر الآذان أشد وقعاً من الصوت الذي تسمعه الآذان " (٤) .

ويرى الباحث أن سلطة الحدث هي التي توحي بعظم ذلك اليوم ، وعلى الرغم من أن كثرة الأسماء الدالة عليه ، ولهذا عمد النص القرآني إلى إبراز هذا الجانب ، بوساطة سرد الأحداث ، بتسلسل ، وتنوع في مجرياتها ، حتى يُعطي أكبر جانب في التهويل لذلك اليوم ، والتخويف منه ، وقد أتم السياق القرآني ذلك ، دون أي ذكر لأسماء يوم القيامة في الجانب الأول ، يقول تعالى : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۞ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ۞ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۞ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۞ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۞ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۞ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۞ وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ ۞ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ۞ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ۞ وَإِذَا السَّمَاء كُشِطَتْ ۞ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۞ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴾ (٥)، فهذه الآيات تتحدث عن أحداث ذلك اليوم ، دون ذكر للاسم ، وفي جانب آخر ، يلحظ الباحث أن السياق القرآني ، يذكر أحداث ذلك اليوم ، ثم بعد ذلك يذكر الاسم ، ومثال قوله تعالى :﴿ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ۞ وَإِذَا السَّمَاء فُرِجَتْ ۞ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ۞ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ۞ لِأَيِّ يَوْمٍ

---

١ ـ المدثر : ٨ ، ٩.

٢ ـ مختار الصحاح : مادة : صور

٣ ـ لسان العرب : مادة : نقر

٤ ـ في ظلال القرآن : م٨ / ج٢٩ / ٣٦١ .

٥ ـ التكوير : ١ ـ ١٣ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أُجِّلَتْ۞لِيَوْمِ الْفَصْلِ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴾ (١) ، فيوم الفصل اسم من أسماء يوم القيامة ، وأما الجانب الثالث ، فيذكر السياق القرآني اسم اليوم ، ثم يتبعه بالأحداث التي تجري فيه ، ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ الْقَارِعَةُ۞ مَا الْقَارِعَةُ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ۞ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ۞ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ۞ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ۞ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ۞ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ۞ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ۞ نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ (٢) .

إن المنعم في الآيات التي تتحدث عن يوم القيامة وأهواله ، يلحظ أن التنوع والتلون الذي أحدثه السياق القرآني في الحديث عن ذلك اليوم ، يوحي بهول ذلك اليوم وعظمته ، وقد جاء السياق بهذا الأسلوب ، ليخبر بطريقة غير مباشرة ، ما ينتظر الإنسان من أحداث ، تنبئ عن صعوبة الموقف الذي ينتظره .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

---

١ ـ المرسلات : ٨ ـ ١٤

٢ ـ القارعة : ١ـ ١١

المطلب الأول : البنية الصوتية ودورها في تهويل الأحداث :

وعلى الرغم من اختيار السياق القرآني لبعض الأساليب ، لغوية كانت أم بلاغية لبيان هول الحدث ، إلا أنه لم يهمل جانب المفردة ، وخاصة إذا كانت مسمى لشيء معين ، بل أولاها دوراً كبيراً ، لتضفي بجرسها هولاً يُضاف إلى هول السياق ، وهذه الظاهرة واضحة في السياق القرآني ، فالمفردات القرآنية ذات اتساق بين بنيتها الصوتية ، التي تتكون من حروف وحركات ، وبين معناها الذي تحمله ، وقد تنبه الرافعي لذلك ، حين تكلم عن الأصوات الثلاثة ، وجعل الكلمة في حقيقتها هي صوت النفس ، بما تحمله من معاني يمكن التوصل إليها بوساطة أصوات حروفها ، يقول في ذلك :" **صوت النفس** ، وهو الصوت الموسيقي ، الذي يكون من تأليف النغم بالحروف ومخارجها، وحركاتها، ومواقع ذلك من تركيب الكلام ، ونظمه على طريقة متساوقة ، وعلى نضد متساو ، بحيث تكون الكلمة كأنها خطوة للمعنى في سبيله إلى النفس ، إن وقف عندها هذا المعنى قُطع به .

صوت العقل ، وهو الصوت المعنوي الذي يكون من لطائف التركيب في جملة الكلام ، ومن الوجوه البيانية التي يداورُ بها المعنى ، لا يخطئ طريقَ النفس من أي الجهات انتحى إليها .

صوت الحس ، وهو أبلغهن شأناً ، لا يكون إلا من دقة التصوُّر المعنوي ، والإبداع في تلوين الخطاب ، ومجاذبة النفس مرة وموادعتها مرة ، واستيلائه على محضها بما يورد عليها من وجوه البيان ، أو يسوق إليها طرائف المعاني ، يدعها من موافقته والإيثار له كأنها هي التي تريده وكأنها هي التي تحاول أن يتصل أثرها بالكلام ، إذ يكون قد استحوذ عليها وانفرد منها بالهوى والاستجابة " (١) .

فالمعنى الأولي لأي كلمة عند الرافعي ، يمكن معرفته بوساطة أصوات حروف تلك الكلمة وتكويناتها ، ولا يكون ذلك بصوت حرف واحد ، بل يكون في تجاور أصوات الحروف ، بما تحمله من أجراس ذات إيقاعات متسقة بعضها مع بعض ، يقول العلواني : " إن القيمة الصوتية للحرف لا تتحدد في جرسه فقط ، بل حتى باقترانه مع الأصوات المتجاورة في اللفظة " (٢) . إذن ، لكل مفردة مستقلة بحروفها ، ذائقة سمعية ، تمتاز بوساطتها من غيرها ، هذه الذائقة تكونت في المفردة بوساطة الدلالات الصوتية ، مما يجعلها تتميز عن غيرها من المفردات ، التي

.....

١ ـ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مصطفى صادق الرافعي : ١٧٦ وما بعدها .

٢ ـ الأسباب الصوتية لاختيار المفردة القرآنية ، عامر مهدي صالح العلواني ، www.tafsir.net

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تحمل المعنى نفسه ، ولذلك مايز العرب بين المفردات في حالة استخدامها بحسب الأحداث التي تتحدث عنها ، يقول ابن جني : " وذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها " (١) ، ويضيف قائلاً في تعليله للفرق بين استخدام خضم وقضم : " فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب ، والقاف لصلابتها لليابس ، حذواً لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث " (٢) ، فالبنية الصوتية للمفردة ، تُعدُّ جزءًا من معناها ، وبما أن الحديث عن المفردة ضمن خطاب التهويل ، فإن السياق القرآني قد أختار المفردات بدقة كبيرة ، تحمل بأصواتها هولاً جديداً يُضافُ إلى هول السياق ، وكأن ألفاظ يوم القيامة توحي بصعوبة الموقف قبل أن يكمل السياق الحديث عنه ، تقول بنت الشاطئ : " والألفاظ المختارة لموقف القيامة ، بالغة الإثارة قوية الوقع ، إما بعنفها كالزلزلة والرج ، .... وإما بدقتها ، كمثقال ذرة ، والهباء المنبث ... " (٣) .

فالألفاظ الداخلة ضمن الحديث عن أهوال ذلك اليوم ، بجميع أنواعها وأشكالها ، سواء أكانت أسماء مثل (الصاخة ، القارعة ، الطامة) ، أو التي تصف أحداث ذلك اليوم ، من حركات الأرض أو السماء أو الإنسان ، نجد فيها من الدقة في اختيار حروفها ، وترتيبها على الشكل التي جاءت عليه ، وتوافقها مع غيرها من المفردات ، كل ذلك يوحي بعظمة الحدث قبل معرفة معانيها ، فاللفظ القرآني ذو ميزة عجيبة ، لا نجدها في أي نص آخر ، ذلك أننا نستشعر في اللفظة ، موسيقا تنبئ بطريقة غير مباشرة ، عن المعاني التي تحملها ، إضافة إلى أن اللفظ حين نطقه ، يؤدي إلى الشعور بمدى أهمية الموضوع قبل إتمام السياق ، فموسيقا اللفظ بوساطة حروفه ، ذو إيحاء مترابط مع المعنى ، يدخل إلى النفس بوساطة الموسيقى المؤثرة قبل المعنى ، ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ الْقَارِعَةُ ۝ مَا الْقَارِعَةُ ﴾ (٤) ، فالجرس الموسيقي لكلمة القارعة ، يخبر عن هول عظيم وخطر جسيم ، يأتي فجأة دون إنذار ، نحس بذلك بوساطة ذكر اللفظة دون مقدمات " لقد بدأ بإلقاء الكلمة مفردة كأنها قذيفة : (القارعة) بلا خبر ولا صفة . لتلقي بظلها وجرسها الإيحاء المدوي المرهوب ! " (٥) ،إضافة إلى اختيار حروف اللفظة وترتيبها ، فلها من الأهمية في تهويل الحدث ما للمعنى ، يقول العلواني : " إن القيمة الصوتية للحرف لا تتحدد

---

١ ـ الخصائص : ٢/٧٠ .

٢ ـ المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

٣ ـ التفسير البياني للقرآن الكريم ، عائشة عبد الرحمن ، ج١/ ٨٠

٤ ـ القارعة : ١ ، ٢ .

٥ ـ سيد قطب ، في ظلال القرآن ، مج٨ / ج٣٠ / ٦٤٧

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

في جرسه فقط، بل حتى باقترانه مع الأصوات المجاورة في اللفظة كما في قوله تعالى { القارعة ما القارعة } فهذه اللفظة المعبرة عن الشدّة والقوة ، إنما تم لها ذلك من طبيعة أصواتها فـ (العين لا تأتلف مع الهاء إلا إذا كانتا مفصولتين ، مثل هرع وهلع ، أو تقدمت العين على الهاء ، كما في الآية الكريمة ، فلو لم تتقدم العين على الهاء لم تأتلفها) وذلك لثقلهما معاً ، مما يناسب سياق السورة الدّال على القوة والشدّة " (١) .

فأصوات الحروف ذو أثر موسيقي فعّال ، يصل إلى النفس ، بوساطة السمع قبل وصول المعاني ، فهو ذو تأثيرات مستقلة عن تأثيرات المعاني ، ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءتِ الصَّاخَّةُ ﴾ (٢) ، الصاخة ، لفظ يوحي بعظمة الحدث ، يصل إلى النفوس ليملأها رعباً ، بعد أن يزعج الأذن من تأثير موسيقاه ، وهذه الموسيقا ، نبعت من لفظي الصاد والخاء المفخمين ، لما لهما من قوة في تهويل الحدث ، وتأثير على السمع ، بسبب صوتيهما المعبرين عن المعنى ، " الصاخة ، صيحة تصخُّ الأذن ؛ أي تطعنها فتصمها لشدتها " (٣) ، فتأثير لفظ (الصاخة) على السمع يوحي بمعناها ، يقول سيد قطب : " والصاخة لفظ ذو جرس عنيف نافذ ، يكاد يخرق صماخ الأذن ، وهو يشق الهواء شقا ، حتى يصل إلى الأذن صاخا ملحا " (٤) .

وشبيه بذلك ، نجده في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ (٥) ، فالناقور عند ابن منظور هو الصور " الناقور الصور الذي ينفخ فيه للحشر ؛ أي نفخ في الصور " (٦) ، لكن السياق القرآني استخدم لفظ الناقور ، وأكد ذلك بالفعل نقر ، والنقر يستخدم للحفر في الصخر ، يقول الثعالبي : " النقر الحفر بالمعاول " (٧) ، فاستخدام الناقور ، أقوى إيحاء في دلالة عظم الصوت من الصور ، وكأن النقر يخلفه آلم بسبب قوة الصوت ، لأنه في مواقع أخرى ، يؤكد السياق القرآني ، على أن الصوت وسيلة للانتباه ، يقول تعالى ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ

---

١ ـ الأسباب الصوتية لاختيار المفردة القرآنية ، عامر مهدي صالح العلواني ، www.tafsir.net

٢ ـ عبس : ٣٣ .

٣ ـ لسان العرب ، ابن منظور : مادة صخ .

٤ ـ في ظلال القرآن : مج٨/ ج٣٠/ ٤٧٢

٥ ـ المدثر : ٨ .

٦ ـ لسان العرب ، مادة : نقر .

٧ ـ الجواهر الحسان في تفسير القرآن : ٢٩٩/٢

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءلُونَ ﴾ (١) ، يقول سيد قطب : " والنقر في الناقور ، هو ما يعبر عنه في مواضع أخرى بالنفخ في الصور . ولكن التعبير هنا أشد إيحاء بشدة الصوت ورنينه ؛ كأنه يصوّت ويدوّي . والصوت الذي ينقر في الآذان أشد وقعاً من الصوت الذي تسمعه الآذان " (٢) .

ويبقى الصوت في الألفاظ القرآنية ذا تأثير خاص في المتلقي ، وكأن الألفاظ بوساطة مكوناتها من أصوات الحروف ، في تسابق مع المعنى ، لإيصال الحدث بهوله للمتلقي ، قبل وصول معناه ؛ أي إن الألفاظ القرآنية تتميز بكونها تحكي معناها من خلال أصواتها ، وبذلك يتعانق الصوت والمعنى معاً، لأداء لوحة جمالية غاية في الحسن والروعة، لبيان عظم ذلك اليوم.

ومن أمثلة الدلالة الصوتية على المعنى ، قوله تعالى : ﴿ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴾ (٣) ، فقد استخدم السياق القرآني لفظ واجفة ، مع أنها بمعنى خائفة ، وربما ذلك راجع إلى التناسب الصوتي مع المفردات السابقة لها ، وهي (الراجفة ، الرادفة) في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۞ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ﴾ (٤) ، فقد عبرت عن سرعة الوقوع والتتابع ، ثم نجد التناسب من الناحية الصوتية ، وقد اتسقت مع الألفاظ السابقة لها ، فسرعة المدُّ قد تناسبت مع سرعة السياق ، إضافة إلى أن لفظة (وجف) أكثر إيحاء ودلالة من خاف ، على الرغم من تشابه اللفظتين في حمل معنى خاف ، لكن لفظ (وجف) يزيد معناه عن خاف ، بأن يقترن هذا الخوف بسرعة الاضطراب ، يقول الهائم المصري " واجفة خافقة ؛ أي شديدة الاضطراب ، أو خائفة بلغة همدان ، وإنما سمي الوجيف في السير، لشدة هزه واضطرابه "(٥) ، وتقول بنت الشاطئ : " الوجف والوجيف لغة : الاضطراب . وربما كان الأصل فيه ضرباً من سير الخيل والإبل ، فيه سرعة مضطربة"(٦)،وشبيه بذلك قوله تعالى:﴿ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾(٧) ،

---

١ ـ المؤمنون : ١٠١ .

٢ ـ في ظلال القرآن : مج٨/ج٣٦١/٢٩ .

٣ ـ النازعات : ٨ .

٤ ـ النازعات : ٦ ، ٧ .

٥ ـ التبيان في تفسير غريب القرآن : ٤٤٧/١ .

٦ ـ التفسير البياني للقرآن الكريم : ١٣٣/١ .

٧ ـ الحشر : ٦

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يقول الجوزي : " الإيجاف ، الإيضاع ... الإيضاع ، وهو الإسراع في السير " (١) .

وفي موقع آخر، نجد السياق القرآني يأتي بألفاظ ، تتآلف أصواتُ حروفها مع بعضها الآخر ، ليكون لها وقعاً على المعنى مباشرة ، بمعنى أن صفة صوت الحرف منها ، يكون جزءًا من المعنى العام للفظ ، ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ۞ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴾(٢)، وقد ختمتا الآيتين بحرفي (الثاء والشين) وهما حرفا تفشي ، وسميا بذلك لانتشار الهواء عند النطق بهما التفشي لغة : (الانتشار والاتساع) (٣) ، والآيتان تصفان حالتي الإنسان والجبال في ذلك اليوم ، فالحالة التي تخيم على الإنسان هي التفرق ، مثل الفراش في الانتشار ، وكذلك الجبال ، التي عُرفت بالصلابة والقوة في الدنيا ، ها هي بمظهر جديد في الآخرة ، بدأت في التمزق بعد القوة ، والذهاب بعد الثبات (٤) ، أي بدأت في التفرق بعد أن كانت مكوناتها مجتمعة ، يقول تعالى : ﴿ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ۞ فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا ﴾ (٥)، فالبث هو التفرق والانتشار، يقول الألوسي : " وأصل البث ، الإثارة والتفرق ، ومنه فكانت هباء منبثا ، وكالفراش المبثوث " (٦) .

فأصوات الحروف المستخدمة في بعض المفردات ، ذات إيحاءات قوية في بعث المعاني ، فهي ذات دلالة ، توحي بالمعاني قبل المعاني نفسها ، وهذا ما أكده الرافعي بقوله : " نزل القرآن على رسول الله ﷺ بأفصح ما تسمو إليه لغة العرب في خصائصها العجيبة ، وما تقوم به ، مما هو السبب في جزالتها ، ودقة أوضاعها، وإحكام نظمها، واجتماعها من ذلك على تأليف صوتي ، يكاد يكون موسيقياً محضاً ، في التركيب والتناسب بين أجراس الحروف الملائمة ، بين طبيعة المعنى ، وطبيعة الصوت الذي يؤديه " (٧) ، ويضيف قائلاً : " فالحرف الواحد من القرآن معجز في موضعه ، لأنه يمسك الكلمة التي هو فيها ، ليمسك بها الآية والآيات الكثيرة " (٨) .

.....

١ ـ زاد المسير في علم التفسير : ٢٠٩/٨ .
٢ ـ القارعة : ٤ ، ٥ .
٣ ـ المعجم الوسيط ، قام بإخراج هذه الطبعة إبراهيم أنيس وآخرون ، ١٣٩٢/ ١٩٧٢ ، ط٢ : مادة : فش .
٤ ـ انظر : التفسير القرآن العظيم ، ابن كثير : ٥٤٤/٤ .
٥ ـ الواقعة : ٥ ، ٦ .
٦ ـ روح المعاني : ٨٢/٢١ .
٧ ـ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : ٣٩ .
٨ ـ المرجع السابق : ١٦٩ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المطلب الثاني : الإيقاع المناسب للأحداث :

يمتاز الإيقاع في القرآن الكريم عامة بتناسب الحدث ، ذلك بأنه نوع يساعد على فهم المعنى ، وقد أولى كثير من القدماء والمحدثين اهتماما خاصاً بالإيقاع ، فقد عرّفه ابن منظور : " من إيقاع اللحن والغناء ، وهو أن يوقع الألحان ويبينها " (١)، فالإيقاع عند ابن منظور محصور في الغناء دون غيره من الفنون .

أما في الاصطلاح ، فقد عرّفه مجدي وهبة بقوله : " إن لفظة الإيقاع . . . بمعنى الجريان ، أو التدفق ، وهو صفة مشتركة بين الفنون جميعاً ، وتبدو واضحة في موسيقا الشعر والنثر" (٢) .

ويبدو أن وهبة قد جعل جل تركيزه في هذا التعريف على الموسيقا بشكل عام ، ولم يبين أو يوضح منابع تلك الموسيقا ، من حيث أماكن وجودها في الشعر والنثر ، لكن ما سبق ، لا يتقارب في شكل من الأشكال مع الفواصل القرآنية ، التي تُعدُّ أساس الإيقاع القرآني ، ويؤكد ذلك ما ذهب إليه الرماني ، بأن جعل الفواصل القرآنية نوعين ، النوع الأول : تقع فيه المشابهة في الحروف الأخيرة ، والنوع الثاني : لا يكون فيه تجانس ، وإنما فيه تقارب بالنسبة للحروف ، لكنه يرى ، أن أفضل الفواصل ، ما يكون في تقارب الحروف ، في إشارة خفية ، لتمييز الإيقاع القرآني من غيره من أنواع الإيقاعات الأخرى في الفنون الأدبية ، يقول في ذلك : " والفواصل على وجهين : أحدهما : على الحروف المتجانسة والآخر على الحروف المتقاربة ... وإنما حسن في الفواصل الحروف المتقاربة ؛ لأنه يكتنف الكلام من البيان ، ما يدل على المراد في تمييز الفواصل والمقاطع ، لما فيه من البلاغة ، وحسن العبارة ، وأما القوافي فلا ؛ لأنها ليست في الطبقة العليا من البلاغة . وإنما حسن الكلام فيها إقامة الوزن ومجانسة القوافي " (٣) .

ويرى الرماني أن الفواصل القرآنية لم تأتِ لتحسين الإيقاع ، بل جاءت لبلاغة وحكمة ، فهي وسيلة لإفهام المعنى " وفواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة ، لأنها طريق إلى إفهام المعاني ، التي يحتاج إليها في أحسن صورة ، يدل بها عليها (٤) ، فالفواصل القرآنية إنما جاءت تابعة للمعاني ، بخلاف الأسجاع التي تكون المعاني تابعة لها ، والقوافي التي يُراد بها الوزن والمجانسة ،

.....

١ ـ لسان العرب : مادة وقع

٢ ـ معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مجدي وهبة و كمال المهندس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٨٤ ، ط٢ ، ص : ٧١

٣ ـ ثلاث رسائل في الإعجاز ، الرماني والخطابي والجرجاني : ٩٨

٤ ـ المصدر السابق : الصفحة نفسها

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يقول فضل عباس : " فالفاصلة القرآنية ، لم تأتِ لغرض لفظي فحسب ، وهو اتفاق رؤوس الآي بعضها مع بعض ، وهو ما يعبرون عنه بمراعاة الفاصلة ، وإنما جاءت الفاصلة في كتاب الله لغرض معنوي يحتمه النص ، وتقتضيه الحكمة ، ولا ضير أن يجتمع مع الغرض المعنوي ما يتصل بجمال اللفظ وبديع الإيقاع " (١) .

فالإيقاع القرآني بوساطة الفواصل ، وجد من أجل خدمة المعنى لما يقتضيه النص ، وجمالية الإيقاع تكون حين يتناسب مع المعنى لزيادة التوضيح ، فالفواصل القرآنية لم تأتِ للغرض الموسيقي فحسب ، بل كان وجودها للغرض المعنوي في بادئ الأمر ، لكن إذا أضفت جمالية موسيقية على المعنى ، فلا ضرر في ذلك ، بل تزيد حسناً إلى حسن .

وإذا كان القدماء والمحدثون قد اتفقوا على الدور الذي تحدثه الفاصلة بالإيقاع القرآني ، فإن ذلك لا يعني أنهم متفقون على تعريف الفاصلة ، فالبداية توحي بالاتفاق ، وذلك بإطلاق التسمية على الفاصلة بأنها فاصلة ، لكن الخلاف قد بدأ عندهم في تحديد ماهية الفاصلة .

من التعريفات القديمة ، ما نجده عند الرماني ، حيث يقول : " الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع ، توجب حسن إفهام المعاني " (٢) ، ويسير الباقلاني على درب الرماني في التعريف ، يقول في ذلك : " الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع ، يقع بها إفهام المعاني " (٣) .

فالقولان السابقان لكلٍ من الرماني والباقلاني ، لا يمكن النظر إليهما على أنهما تعريفان للفاصلة ، بل هما تعريفان لتحديد موقع الفاصلة من المعنى ، فالرماني يرى أن الفواصل تساعد على إفهام المعاني ، بينما يؤكد الباقلاني على أن المعاني لا يمكن التوصل إليها إلا بوساطة الفواصل ، فالخلاف بين التعريفين السابقين يقع حول كون الفاصلة أساساً في فهم المعاني كما يرى الباقلاني ، أو تكون المعاني واضحة ، لكن الفاصلة تزيد من وضوح المعاني كما يرى الرماني .

مما سبق ، يعتقد الباحث أن الرأيين السابقين للرماني والباقلاني يتكلمان عن دور الفاصلة من المعاني ، ولم يتطرقا إلى تعريف الفاصلة إلا بشكل عام بقولهم : " الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع " ، وربما كان قصدهم بقولهم " متشاكلة في المقاطع " الحروف في أواخر الآيات ، وأما ابن منظور ، فقد كان أكثر وضوحا من الرأيين السابقين بقوله : " وأواخر الآيات في كتاب الله

.....

١ ـ إعجاز القرآن الكريم ، فضل حسن عباس و سناء فضل عباس ، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م ، ص : ٢٢٦

٢ ـ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، الرماني والخطابي والجرجاني : ٩٧

٣ ـ إعجاز القرآن ، محمد بن الطيب الباقلاني ، أبو بكر، دار المعارف ، مصر ، ط ٣ ، ت : أحمد صقر: ٢٧٠

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فواصل ، بمنزلة قوافي الشعر ، جلَّ كتاب الله عز وجل ، واحدتها فاصلة "(١) .

وسار المحدثون على نهج القدماء في تعريف الفاصلة ، فقد عرّف فضل عباس الفاصلة بقوله : " يقصد بالفاصلة القرآنية ، ذلك اللفظ الذي ختمت به الآية ، فكما سموا ما ختم به بيت الشعر قافية ، أطلقوا على ما ختمت به الآية فاصلة " (٢) ، وشبيه من تعريف عباس ما نجده عند الحسناوي ، الذي يقول : " آخر كلمة في الآية كقافية الشعر وسجعة النثر " (٣) ، وتعريف الصغير الذي يقول : " آخر كلمة في الآية ، كالقافية في الشعر ، وقرينة السجع في النثر " (٤) .

إن ما سبق من الآراء التي عرّفت الفاصلة ، لا تبتعد عن كونها الحرف الأخير في أواخر الآيات ، والآراء السابقة جميعها لا تلقى أي انتباه عند قطب ، الذي يلفت انتباهنا إلى رأي جديد ، يبتعد كثيراً عن آراء السابقين واللاحقين ، ويرى ـ قطب ـ أن الفاصلة القرآنية لا تقع في الحرف الأخير من الآيات ، وإنما تكون في الآية جميعها ؛ لأنه كان يتمثل كل آية على حدةٍ ، وذلك عندما أتي بأمثلة في القصر ، والتوسط ، والطول على الفاصلة ، ويؤكد أن الإيقاع يكون في كل لفظة في القرآن ، ولم يقتصر على أواخر الآيات ، حيث يقول أثناء تعليقه على سورة النجم : " هذه فواصل متساوية في الوزن تقريباً ـ على نظام غير نظام الشعر العربي ـ متحدة في حروف التقفية تماماً ، ذات إيقاع موسيقي متحد تبعاً لأمر آخر لا يظهر ظهور الوزن والقافية ، لأنه يبعث من تألف الحروف في الكلمات ، وتناسق الكلمات في الجمل . . . وفي بعض الفواصل يبدو ذلك جلياً مثل ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى۞ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾ . فلو أنك قلت : أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة ، لاختلت القافية ، ولتأثر الإيقاع ، وكذلك في قوله : ﴿ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى۞ تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ فلو قلت : ألكم الذكر وله الأنثى ؟ تلك قسمة ضيزى لاختل الإيقاع المستقيم بكلمة (إذن) " (٥) .

.....

١ ـ لسان العرب : مادة : فصل

٢ ـ إعجاز القرآن الكريم ، فضل حسن عباس و سناء فضل عباس : ٢٢٥

٣ ـ الفاصلة في القرآن ، محمد الحسناوي ، دار عمار ، عمان ، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م ، ط٢ ص : ٢٩

٤ ـ الصوت اللغوي في القرآن ، محمد حسين علي الصغير ، دار المؤرخ العربي ، بيروت ، د.ت ، ص : ١٤٣

٥ ـ التصوير الفني في القرآن ، سيد قطب : ١٠٣ ، ١٠٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وفي مكان آخر يقول سيد قطب : " والجرس في ألفاظ القرآن وعباراته ، يشترك في تصوير المعنى ووقعه في الحس . . . ونرى نوعاً من التناسق الفني العجيب بين الحاقة ، والقارعة ، والطاغية ، والعاتية ، والرابية ، والدكة الواحدة ، والواقعة . . . تناسق اللفظ والجرس ، وتناسق المناظر التي تخيل للحس ، أنها جميعاً ثائرة ، فائرة ، طاغية ، غامرة ، تذرع الحس طولاً وعرضاً ، وتملؤه هولاً وروعاً ، وتهزه من أعماقه هزاً " (١) .

فتآلف أصوات الحروف في اللفظة الواحدة ، ينبع منها موسيقى ذات إيحاءات خاصة ، تعطي دوراً هاماً للمعنى ، وكأن الموسيقى تصاحب الحدث بما تضفي عليه من إيقاعات خاصة ، تتناسب مع الموضوع ، وربما يكون ذلك بتجانس الأصوات ، لتعطي موسيقى هادئة ، تنبئ عن السرور والهدوء، وربما تأتي أصوات الحروف بشكل مغاير في الموسيقى ، بحيث يقرع بعضها بعضاً ، فينتج عن تقارعها موسيقى ذات إيحاء صاخب ، يوحي بمرارة الموقف .

فالإيقاع في القرآن ، لا يلتزم بفاصلة ـ وهي آخر كلمة في الآية ـ كما يكون التزامه بالقافية في الشعر ، وإنما يكون في سورة القرآن كاملة ، ثم في ترابط الآيات ، وتناسق الكلمات ، ثم في إتحاد الأحرف في اللفظة الواحدة ذاتها ، حيث نشعر بالموسيقى تخرج من بين ثنايا الأحرف مجتمعة ، لتسمع نغماً يتواءم مع المعنى المراد .

ومن الأمثلة على الإيقاع في القرآن الكريم بوساطة كلمة واحدة ، قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءتِ الصَّاخَّةُ﴾ (٢) ، فلفظ الصاخة بما يحمله من دلالات لفظية ، تنبعث منه موسيقى صاخبة ، ذات صدى قوي يصم الأذنين عند سماعه ، فالحرفان الصاد والخاء وتتابعهما ، قد أوجدا نوعاً من الإيقاع الصاخب الصارخ المدوّي ، يحتوي على نوع من الموسيقى التي توحي بعظمة الحدث في ذلك اليوم ، وما يصاحب ذلك من حركة سريعة بفضل جرسها الموسيقي السريع ، يقول سيد قطب : " والصاخة لفظ ذو جرس عنيف نافذ ، يكاد يخرق صماخ الأذن ، وهو يشق الهواء شقا ، حتى يصل إلى الأذن صاخبا ملحا ! وهو يمهد بهذا الجرس العنيف للمشهد الذي يليه " (٣) .

فاللفظة المنفردة ، تقوم بدورين في التعبير عن الحدث ، أحدهما : تقوم به بشكل منفصل عن غيرها من المفردات والألفاظ ، بما توحي من إيقاع خاص يتحدث عن الحدث وهوله ، وثانيهما :

.....

١ ـ مشاهد القيامة في القرآن ، سيد قطب : ٢١٣

٢ ـ عبس : ٣٣

٣ ـ في ظلال القرآن ، مج٨ ، ج٣٠ ، ٤٧٢

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يكون بوساطة إتحادها مع غيرها من الألفاظ ، والنوع الثاني يأتي متمماً أو مفصلاً لذلك الإيقاع المنفرد ، وهذا ما يلجأ إليه القرآن ، وخاصة عند الحديث عن يوم القيامة وأهواله ، فيبدأ بلفظة مفردة ، يتبعها سؤال التهويل ، ثم يختمها بالتجهيل للأمر (١) ، ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ الْقَارِعَةُ۞ مَا الْقَارِعَةُ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ (٢) .

فاللفظة المفردة تحتوي على إيقاع خاص بها ، حسب الموقف الذي تعبر عنه ، يقول الصغير : " إن إيقاع اللفظ المنفرد ، وتناغم الكلمة الواحدة ، عبارة عن جرس موسيقي للصوت ، فيما يجلبه من وقع في الأذن ، أو أثر عند المتلقي ، يساعد على تنبيه الأحاسيس في النفس الإنسانية . . . ولا شك أن استقلالية أية كلمة بحروف معينة، يكسبها صوتياً ذائقة سمعية منفردة ، تختلف ـ دون شك ـ عما سواها من الكلمات التي تؤدي المعنى نفسه " (٣) ، ويقول سيد قطب في تعليقه على لفظة الحاقة : " وهو يختار هذا اللفظ من الناحية التصويرية ؛ لأن له جرساً خاصاً ، هو أشبه شيء برفع الثقل ثم استقراره استقراراً مكيناً ، ورفعه في مدّة الحاء بالألف ، واستقراره في تشديد القاف ، والانتهاء بالتاء المربوطة التي يوقف عليها بالهاء الساكنة " (٤) .

وأما الفواصل ـ آخر كلمة في الآية ـ فهي تحدث في آيات القيامة إيقاعاً صوتياً مخيفاً ، وذلك حين تتحدث عن مواقف كلها أهوال ، وخوف ، وفزع ، يصاحبها إيقاع شديد ، يعتمد على الفواصل المتشابهة مثل الهاء الساكنة في قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ۞ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهْ۞ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ۞ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ۞ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ۞ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ۞ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ۞ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ۞ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ۞ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ۞ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ﴾ (٥) ، فالفاصلة هنا تكون

---

١ ـ انظر : في ظلال القرآن ، سيد قطب : مج٨، ج٣٠ ، ٦٤٧

٢ ـ القارعة : ١ ـ ٣

٣ ـ الصوت اللغوي في القرآن ، محمد الصغير : ١٦٣ ، ١٦٤

٤ ـ مشاهد القيامة في القرآن : ٢١١

٥ ـ الحاقة : ١٩ ـ ٢٩

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بالهاء الساكنة بعد ياء المتكلم ، والتي تنقل كلام متحدثين متشابهين في الزمان والمكان ، أولها تمثل حالة السرور بما حصل عليه المتحدث من رضوان الله ، وثانيهما يسيطر عليه الندم والذل ، بسبب صعوبة موقفه ، وكلتا الحالتين يعبر عنهما القرآن الكريم بإيقاع بطيء ، يسترسل الإيقاع في وضوحه بما يناسبه من موسيقى هادئة ، تنبئ عن رضا صاحب الحالة الأولى ، بينما توحي موسيقى الحالة الثانية، عن ندم وخزي لصاحبها، وكلتا الحالتين قد تشابهت فواصلهما في القرآن، فقد انتهت بـ (الهاء الساكنة بعد ياء المتكلم)، حيث جاءت الفاصلة على نسق واحد في (كتابيه ، حسابيه ، كتابيه ، حسابيه ، ماليه ، سلطانيه) ، ويرى الصغير أن الهاء زيدت على الكلمات المختومة أصلاً بالتاء الصغيرة ، رعاية للفواصل وتناسب الإيقاع ، يقول في ذلك : " أزيدت فيها هاء السكت ، لفواصل الآيات المختومة بالتاء القصيرة ، والتي اقتضى السياق نطقها هاء، للتوافق " (١) .

وربما يبقى الإيقاع على هدوئه وسكونه ، ولو تغيرت الفاصلة وتبدلت ، وهذا ما نجده في الآيات السابقة ، فقد تبدلت الفاصلة من الهاء الساكنة إلى التاء المربوطة (راضية ، عالية، دانية ، الخالية) لكن الإيقاع بقي كما هو ، إيقاع هادئ ، استمراراً لتصوير الحالة الثانية ، التي يخيم عليها الذل والخزي .

أما ما تشابهت به الفواصل مع تشابه الإيقاع ، فنجده في قوله تعالى : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ۞ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ۞ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ۞ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ۞وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ۞ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ۞ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ۞ وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ۞ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ۞ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ۞ وَإِذَا السَّمَاء كُشِطَتْ۞ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ۞ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ۞ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ (٢)، فالفواصل قد جاءت بالتاء الساكنة ، والإيقاع يعبر عن تلك اللحظات بإيقاع سريع ، وكأنه يخبر عن سرعة قيام الساعة ، وتسارع مجريات أحداثها ، ومما نلحظه أن القرآن الكريم ، لم يتحدث بشكل مباشر

---

١ ـ الصوت اللغوي في القرآن ، محمد الصغير : ١٥٣

٢ ـ التكوير : ١ ـ ١٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

عن سرعة قيام الساعة في الآيات السابقة ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ﴾ (١) ، ولكنه أتى بإيقاع سريع ، يوحي بطريقة غير مباشرة عن تسارع الأحداث ، وتسابقها في ذلك الزمان ، وكأننا أمام نوع جديد من الخطاب ، هذا النوع يستخدم الموسيقى للتعبير عن لحظات معينة ، دون اللجوء إلى التعبير ، بوساطة الكلمات والأصوات .

وقد يتنوع الإيقاع القرآني حسب الموقف الذي يتحدث عنه ، وتبعاً للمعنى المراد ، فوظيفة الموسيقى، في أي عمل كان ، جذب سمع المتلقي ، وتهيئته لذلك الموقف ، حيث نجد في القرآن ، تلك الخاصية التي يلتمسها المتلقي ، من حيث استشعار صفات الموقف قبل الخوض في سماعه ، فإذا كان يتحدث عن الجنة ونعيمها، تجده نغماً عذباً تستأنس به النفوس، وتهدأ لموسيقاه القلوب ، وترتاح لسماعه الأذن، وإذا كان موقفاً صعباً، يتحدث عن أهوال يتبعها خوف ، وفزع ، ورعب ، فتكون موسيقاه سريعة صاخبة ، تهز المستمع من الأعماق ، فترتعش لسماعها أعصابه ، وتجذب الخيال ، لتلقي به في عالم تلك الأهوال ، بما يصاحب تلك الموسيقى ، وذلك الإيقاع من مشاهد تصويرية ، ليتمم كل منهما الآخر ، كل ذلك ينتج بوساطة التأثير الذي تحدثه وظيفة الكلمة في مدلولها الإيقاعي ، لإحداث استجابة ذوقية ، تمتع الحواس ، وتثير الانفعالات ، بوساطة نظمها بالطريقة الصحيحة التي تتلاءم مع طريقة التعبير " وتناسق ذلك كله مع الجو الذي تطلق فيه هذه الموسيقى ، ووظيفتها التي تؤديها في كل سياق " (٢) ، ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۞ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۞ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ۞ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۞ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۞ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۞ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۞ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۞ أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ (٣) .

فقد بدأت الآيات بإيقاع سريع ، تتحدث عن حال الإنسان في ذلك اليوم ، والحالة التي تخيم على المرء بوساطة الخوف والفزع ، باستخدام ألفاظ تلقي بظلالها على الموضوع ، مثل (يفر) ، فهو يصور حالة الإنسان الخائف يوم القيامة ، وما يصاحب ذلك من إيقاع سريع ، يتناسب وحركة

---

١ ـ النحل : ٧٧

٢ ـ التصوير الفني في القرآن ، سيد قطب : ٨٧

٣ ـ عبس : ٣٤ ـ ٤٢

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفرار التي يقوم بها المرء الخائف في ذلك اليوم ، ثم يلجأ الإيقاع إلى الهدوء والتراخي ، عندما يتحدث عن حالة الإنسان الراضي ، المطمئن بما حصل عليه في آخرته ، باستخدام ألفاظ تصلح لبث السكون والهدوء في النفس ، وهذه الألفاظ يخرج من بين ثناياها ذلك الإيقاع المسترسل الهادئ ، ليناسب الموضوع الذي يتحدث عنه ، وليعطي السكينة لمتلقيه ، بحيث لا يدرك مصدر تلك الموسيقى الهادئة ، ثم يعود الإيقاع إلى التسارع ، على الرغم من بقاء الفاصلة كما كانت عليه في وصف الحالة السابقة ، لكن الوصف تغير من حال الوجوه الضاحكة إلى الوجوه المقترة التي ترهقها قترة ، وكأننا نلمس أن للألفاظ إيقاعات خاصة ، توحي بمساعدة موسيقى الفواصل ، ببثّ إيقاعات تتناسب والموضوع الذي تتحدث عنه .

مما سبق ، يعتقد الباحث أن الفواصل القرآنية ليست وحدها ما تحدثه من إيقاعات ، سواء أكانت هادئة أم صاخبة ، بل أن للألفاظ دوراً كبيراً في إخراج الإيقاع بما يناسب الموضوع ، وذلك أن اللفظ نفسه قد يأتي مرتين ، المرة الأولى يصاحبها إيقاع صاخب ، يوحي بقوة اللفظ في هذا الموقع ، ويأتي اللفظ نفسه في موقع آخر ، لكن الإيقاع يكون هادئاً ، ينبئ عن رضا واطمئنان ، ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۞ إِلَّا مَن رَّحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۞ إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ ۞ طَعَامُ الْأَثِيمِ ۞ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ۞ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ۞ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ۞ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ۞ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ۞ إِنَّ هَذَا مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ ۞ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ۞ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۞ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ ۞ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ۞ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ۞ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۞ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۞ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۞ فَارْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾ (١) ، ففي الآيات السابقة ،

١ ـ الدخان : ٤٠ ـ ٥٩

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

استعمل لفظ واحد في مشهدين مختلفين وهو (الجحيم) ، ففي المشهد الأول ، يتحدث عن العذاب ، وأما المشهد الثاني ، فيصف أهل النعيم ، إلا أننا نشعر أن الإيقاع جاء مختلفاً على الرغم من تشابه اللفظ ، ويعود السبب إلى ما سبقه من ألفاظ أخرى دالة عليه ، يقول فضل عباس : " تجد لتأليف اللفظة في السمع حسناً ومزية على غيرها ، وإن تساويا في التأليف من الحروف المتباعدة ، كما أنك تجد لبعض النغم والألوان حسناً يتصور في النفس ، ويدرك بالبصر والسمع دون غيره مما هو من جنسه " (١) ، ولو تمعنا في لفظ الجحيم بدلالة العذاب ، لأدركنا ، أن ما سبقها ، قد أوجد لها إيقاعاً يبعث على الخوف والفزع مثل (خذوه ، فاعتلوه) ، فهذان الفعلان بوساطة لفظهما ، يدلان على إيقاع خاص ، يبعث الخوف قبل أن نصل إلى لفظ الجحيم نفسه ، ومع استعمال اللفظ بما سبقه مباشرة (سواء) بمعنى وسط ، وانضمامها إلى ما سبقها ، نشعر برصانة الإيقاع ، وجدواه في بث التأثير في نفسية المتلقي .

أما لفظ الجحيم الذي استعمل في المقام الآخر ، والذي يتحدث عن أهل الجنة ، فنجد فيه إيقاعاً مختلفاً جُلّ الاختلاف ، فهنا مقام أمان بما يصاحبه من موسيقى مسترسلة متراخية ، تدل على هدوء أصحاب ذلك المقام ، ورضاهم بما نالوه ، على الرغم من وجود لفظ الجحيم ، إلا أن ما سبق لفظ الجحيم (ووقاهم) قد ألغى مدلولها ، بما كان يصاحبها من إيقاع صاخب ، الذي يوحي بالرعب والخوف ، فبدّل الخوف أمناً ، والرعب طمأنينة ، وأصبح الإيقاع هادئاً ، تغلب عليه النبرة الرقيقة الساكنة .

بالنسبة للإيقاع في آيات سورة الدخان ، فقد بدأ بعرض لإحداث يوم القيامة بشكل عام ، وقد جاء الإيقاع بأسلوب بطيء مسترسل ، يبث في نفسية المتلقي ذلك التمهيد البسيط ، بعبارات رقيقة شفافة ، وبقافية تتقلب بين الميم والنون ، يسبقهما الواو أو الياء ، ليناسب آخر الآيات التي تتحدث عن رحمة الله ـ ﷻ ـ فقد تتناسب مع الرحمة الموسيقى الهادئة المطمئنة ، إلا أن المشهد الآخر الذي يتحدث عن العذاب وأهواله ، يأخذ إيقاعاً سريعاً بقوافي الميم والنون أيضاً ، إلا أننا نحس بشدّة وغلظة خلال سماعها ، وذلك بوساطة استعمال القرآن لألفاظ ذات وقع مروّع ، ومخيف في النفس ، فالإيقاع في المشهد الثاني ، يبدو سريعاً بوساطة الفواصل المتقاربة في اللفظ ، والمتوازية في الوزن ، حيث تعطي موسيقى سريعة ، ذات صخب وشدّة ، تنبئ عن حجم العذاب الذي ينتظر الكافر .

فالإيقاع القرآني يكون دائماً مصاحباً للتصوير ، فشجرة الزقوم تطل علينا بما يرافقها من موسيقى بمنظر مخيف مروع ، تتجلى لآكليها بما تحمله من مرارة المذاق وشدّة الحرارة ، لتكون

---

١ ـ البلاغة ، فنونها وأفنانها (علم البيان) ، فضل حسن عباس ، دار الفرقان ، عمان ، ٢٠٠٤م ، ط٩ : ٣١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الطعام الوحيد للكافر ، إلا أن النص القرآني لا يتوقف بإيقاعه عند هذا المشهد ، بل ينتقل بأسلوب موسيقي سريع من العذاب بالطعام إلى العذاب الجسدي ، باستخدام ألفاظ تتلاءم والموقف الذي تنقله ، بما يحمله من شدّة في العذاب ، ومرارة في الموقف ، وخاصة حين يستخدام أفعال الأمر التي تتميز بالغلظة في العذاب مثل (خذوه ، فغلوه ، صلوه ، ذق) فهذه الأفعال بوساطة لفظها ، نحس بإيقاع صاخب ناجم عن عدم الرضا منهم ، وحجم العقوبة الواقعة عليهم .

ولو تابعنا الإيقاع لآخر الآيات ، نشعر أن الإيقاع يبدأ بالهدوء والسكينة ، والسبب عائد إلى اختلاف الفئة التي يتحدث عنها عن الفئة السابقة ، حيث ينتقل الخطاب القرآني من الحديث عن أهل الجحيم إلى الحديث عن أهل النعيم ، بما يتناسب مع مقام هذه الفئة من الألفاظ ، والتي تناسب بث الطمأنينة والسكون ، فقد أتى بألفاظ تناسب الموضوع من حيث الإيقاع المسترسل الهادئ من جهة ، والفواصل من حيث تشابهها وتقاربها ، وبما يسبقها من حروف المد ، جميعها تشترك في إظهار الإيقاع المنسجم مع الموضوع ، فالفواصل في الآيات التي تتحدث عن الجنة ، بما يصاحبها من تصوير ، تبث موسيقى هادئة ، لا تشوبها أي حركة ، أو نبرة مضطربة ، فهذه الفواصل تسير بتأنٍ وسلاسة (أمين ، وعيون ، متقابلين ، عين ، آمنين ، (ووقاهم عذاب) الجحيم ، العظيم) .

فالإيقاع في الصورة الأولى يختلف عن الإيقاع في الصورة الثانية ، ولو اتحدت الأوزان والفواصل بين الصورتين ؛ لأن الإيقاع في النص القرآني ، لا يلتزم بالفواصل فقط كما يلتزم الشعر بالقافية ، بل نجد فيه خاصية جديرة بالاهتمام ، وهي أن لتراص الحروف وتواؤمها ، واتحاد الكلمات وتوافقها ، واكتمال الجمل بمعانيها ، دور فعال لإظهار الإيقاع الموسيقي بجميع جوانبه ، ومرد ذلك إلى " الحس الداخلي والإدراك الموسيقي ، الذي يفرق بين إيقاع موسيقي وإيقاع " (١) .

نستنتج مما سبق ، أن الإيقاع القرآني يخضع لأمرين ، أولهما : الفاصلة من حيث التشابه والتقارب ، والاختلاف والتباعد ، ثانيهما : الموضوع الذي يتناوله في الإخبار عنه ، وقد جاء الإيقاع في الخطاب القرآني في تناسب ، بحيث يؤدي إلى انسجام الأمرين معاً .

---

١ ـ التصوير الفني في القرآن ، سيد قطب : ١٠٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثاني : أنماط التركيب في خطاب التهويل :

على الرغم من الدراسات الكثيرة التي تناولت القرآن الكريم بالبحث والتعمق ، إلا أنها لم تفِ بالغرض المطلوب في حصر وجه الإعجاز الذي يمتاز به ، وذلك لما يستخدمه من أساليب لغوية وبلاغية في خطابه ، وربما يعود ذلك كله إلى طريقة التأليف الخاصة به ، لما حوته مفرداته من تناسق واعتدال ، وبما تميزت به ألفاظه من أوزان داخل جمله وتراكيبه ، حيث اشتهرت معانيه بوساطة تركيباته ، وأصبح في مراتبه العليا ، لما جُمع فيه من الألفاظ ومعانيها .

وإذا ما أنعمنا النظر جيداً في ألفاظه ومفرداته ، وجمله وتراكيبه ، لأدركنا أنه لم يخرج عن الأساليب العربية بأي حال من الأحوال ، لكنه في الوقت نفسه ، لا يوجد ما يجاريه من النصوص العربية قديمها وحديثها ، ببلاغته ونظمه ، وقد تحدى القرآن العرب الإتيان ولو بسورة من مثله ، وهم أهل الفصاحة والبلاغة ، فعجزوا عن تحقيق مجاراته ، مما أدى إلى اعترافهم بسموه ورفعته ، قال الوليد بن المغيرة في وصف القرآن : " وماذا أقول ، فوالله ، ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني، ولا برجزه ، ولا بقصيده، ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه ، مغدق أسفله ، وأنه ليعلو ولا يعلى عليه ، وأنه ليحطم ما تحته " (١) .

وإذا كان العرب قد عجزوا عن مجاراته قديماً ، فقد أصبح ميزاناً للغتهم منذ قيام الدولة الإسلامية ، وسيبقى كذلك ما دام اللسان ينطق بالعربية ، ولن يحيد عن القرآن العلم في النهل من معارفه ، والتعرف على مكوناته ، لغوية كانت أم بلاغية ، وستبقى الدراسات تأخذ منه دون نفاذه إلى قيام الساعة .

وبما أن القرآن هو مصدر الدراسات اللغوية والبلاغية ، سيقوم الباحث في تناول عدّة أساليب لغوية لإثراء البحث ، وسيقتصر على جزء بسيط من هذه العلوم وهي ، التكرار ، التقديم والتأخير ، الحذف والذكر ، التوسع ، لما لها من ترابط مع موضوع البحث ، وخاصة أن موضوع البحث يتكلم عن التهويل .

---

١ ـ إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن ، محمد الغزي : ٣١٣/٢

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المطلب الأول : التكرار في خطاب التهويل :

التكرار من الظواهر اللغوية البارزة في العربية ، وقد كان العرب يستخدمون التكرار في خطاباتهم لفوائد جمة ، يقول الزركشي في حديثه عن التكرار : " وقد غلط من أنكر كونه من أساليب الفصاحة ، ظناً أنه لا فائدة له ، وليس كذلك ، بل هو من محاسنها ، لا سيما إذا تعلق بعضه ببعض ، وذلك أن من عادة العرب في خطاباتها ، إذا أبهمت بشيء إرادة لتحقيقه ، وقرب وقوعه ، أو قصدت الدعاء عليه ، كررته توكيداً ، وكأنها تقيم تكراره مقام المقسم عليه ، أو الاجتهاد في الدعاء عليه ، حيث تقصد الدعاء " (١) .

إذن ، الزركشي يؤكد أن التكرار من أساليب الفصاحة العربية ، لكنه ينبه إلى أن هناك من ينكر هذا الأسلوب ، ويبدو أن العرب قد جعلت هذا اللون من أساليبها ، لما له من الأهمية في البيان والتوضيح ، حيث يكون استخدامه للتنبيه أو للتأكيد على أمر ما، وربما للتخويف والتغليظ، والفائدة التي تُجنى من التكرار ، هي التأثير في النفس ، يقول الزرقاني : " تكرار ما يستحق التكرار من الأمور المهمة ، حتى يجد سبيله إلى النفوس النافرة ، والطباع العصية ، فتسلس له القيادة ، وتلقى إليه السلم " (٢) ، ويرى الزركشي أن التكرار يكون أكثر فاعلية في التأثير من التأكيد ، يقول في ذلك : " وأعلم أن التكرير أبلغ من التأكيد ؛ لأنه وقع في تكرار التأسيس ، وهو أبلغ من التأكيد ، فإن التأكيد يقرر إرادة الأول وعدم التجوز "(٣) .

وأصل التكرار في اللغة من الكر ، بمعنى الرجوع " وكرر الشيء وكرره ، أعاده مرة بعد أخرى " (٤) ، وقد يأتي له تصريف آخر وهو التكرير " كررت الشيء تكريرا وتكراراً " (٥) ، ومعناه أن يعيد المتكلم اللفظ بالمعنى ، أكثر من مرة في سياق واحد " إن التكرار هو أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة باللفظ والمعنى ، والمراد بذلك الوصف ، أو الذم ، أو التهويل ، أو الإنكار ... " (٦) .

وقد قسّم العلماء التكرار إلى نوعين : أحدهما : يكون باللفظ والمعنى ، والآخر : يكون بالمعنى دون اللفظ " وأما التكرير، وهو ينقسم قسمين: أحدهما: يوجد في اللفظ والمعنى، والآخر يوجد في

.....

١ ـ البرهان في علوم القرآن : ٩/٣

٢ ـ مناهل العرفان : ٢٦٢/٢

٣ ـ البرهان في علوم القرآن : ١١/٣

٤ ـ لسان العرب ، ابن منظور : مادة : كر

٥ ـ المصدر السابق : المادة نفسها

٦ ـ خزانة الأدب ، علي بن عبد الله الحموي الأزراري ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، ١٩٨٧ ، ط١ ، تحقيق : عصام شعيتو : ٣٦٠/١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المعنى دون اللفظ ، فأما الذي يوجد في اللفظ والمعنى ، فكقولك لمن تستدعيه : أسرع أسرع . . . وأما الذي يوجد في المعنى دون ، اللفظ فكقولك : أطعني ولا تعصني ، فإن الأمر بالطاعة نهي عن المعصية " (١) .

وبما أن القرآن الكريم قد نزل باللغة العربية مخاطباً أهلها ومتكلميها ، فلابد من استعمال أساليبها ، وهذا ما نلحظه في تكرار بعض الآيات أو الألفاظ ، وهذا الأمر كان له صدى كبير عند فريق من العلماء ، لكنه لم يلقَ قبولاً عند فريق آخر ، فالفريق الأول ، نظر إلى التكرار على أنه ظاهرة ملحّة ، يرتكز عليها القرآن الكريم في بنيته، لا سيّما أن من وظائفه البلاغة ، والتأكيد على المعنى المقصود من الألفاظ المكرّرة (٢) ، بينما ينفي الفريق الثاني التكرار من القرآن تماماً ، بادّعاء عدم الفائدة من تكرار اللفظ نفسه ، في السياق نفسه ، للمعنى نفسه. ولو كانت الألفاظ مكرّرة ، فإنها تدلّ بنظرهم على معانٍ مختلفة (٣) .

ويعتقد الباحث أن التكرار في القرآن الكريم ، إنما جاء لحكمة بلاغية ، توحي بأهمية الموضوع في ذلك المقام ، بما يحمله من دلالات عظيمة ؛ لأن بوساطة التكرار ، يمكن تحصيل التأثير في النفوس " وقد يتأثر بالتكرار ، من لا يتأثر بالمرة الواحدة " (٤) ، وبما أن موضوع البحث يتناول خطاب التهويل ، يرى الباحث أن الحديث في هذا الموضوع ، يتكرر في كثير من السور القرآنية ، ليبين أهمية ذلك اليوم ، بما يتناوله من أهوال عظام ، توحي بهول الموقف ، وصعوبته ، وشدّته على النفوس ، ليكون في الوقت نفسه ، رادعاً للإنسان من أجل العمل لذلك اليوم ، وقد تكرر الحديث عن أهوال ذلك اليوم ، سواء أكان بالتكرار اللفظي أم المعنوي ، ليحدث أكبر نوع من التأثير في النفس الإنسانية .

وإذا أنعمنا النظر في آيات التهويل ، نجد أن جميعها توحي ، أن الهول واقع على الناس بكافة أطيافهم وأديانهم دون استثناء ، بما فيهم المؤمنين ، يقول تعالى : ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي

.....

١ ـ المثل السائر ، ابن الأثير : ١٤٦/٢

٢ ـ انظر : الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي : ٢٨٠/٣ ، روح المعاني ، الألوسي : ٣٠/١ ، التفسير البياني للقرآن الكريم ، عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) : ٦٨/٢

٣ ـ انظر : أسرار التكرار في القرآن ، الكرماني : ٢٥١ ، البرهان في علوم القرآن ، الزركشي : ٢٠/٣

٤ ـ البرهان في علوم القرآن ، الزركشي : ٢٠/٣

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ (١) ، بمعنى أن خطاب التهويل شامل لجميع الخلق ، ولذلك يكون التكرار أكثر بلاغة ، لبثّ التأثير في النفوس .

وتجدر الإشارة هنا ، أن الآيات التي تتحدث عن يوم القيامة ، قد ورد التكرار فيها باللفظ المفرد وبالجملة ، فالتكرار في اللفظ المفرد لم يأتِ على حالة واحدة ، بل أتي على حالات ثلاث ، أول هذه الحالات ، جاء التكرار باللفظ نفسه ، وثانيها ، جاء التكرار بالمضمر بدل الظاهر ، وثالثها ، جاء التكرار بالمعنى على اختلاف اللفظ ، ومن أمثلة الحالة الأولى ، حيث تكرر الظرف (يوم) في قوله تعالى : ﴿ وَيَومَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ ﴾ (٢) ، فتكرار الظرف جاء للتأكيد على ذلك اليوم " ويومئذ تكرير للتأكيد " (٣) ، وشبيه من ذلك في تكرار اللفظ ، تكرار ما الاستفهامية في قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۞ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ (٤) ، فتكرار لفظ ما الاستفهامية ـ وهي في محل رفع مبتدأ ـ في هذا الموضع ، لتعظيم يوم القيامة وتفخيمه ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ الْحَاقَّةُ ۞ مَا الْحَاقَّةُ﴾ (٥) ، وقوله تعالى " ﴿ الْقَارِعَةُ ۞ مَا الْقَارِعَةُ﴾ (٦) ، يقول الشوكاني : " والاستفهام للتعظيم ، والتفخيم ، وتكرير المبتدأ هنا بلفظه معنى عن الضمير الرابط ، كما في قوله تعالى الحاقة ما الحاقة ، والقارعة ما القارعة ، ولا يجوز مثل هذا ، إلا في مواضع التفخيم والتعظيم " (٧) ، انظر : الآيات (١٦ ، ١٧) من سورة الانفطار ، الآيات (٤ ، ٥) من سورة والهمزة .

أما الحالة الثانية ، أتى بها التكرار بالمضمر بدل الظاهر، فنجد ذلك في قوله تعالى : ﴿ الْحَاقَّةُ

---

١ ـ الشورى : ١٨

٢ ـ الجاثية : ٢٧

٣ ـ مشكل إعراب القرآن ، القيسي : ٦٦٣/٢ ، انظر : الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي : ١٧٣/١٦

٤ ـ الانفطار : ١٧ ، ١٨

٥ ـ الحاقة : ١ ، ٢

٦ ـ القارعة : ١ ، ٢

٧ ـ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير : ١٤٨/٥

© Arabic Digital Library Yarmouk University

﴿ مَا الْحَاقَّةُ ﴾ (١) ، فقد أتى اللفظ الظاهر وهو (الحاقة) بدل المضمر (هي) تهويلاً لها ، وتعظيماً لشأنها ، يقول الزمخشري : " {ما الحاقة} ؟ والأصل : الحاقة ما هي ؟ أي أيُّ شيءٍ هي ؟ تفخيماً لشأنها ، وتعظيماً لهولها ، فوضع الظاهر موضع المضمر ؛ لأنه أهول لها " (٢) ، وشبيه مما سبق ، نجده في قوله تعالى " ﴿ الْقَارِعَةُ ۞ مَا الْقَارِعَةُ ﴾ (٣) ، يقول الشوكاني : " والحمل على معنى التفخيم والتعظيم أولى ، ويؤيده وضع الظاهر موضع المضمر ، فإنه أدل على هذا المعنى ، ويؤيده قوله تعالى { وما أدراك ما القارعة } ، فإنه تأكيد لشدة هولها ، ومزيد فظاعتها " (٤) .

وشبيه من ذلك ما نجده في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ (٥) ، يقول الألوسي : " أي ؛ لو يعلم هؤلاء الذين ظلموا بالاتخاذ المذكور ، ووضع الظاهر موضع المضمر ، للدلالة على أن ذلك الاتخاذ ظلم عظيم " (٦) .

أما ثالث الحالات من التكرار المفرد ، فيكون بالمعنى وليس باللفظ ؛ أي أن يأتي اللفظان مختلفان ، ولكنهما يحملان المعنى نفسه ، ومثال ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾ (٧) ، يرى بعض المفسرين أن (يوم عقيم) هو يوم القيامة ، يقول الزمخشري : " ويجوز أن يُراد بالساعة وبيوم عقيم يوم القيامة وكأنه قيل : حتى تأتيهم الساعة أو يأتيهم عذابها " (٨) ، وعلى ذلك يكون التكرار جاء بالمعنى دون اللفظ، يقول الطبري في آية سورة الحج :"وذلك أن الساعة هي يوم القيامة ،

---

١ ـ الحاقة : ١ ، ٢

٢ ـ الكشاف : ٤٥٢/٤

٣ ـ القارعة : ١ ، ٢

٤ ـ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير : ٤٨٦/٥

٥ ـ البقرة : ١٦٥

٦ ـ روح المعاني : ٣٥/٢

٧ ـ الحج : ٥٥

٨ ـ الكشاف : ٢٣٣/٣

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فإن كان اليوم العقيم أيضاً ، هو يوم القيامة ، فإنما معناه ما قلنا ، من تكرير ذكر الساعة مرتين باختلاف الألفاظ " (١) .

أما بالنسبة للتكرار في آيات التهويل على مستوى الجملة ، فذلك نوع ، قد استخدمه القرآن الكريم لإظهار طابع التهويل والتخويف ، كما كان في تكرار المفرد ، ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۞ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ (٢) ، فتكرار الجملة جاء تهويلاً لأمر يوم الدين ، يقول الشوكاني في تعليقه على الآية : " وكرره تعظيماً لقدره ، وتفخيماً لشأنه ، وتهويلاً لأمره " (٣) ، وشبيه مما سبق نجده في قوله تعالى : ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۞ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾(٤) ، فتكرار الجملة جاء للتهويل والتفخيم ، ولا يستخدم مثل هذا اللون من الأساليب إلا للوعيد ، يقول الزركشي : " في مقام الوعيد والتهويل ، كقوله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ، وذكر ثم في المكرر ، دلالة على أن الإنذار الثاني ، أبلغ من الأول ، وفيه تنبيه على تكرر ذلك مرة بعد أخرى ، وإن تعاقبت عليه الأزمنة ، لا يتطرق عليه تغيير ، بل هو مستمر دائماً " (٥) ، ونظير ذلك قوله تعالى : ﴿ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۞ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ (٦) ، فقد كررت الرؤية زيادة في التهويل ، يقول الزمخشري : " { لترون الجحيم } فبين لهم ما أنذرهم منه وأوعدهم به ، . . . وكرره معطوفاً بثمّ ، تغليظاً في التهديد ، وزيادة في التهويل " (٧) ، وشبيه بذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ (٨) ، حيث ذكر أصحاب المشأمة ، ثم أعقب ذلك بالسؤال للتهويل ، يقول الكرماني :

---

١ ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١٩٣/١٧
٢ ـ الانفطار : ١٧ ، ١٨
٣ ـ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير : ٣٩٦/٥
٤ ـ التكاثر : ٣ ، ٤
٥ ـ البرهان في علوم القرآن : ١٧/٣
٦ ـ التكاثر : ٦ ، ٧
٧ ـ الكشاف : ٦٢٨/٤
٨ ـ الواقعة : ٩

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

" وقيل تقديره أزواجا أزواجا ثلاثة فأصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة والسابقون ، ثم ذكر عقيب كل واحد منهم ، تعظيما وتهويلا ، فقال : ما أصحاب الميمنة ما أصحاب المشأمة والسابقون " (١) .

يعتقد الباحث أن الخطاب القرآني في عرضه لصور التهويل ، لم يأتِ على صورة واحدة من التكرار، بل نوّع في أساليبه ، حين اتخذ التكرار وسيلة لبث الروع والخوف في النفوس ، وهذا التنوع ارتبط به جانب آخر إضافة إلى التهويل ، وهو جانب إبعاد السأم والملل عن المتلقي ، إذ تبين لنا أن التكرار في القرآن الكريم كله بلاغة ، وقد جاء لتوضيح ذلك اليوم وبيانه.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

.....

١ ـ أسرار التكرار في القرآن : ١٩٨/١

المطلب الثاني : التقديم والتأخير في خطاب التهويل :

تُعدُّ ظاهرة التقديم والتأخير من الظواهر البارزة في الخطاب القرآني ، وهي ظاهرة عجيبة في استخدامها ، على الرغم من أنها من الأساليب العربية المعروفة ، لكن إتيانها بهذا المستوى في آياته ، قد جعل أهل اللغة يعجبون من كيفية استخدامها ، والمعاني التي تحملها بوساطة هذا الاستخدام ، ولإدراك بعض فوائد هذه الظاهرة ، لجأ بعض علماء العربية إلى الشعر في بيان محاسنها وفوائدها ، وقد أشار الجرجاني إليها بقوله : " إن هو باب كثير الفوائد ، جمُّ المحاسن ، واسع التصرف ، بعيد الغاية ، لا يزال يفترُّ لك عن بديعةٍ ، ويضفي بك إلى لطيفة ، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه ، ويلطف لديك موقعُهُ ، ثم تنظر فتجد سببَ أن راقك ولطُف عندك ، أن قُدِّم فيه شيء ، وحوِّل عن مكانٍ إلى مكان " (١) .

ولم يأتِ التقديم والتأخير في الكلام إلا لأسباب اقتضتها الحاجة ، وربما يعود ذلك للاهتمام ، فمن كانت له عناية عندنا ، قدمناه في اللفظ ، قال سيبويه عند ذكر الفاعل والمفعول : " كأنهم يقدّمون الذي بيانه أهمُّ لهم ، وهم ببيانه أعنى ، وإن كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم " (٢) .

ويرى ابن قيم الجوزية ، أن من فوائد التقديم والتأخير زيادة في المعنى ، وذلك حين تكلم عن أقسامه ، يقول في ذلك : " ما يلزم فيه زيادة معنى فلا يخلو ، إما أن يكون المقصود بتقديمه زيادة المعنى خاصة ، كقوله تعالى { إياك نعبد وإياك نستعين } فإن المقصود بتقديم ـ إياك ـ تعظيم الله سبحانه وتعالى ، والاهتمام بذكره مع إفادة اختصاص العبادة ، والاستعانة بالله تعالى ، ليصير الكلام حسناً متناسقاً ، ولو قال نعبدك ونستعينك ، لم يكن الكلام متناسباً . . . وأما ما يراد بتقديمه زيادة المعنى فقط . فمنه تقديم المفعول في قوله تعالى : { قل أفغير الله تأمروني أعبدُ أيها الجاهلون } ، وكذلك { بل الله فاعبُد وكن من الشاكرين } ، فإن المراد هاهنا بتقديم المفعول لتخصيصه بالعبادة ، ولو أخره ما أفاد ذلك " (٣) ، ويضيف القرطبي فائدة عظيمة إلى التقديم والتأخير ، تتمثل في التوضيح المقصود والابتعاد عن الإبهام " أن يكون في التأخير إخلال ببيان المعنى ، كقوله تعالى : { وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه } ، فإنه لو أخر قوله من

.....

١ ـ دلائل الإعجاز ، : ١٠٦

٢ ـ الكتاب ، سيبويه ، عمرو بن عثمان بن قنبر أبو البشر ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩١ ، تحقيق : عبد السلام محمد :٣٤/١

٣ ـ الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، محمد بن أبي بكر ابن أيوب الزرعي المعروف بابن قيّم الجوزية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨ ، ط٢ ، تحقيق : مجموعة من العلماء بإشراف الناشر ١٢٠ ، ١٢١ ، ومن الباحثين من ينكر أن كتاب الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان من تأليف ابن قيّم =

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

آل فرعون ، فلا يُفهم أنه منهم " (١) .

فالألفاظ في الخطاب القرآني لم تتقدم أو تتأخر إلا لغاية ، أو مقصد شريف ، فهي تأخذ المكان المناسب لها ، ولو قدمنا بعضها أو أخرناه ، لأدركنا تفاوتاً في الصياغة، أو المعنى ، أو الإيقاع ،

.....

= وفي الوقت نفسه لا يذكر اسم مؤلف آخر له . انظر : ابن قيّم الجوزية حياته وأثاره ، بكر بن عبدالله أبو زيد ، دار المعارف ، الرياض ، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م ، ط٢ ، ص : ١٨٤ .

ومن جانب آخر ، وخلال البحث ، وجد الباحث من ينسب كتاب " الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان " إلى أبي عبدالله جمال الدين محمد بن سليمان بن الحسن بن الحسين البلخي المقدسي الحنفي المعروف بابن النقيب ، المتوفى سنة ٦٩٨هـ ، وأضاف أن هذا الكتاب ـ الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ـ عبارة عن مقدمة لتفسير ابن النقيب المعروف باسم " التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير في معاني كلام السميع البصير " حيث فُصل هذا الجزء عن التفسير ، وطُبع باسم " مقدمة ابن النقيب في علم البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن " انظر : مقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن للإمام أبي عبدالله جمال الدين محمد بن سليمان بن الحسن بن الحسين البلخي المقدسي الحنفي الشهير بابن النقيب ، والمطبوع خطأ بعنوان (الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان) لابن قيّم الجوزية ، كشف عنها وعلى حواشيها د . زكريا سعيد علي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط١ ، ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥م ، ص : ٢٣ ـ ٢٨ .

أما المصادر القديمة ، فلم تذكر على أن " الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان " من مؤلفات ابن قيّم الجوزية . انظر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد ، الهند ،ط٢ ، ١٩٧٢م ، تحقيق : محمد عبدالمعيد خان : ١٣٩/٥ ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، عبدالحي بن أحمد العكري الدمشقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د. ط : ١٦٩/٣ ـ ١٧٠ ، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع ، محمد بن علي الشوكاني ، دار المعرفة ، بيروت ، د . ط : ١٤٤/٢ ، أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم ، صديق بن حسن القنوجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٨م ، د . ط ، تحقيق : عبد الجبار زكار : ١٠٤/٣ .

وبعد البحث والتمعن ، وجد الباحث أن اسم (الفوائد) عنوان لكتابين ، وكلا الكتابين منسوب لابن قيم الجوزية ، فأولهما هو " الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان " ، وهو كتاب يبحث في علوم البلاغة وفنون البيان ، وثانيهما " الفوائد " وهذا الكتاب يتناول كثير من المسائل الدينية في التفسير والتوضيح ، وهو أقرب للتفسير من البيان لعلوم البلاغة . انظر : الفوائد ابن قيم الجوزية ، مكتبة الإيمان ، المنصورة ، مصر ، ط١ ، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م ، تحقيق : أحمد محمد خطاب .

ويعتقد الباحث أن الخطأ كان بسبب العنوان، ولذلك نُسب كتاب" الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان" لابن الجوزية بسبب تشابه العنوان .

.....

١ ـ الجامع لأحكام القرآن : ٢٢١/١٥

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لا يمكن إدراكه إلا بإرجاع كل لفظ لمكانه الذي وضع به أصلاً ، إضافة إلى أنها تحمل من وراء الصياغة سواء بالتقديم أم بالتأخير ، دلالة تتوالد بوساطتها المعاني ، التي ترتكز بدورها على الإفادة ، وما أحدثته تلك الصياغة من إبداع .

ومن أمثلة تقديم الخبر على المبتدأ قوله تعالى :

﴿ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ (١) .

فقد قُدم الخبر (شاخصة) على المبتدأ (أبصار) ، وذلك زيادة في بيان معنى الهول الذي يتعرضون له يوم القيامة ، يقول القرطبي : " شاخصة أبصار الذي كفروا ، على تقديم الخبر على الابتداء؛ أي أبصار الذين كفروا شاخصة من هذا اليوم ؛ أي من هوله لا تكاد تطرف "(٢) ، ويؤكد الألوسي ذلك بقوله : " والضمير للقصة والشأن ، وهو مبتدأ ، وشاخصة خبر مقدم، وأبصار مبتدأ مؤخر ، ولا يجوز أن يكون شاخصة الخبر ، وأبصار مرفوعاً به ؛ لأن خبر ضمير الشأن لا يكون إلا جملة مصرحاً بجزءيها " (٣) .

وشبيه بذلك على تقديم الخبر على المبتدأ قوله تعالى :

﴿ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ (٤) .

فقدم الخبر الجار والمجرور (إلى ربك) ، على المبتدأ (المساق) للحصر ، يقول الألوسي : " المساق مصدر ميمي كالمقال ، وتقديم الخبر للحصر " (٥) .

ونظير ذلك نجده في قوله تعالى :

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاء الْآخِرَةِ فَأُوْلَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾ (٦) .

فالأصل أن يكون المبتدأ قبل الخبر ، فالتقدير (محضرون في العذاب) ، لكن الخبر في الآية

.....

١ ـ الأنبياء : ٩٧

٢ ـ الجامع لأحكام القرآن : ٣٤٢/١١ ، انظر : فتح القدير بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، الشوكاني

٣ ـ روح المعاني : ٩٣/١٧

٤ ـ القيامة : ٣٠

٥ ـ روح المعاني : ١٤٨/٢٩

٦ ـ هود : ٣٩

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

السابقة ، قد تقدم على المبتدأ لتخصيص بيان نوعية العذاب الذي ينتظر الكافرين ، ولذلك تقدم الخبر للتنبيه على شدة العذاب ، ليعطي دافعاً للخوف والرهبة لدى المتلقي .

ومن أمثلة تقديم خبر كان على كان واسمها قوله تعالى :

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاء إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ (١) .

فـ (إياكم) مفعول (يعبدون) فقدم للعناية به ، والتقديم حاصل للخبر على كان واسمها " أهولاء مبتدأ ، وإياكم في موضع نصب بـ يعبدون ، ويعبدون خبر كان ، وفيه دلالة على جواز تقديم خبر كان عليها ؛ لأن معمول الخبر بمنزلته " (٢) .

ويبدو أن دلالة هذا التقديم للتبكيت والتوبيخ لهؤلاء الكافرين ، الذي كانوا يدّعون عبادة الملائكة ، وفي ذلك يقول الزمخشري : " وإذا كان الكلام منصبّاً إلى غرض من الأغراض ، جعل سياقه له ، وتوجهُهُ إليه ، كأن ما سواه مرفوضٌ مطروحٌ " (٣) .

ويقول الزركشي : " أن يكون التقديم لإرادة التبكيت والتعجب من حال المذكور ، لتقديم المفعول الثاني في قوله تعالى (وجعلوا لله شركاء الجن) ، والأصل الجن شركاء ، وقدم ؛ لأن المقصود التوبيخ ، وتقديم الشركاء أبلغ في حصوله " (٤) .

وفي تقديم خبر ليس على ليس واسمها يقول تعالى :

﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلاَ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (٥) .

التقدير : ألا ليس العذاب مصروفاً عنهم يوم القيامة ، فـ (يوم) منصوب ، حيث تقدم على ليس فدل على جواز تقديم خبر ليس عليها " و { يوم يأتيهم } منصوب خبر ليس ، ويستدل به من يستجيزُ تقديم خبر ليس على ليس ، وذلك أنه إذا جاز تقديم المعمول خبرها عليها ، كان ذلك

---

١ ـ سبأ : ٤٠

٢ ـ التبيان في إعراب القرآن ، عبدالله بن أبي عبدالله الحسين بن أبي البقاء العكبري ، إحياء الكتب العربية ، تحقيق : علي محمد البيجاوي : ١٩٨/٢ ، انظر : روح المعاني ، الألوسي : ١٥١/٢٢

٣ ـ الكشاف : ٦٤٥/٣ وذلك بعد تعليقه على قوله تعالى : (إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما) يس : ١٣

٤ ـ البرهان في علوم القرآن : ٢٣٦/٣

٥ ـ هود : ٨

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

دليلاً على جواز تقديم خبرها ، إذا المعمول تابع للعامل ، فلا يقع إلا حيث يقع العامل " (١) ، فدلالة هذا التقديم تفيد استمرارية العذاب .

ومن أمثلة تقديم المفعول به على الفاعل ، نحو قوله تعالى :

﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ (٢) .

فقدم المفعول به الجار والمجرور (الهاء) في يأتيه ، على الفاعل (عذاب) ، وفي ذلك تخصيص على من يقع عليه العذاب .

ونظير ذلك قوله تعالى :

﴿ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ (٣) .

وأما تقديم الحال على صاحبها ، فنجده في قوله تعالى :

﴿ خُشَّعاً أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴾ (٤) .

فـ (خشعاً) حال منصوب " المعنى يخرجون خشعاً ، وخاشعاً منصوب على الحال " (٥) ، فقد تقدم الحال على صاحبه ، وهو فاعل يخرجون ، وفي ذلك يقول الزمخشري : " (خشعاً أبصارهم) حال من الخارجين فعلّ للأبصار " (٦) ، وشبيه من قول الزمخشري نجده عند الألوسي ، حيث يقول : " خشعاً إبصارهم ، حال من فاعل يخرجون " (٧) ، فقد تقدم الحال على الفعل المتصرف " خشعاً أبصارهم حال من فاعل يخرجون ، والتقديم (كذا) ؛ لأن العامل متصرف أي يخرجون من الأجداث ، أذلة أبصارهم من شدّة الهول" (٨) .

ويرى القيسي ، أن خشعاً نُصبت على الحال بسبب الهاء والميم في عنهم ، وليس بسبب فاعل يخرجون " قوله خشعاً ، نصب على الحال من الميم والهاء في عنهم فيقبح الوقف على عنهم ، وإن جعلته حالاً من الضمير في يخرجون ، حسن الوقف على عنهم ، وكذلك موضع يخرجون ،

.....

١ ـ الكشاف ، الزمخشري : ٣٩٢/٣

٢ ـ هود : ٣٩

٣ ـ الزمر : ٤٠

٤ ـ القمر : ٧

٥ ـ زاد المسير في علم التفسير ، الجوزي : ٩٠/٨

٦ ـ الكشاف : ٣٠٨/٤

روح المعاني : ٨٠/٢٧

٨ ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، أبو السعود : ١٦٨/٨

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

حال من الضمير المخفوض في أبصارهم "(١) ، وفي ذلك دلالة ، على حال الكافرين يوم القيامة ، وما يسيطر عليهم من الذل ؛ لأن الذل والهوان يكونان في العيون " وخشوع الأبصار ، كناية عن الذل والانخذال ؛ لأن ذلة الذليل وعزة العزيز ، تظهران في عيونهما " (٢) .

وقد يتقدم الظرف لغاية معينة ، ومثال ذلك قوله تعالى :

﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ۞ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾ (٣) .

فقد تقدم الظرف إلينا ، وهو خبر إن على اسمها لفائدة ، وهي بيان شدّة الوعيد وتأكيده ، يقول النسفي : " إن إلينا إيابهم رجوعهم ، وفائدة تقديم الظرف ، التشديد في الوعيد ، وأن إيابهم ، ليس إلا إلى الجبار المقتدر على الانتقام ، ثم علينا حسابهم ، فنحاسبهم على أعمالهم ونجازيهم بها ، جزاء أمثالهم ، وعلى لتأكيد الوعيد لا الوجوب ، إذ لا يجب على الله شيء "(٤) ، ويقول ابن عاشور : " وتقديم خبر (إن) على اسمها ، يظهر أنه لمجرد الاهتمام ، تحقيقاً لهذا الرجوع لأنهم ينكرونه ، وتنبيهاً على إمكانه رجوع إلى الذي أنشأهم أول مرة " (٥) .

فتقديم الظرف في الإثبات ، دليل على الاختصاص ، أي أن هذا الأمر يفيد الاختصاص بالله عز وجل " إن إلينا إيابهم ثم علينا حسابهم . . . فإن ذلك يفيد اختصاص ذلك بالله تعالى " (٦) .

ولم يتوقف التقديم والتأخير عند ما سبق ، بل نجد أن المسند أليه ، قد يتقدم على المسند في آيات خطاب التهويل ، لإضفاء طابع التخويف ، والترهيب من ذلك اليوم ، ومثال ذلك من قوله تعالى : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۞ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ۞ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۞ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۞ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۞ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۞ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۞ وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ ۞ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ۞ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ

.....

١ ـ مشكل إعراب القرآن ، مكي القيسي : ٦٩٨/٢

٢ ـ الكشاف ، الزمخشري : ٣٠٩/٤

٣ ـ الغاشية : ٢٥ ، ٢٦

٤ ـ تفسير النسفي : ٣٣٥/٤

٥ ـ التحرير والتنوير مج١٥/ج٣٠/٣٠٨

٦ ـ البرهان في علوم القرآن ، الزركشي : ٢٣٦/٣

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

﴿ وَإِذَا السَّمَاء كُشِطَتْ ۞ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۞ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴾ (١).

فالآيات السابقة قد تقدم فيها المسند إليه (المُخبر عنه) ، وهو (الشمس ، النجوم ...) على المسند (كورت ، انكدرت ...) ، من أجل بث الرعب والخوف من هول ذلك اليوم ، يقول ابن عاشور : " وكانت الجمل التي جعلت شروطاً لـ (إذا) في هذه الآية ، مفتتحة (كذا) بالمسند إليه المخبَر عنه ، بمسندٍ فعلي ، دون كونها جملاً فعلية ، ودون تقدير أفعال محذوفة ، تفسرها الأفعال المذكورة وذلك يؤيد قول نحاة الكوفة بجواز وقوع شرط (إذ) جملة غيرَ فعلية وهو الراجح ؛ لأن (إذا) غير عريقة في الشرط . وهذا الأسلوب لقصد الاهتمام بذكر ما أسندت إليه الأفعال ، التي يغلب أن تكون شروطاً لـ (إذا) ؛ لأن الابتداء بها أدخل في التهويل ، والتشويق ، وليفيد ذلك التقديمُ على المسند الفعلي ، تقوّي الحكم ، وتأكيده في جميع تلك الجمل ، رداً على إنكار منكريه ، فلذلك قيل : { إذا الشمس كورت } ولم يقل : إذا كورت الشمس ، وهكذا نظائره " (٢) .

ويعتقد الباحث أن ما ذهب إليه ابن عاشور ، يمثل الدقة في الوصف ، ذلك أن الإخبار عن المستقبل بما فيه من أهوال ، قد لزم التغيير في التقديم والتأخير من أجل البيان ، والتوضيح في الإخبار ، ولم يستخدم الخطاب القرآني ذلك التقديم في المسند إليه ، إلا في حالات معينة ، تظهر فيها الإفادة للتخصيص كما يقول الغزي :" قد يقدم المسند إليه ليفيد تخصيصه بالخبر الفعلي "(٣)، ولذلك أراد الخطاب القرآني ، أن يخصص يوم القيامة ببعض الأمور ، التي توحي بأهوال ذلك اليوم ، أما حين الإخبار عن قرب موعد القيامة ، فقد أبقى القرآن ، على وضعية الجمل الفعلية ، دون اللجوء إلى التقديم والتأخير بين المسند والمسند إليه ، ومثال ذلك قوله تعالى :

﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ (٤) .

ففي آية القمر إخبار عن الموعد ، وعلاماتها من انشقاق القمر ، ولم تحمل الآية الكريمة أي طابع يحمل التهويل ، والترهيب من ذلك اليوم .

.....

١ ـ التكوير : ١ ـ ١٣

٢ ـ التحرير والتنوير : مج١٥/ج١٤١/٣٠

٣ ـ إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن : ١٣٨/٢

٤ ـ القمر : ١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المطلب الثالث : الحذف في خطاب التهويل :

تبرز جمالية الخطاب القرآني بما يعرض له من أمور ، باحتوائه معاني كلام الله ، وما أراد تبليغه للإنسان من أوامر ، أو نواهي ، أو إخبار ، دون أن يشعر المتلقي ، بوجود نقص لتلك المعاني ، على الرغم من استخدام القرآن لظاهرة الحذف ، ويُعرَّف الحذف بأنه " الإسقاط للتخفيف " (١) ، حيث جعله البلاغيون من الإيجاز (٢) .

فظاهرة الحذف ، واضحة جلية في الخطاب القرآني ، بما يصاحب ذلك ، من دلالة تخبر عن المحذوف ، فلا يكون الحذف إلا في المواضع التي يُراد بها التعظيم والتفخيم ، ويأتي الحذف للتخلص من الموضوع لطوله وتكراره ، الذي يؤدي بالمتلقي إلى السأم والملل ، ولذلك يُسوغ الحذف في هذه المواضع ، مع وجود دلالة الحال الدالة على المحذوف ، وبوساطة هذه الدلالة ، يشتاق الذهن للموضوع ، ليسمو في ربوعه ، فيعجز عن إدراكه ، مما يؤدي إلى رفعة شأنه " من فوائد الحذف . . . التفخيم ، والإعظام ، لما فيه من الإبهام ، لذهاب الذهن في كل مذهب ، وتشوقه إلى ما هو المراد ، فيرجع قاصراً عن إدراكه ، فعند ذلك يعظم شأنه ، ويعلو في النفس مكانة ، ألا ترى أن المحذوف ، إذا ظهر في اللفظ ، زال ما يختلج في الوهم من المراد ، وخلص المذكور منها زيادة " (٣) .

وإذا أضاف الزركشي التفخيم والتعظيم إلى فوائد الحذف ، فقد جعل القرطاجني الحذف في مواضع التهويل والتعجب " إنما يحسن الحذف ، لقوة الدلالة عليه ، أو يقصد به تعديد أشياء ، فيكون في تعدادها طول وسآمة ، فيحذف ، ويكتفي بدلالة الحال ، وتترك النفس تجول في الأشياء المكتفي بالحال عن ذكرها ، ولهذا القصد ، يؤثر في المواضع التي يراد بها التعجب ، والتهويل على النفوس " (٤) .

فالخطاب القرآني قد احتوى ظاهرة الحذف ، ومع ذلك نجد تنوّعاً في المحذوفات ، ومن أمثلة حذف المفعول ، حيث توحي دلالة المقام عليه قوله تعالى :

.....

١ ـ إعجاز القرآن ، الباقلاني : ٢٦٢

٢ ـ انظر : إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن ، الغزي : ١١١/٢

٣ ـ البرهان في علوم القرآن ، الزركشي : ١٠٤/٣

٤ ـ نقلاً عن : إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن ، الغزي : ١٥٣/٢

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

﴿ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعـاً وَأَنَّ اللّـهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ (١) .

قال الزمخشري : " أي ؛ ولو يعلم الذين ارتكبوا الظلم بشركهم ، أن القدرة كلها لله على كل شيء من العقاب ، والثواب دون أندادهم ، ويعلمون شدة عقابه للظالمين ، إذ عاينوا العذاب يوم القيامة، لكان منهم مالا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة ، ووقوع العلم بظلمهم وضلالهم ، فحذف الجواب " (٢) ، فالمحذوف هو المفعول به (أنفسهم) ، والتقدير (ظلموا أنفسهم) ، حيث إنهم ارتكبوا الظلم باتخاذهم أنداداً لله في العبادة ، وهؤلاء الأنداد ، لم يبعدوا عنهم شيئاً من العذاب ، حيث حُذف مفعول ظلموا للتعميم " ولذلك حذف مفعول ظلموا لقصد التعميم " (٣) .

ونظير ذلك قوله تعالى :

﴿ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٤) .

فقد حُذف المفعول به وهو العذاب ، والتقدير فذوقوا العذاب ، يقول العكبري : " قوله تعالى : فذوقوا بما نسيتم ؛ أي ذوقوا العذاب " (٥) ، يقول الطبري : " فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا ، يقول : بما تركتم أن تعملوا ليومكم هذا ، إنا نسيناكم ؛ أي تركناكم ، وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون " (٦) .

ومن أمثلة حذف المفعولين قوله تعالى :

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَيْـنَ شُـرَكَآؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (٧) .

---

١ ـ البقرة : ١٦٥

٢ ـ الكشاف : ١٩٤/١

٣ ـ التحرير والتنوير ، ابن عاشور : مج٢/ج٢/٩٤

٤ ـ السجدة : ١٤

٥ ـ التبيان في إعراب القرآن : ١٨٩/٢ ، انظر : البرهان في علوم القرآن ، الزركشي : ١٦٤/٣

٦ ـ جامع البيان عن تأويل أي القرآن : ٥٨/١٨

٧ ـ الأنعام : ٢٢

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فقد حُذف المفعولان ، أولهما الضمير في تزعمونهم ، وثانيهما شركائي ، والتقدير : الذي كنتم تزعمونهم شركائي ، يقول أبو السعود : " أين شركائي الذي كُنتم تزعمون ؛ أي الذين تزعمونهم شركائي ، فحذف المفعولان معاً ، ثقة بدلالة الكلام عليهم " (١) .

وأيضاً يكون الحذف في جواب لولا ولو ، ومثال ذلك قوله تعالى :

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ فَقَالُواْ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَـذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) .

ولو ترى جوابه محذوف للتهويل ، وتقديره لرأيت عجباً ، أو أمراً عجيباً ، ويمكن أن يأتي ، لرأيت سوء منقلبهم ، أو سوء حالهم ، يقول الزمخشري : " { ولو ترى } ، جوابه محذوف تقديره ولو ترى لرأيت أمراً شنيعاً " (٣) .

وشبيه بذلك ما نجده في قوله تعالى :

﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ (٤) .

فجواب لو محذوف ، وتقديره ، لرأيت أمراً عجيباً ، والحذف جاء لتهويل الموقف ، يقول ابن عاشور : " والخطاب في (ولو ترى) لكل من يصلح لتلقي الخطاب ممّن تبلغه هذه الآية ، أي ولو يرى الرائي هذا الوقت . وجواب (لو) محذوف للتهويل وهو حذف شائع . وتقديره : لرأيت أمراً عجباً ، و(إذ) ظرف متعلق بـ (ترى) أي ؛ لو ترى في الزمان الذي يوقف فيه الظالمون بين يدي ربهم " (٥) .

والحذف في هذه المواضع ، تم نتيجة ربط إحدى الجملتين بالأخرى، حتى كأنهن جملة واحدة ، فجاء الحذف مناسباً لإبعاد التطويل في الجمل ، يقول الزركشي : " والسر في حذفه في هذه المواضع ، أنها لما ربطت إحدى الجملتين بالأخرى ، حتى صارت جملة واحدة ، أوجب ذلك لها فضلاً وطولاً ، فخفف بالحذف مع الدلالة على ذلك "(٦) ، والحذف في مثل هذه المواضع ، يكون للتهويل ، ذلك من أجل المبالغة في الأمر ، لمنح المتلقي فرصة التفكر في حال هذا الموقف ،

---

١ ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم : ٢١/٧

٢ ـ الأنعام : ٢٧ ، انظر : السورة نفسها : آية رقم ٣٠

٣ ـ الكشاف : ٨٧/٢

٤ ـ سبأ : ٣١ ، انظر : السورة نفسها ، آية رقم : ٥١

٥ ـ التحرير والتنوير : مج١١/ج٢٠٣/٢٢

٦ ـ البرهان في علوم القرآن : ١٨٣/٣

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويضيف الزركشي قائلاً : " وحذف الجواب ، يقع في مواقع التفخيم والتعظيم ، ويجوز حذفه لعلم المخاطب ، وإنما يحذف لقصد المبالغة ؛ لأن السامع مع أقصى تخيله ، يذهب منه الذهن كل مذهب ، ولو صرح بالجواب ، لوقف الذهن عند المصرح به ، فلا يكون له ذلك الوقع " (١) .

ومن أمثلته أيضاً قوله تعالى :

﴿ إِذَا السَّمَاء انشَقَّتْ﴾ (٢) .

فقد حُذف جواب الشرط ، وتقديره﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ (٣) ، وكذلك ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ (٤) ، يقول الزمخشري : " حُذف جواب إذا ، ليذهب المقدرُ كلَّ مذهب ، أو اكتفاءً بما عُلِمَ في مثلها من سورتي التكوير والانفطار " (٥) .

ومن صور الحذف في الخطاب القرآني ، حذف المبتدأ ، حيث يكثر في جواب الاستفهام ، وبعد تقديم الأوصاف له ، ومثال ذلك قوله تعالى :

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ۞ نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ (٦) .

والتقدير : هيه نار حامية ، فبعد أن تحدث الخطاب القرآني عن النار ، وأعطى أوصافاً مخيفة مرعبة لها ، من حيث القوة والإحماء حذف المبتدأ ، ونظير ذلك قوله تعالى :

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۞ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾ (٧) .

والتقدير : والحطمة أي ؛ نار الله الموقدة ، فحذف المبتدأ ، يقول ابن عاشور : " والتقدير هي ، أي الحطمة نار الله ، فحذف المبتدأ من الجملة ، جرياً على طريقة استعمال أمثاله من كل إخبار عن شيء حديث عنه وأوصاف له " (٨) .

---

١ ـ المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

٢ ـ الانشقاق : ١

٣ ـ التكوير : ١٤

٤ ـ الانفطار : ٥

٥ ـ الكشاف : ٥٦٥/٤

٦ ـ القارعة : ١٠ ، ١١

٧ ـ الهمزة : ٥ ، ٦

٨ ـ التحرير والتنوير : مج١٥/ج٣٠/٥٤٠

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وكما أن الخطاب القرآني يستخدم حذف المبتدأ بعد تقديم الأوصاف له ، فإنه كذلك ــ الخطاب القرآني ــ يأتي على حذف الخبر أيضاً ، والذي يؤدي إبهامه إلى التفخيم والتعظيم ، الذي يجعل المتلقي في تفكر دائم بالمحذوف ، ومثال ذلك قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ (١) .

فالتقدير : إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم ، يجازون على كفرهم بالهلاك ، فالخبر محذوف للتهويل والتفخيم " إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم الذكر ، ها هنا القرآن في قول الجميع ؛ لأن فيه ذكر ما يحتاج إليه من الأحكام ، والخبر محذوف تقديره ، هالكون أو معذبون " (٢) ، وشبيه بذلك ما نجده في قوله تعالى :

﴿ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاء عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُــونَ ﴾ (٣) .

أي ؛ العذاب واقع بكم سواء أكان لكم صبر عليه أم لا ، فاستمرارية العذاب معلومة ، أما النوعية فهي مبهمة ، وهذا الإبهام يؤدي إلى تهويل العذاب في نفسية المتلقي ، قال الزمخشري : " سواء خبر محذوف ؛ أي سواء عليكم الأمران : الصبر وعدمه " (٤) .

وكما أن الحذف قد تناول كلا من المبتدأ والخبر ، فإنه في مواضع أخرى قد جاء على الفاعل ، ومن الأمثلة على حذف الفاعل قوله تعالى :

﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِيَ﴾ (٥) .

أي ؛ إذا بلغت الروح إلى التراقي ، وهو تعبير عن الموت ، فحُذف الفاعل للعلم به ، لكنه وضعه بعد إذا للتهويل ، يقول ابن عاشور : " وضمير (بلغت) راجع إلى غير مذكور في الكلام ، ولكنه معلوم من فعل (بلغت) ، ومن ذكر التراقي يدل أنها روح الإنسان ، والتقدير إذا بلغت الروح أو النفس " (٦) ، ويضيف ابن عاشور قائلاً : " وسُلك في الجمل بعد (إذا) مسلك

.....

١ ــ فصلت : ٤١

٢ ــ الجامع لأحكام القرآن : القرطبي : ٣٦٧/١٥ ، انظر : مشكل إعراب القرآن ، مكي القيسي : ٦٤٢/٢ ، فتح القدير بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، الشوكاني : ٥١٩/٤

٣ ــ الطور : ١٦

٤ ــ الكشاف : ٢٩٠/٤

٥ ــ القيامة : ٢٦

٦ ــ التحرير والتنوير : مج١٤/ج٣٥٧/٢٩

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الإطناب لتهويل حالة الاحتضار على الكافر ، وفي ذلك إيماء إلى أن الكافر ، يتراءى له مصيره في حالة احتضاره " (١) .

ولم يكتفِ الخطاب القرآني بحذف الفاعل ، بل تعداه إلى حذف الفعل للتهويل ، ومثال ذلك قوله تعالى :

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ للّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ (٢) .

لقد انتصب الظرف يوم على إضمار الفعل اذكر ، يقول الشوكاني : " ويجوز أن ينتصب بمقدر يدل عليه الكلام أي ؛ اذكر أو ارتقب "(٣) ، بمعنى : واذكر يوم تبدل الأرض والسماوات ، يقول ابن عاشور : " ولك أن تجعله متعلقاً بفعل محذوف تقديره : اذكر يوم تبدل الأرض " (٤) . وشبيه بذلك ما نجده في قوله تعالى :

﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ (٥) .

فهذا يوم كثير الأهوال على الكافرين ، وقد حُذف الفعل لبيان شدّته " وناصب الظرف فليأتوا أو إضمار اذكر ، أو يوم يكشف عن ساق كان كيت وكيت ، فحذف للتهويل البليغ ، وأنَّ من الكوائن مالا يوصفُ لعظمه " (٦) .

ومن أنواع الحذف ، نجد في الخطاب القرآني حذف القول ، ومثاله في قوله تعالى :

﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۞ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ (٧) .

" (خذوه) مقول لقول محذوف ، موقعه في موقع الحال من ضمير (فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه) ، والتقدير : يقال خذوه . والمعلوم من المقال أن المأمورين ، بأن يأخذوه هم الملائكة الموكلون بسوق أهل الحساب إلى ما أعد لهم " (٨) ، وشبيه بذلك ما نجده في سورة الدخان الآيات ٤٧ ، ٤٨ .

---

١ ـ المرجع السابق ، ص : ٣٦٠

٢ ـ إبراهيم : ٤٨

٣ ـ فتح القدير بين فني الرواية والدراية من علم التفسير : ١١٨/٣

٤ ـ التحرير والتنوير : مج٧/ج٢٥٢/١٣

٥ ـ القلم : ٤٢

٦ ـ الكشاف ، الزمخشري : ٤٤٩/٤

٧ ـ الحاقة : ٣٠ ، ٣١

٨ ـ الكشاف ، الزمخشري : ٢٩٠/٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فالسياق دائماً يكون هادياً لما هو محذوف ، فالقائل الأمر هو الله ، أي (يقول) خذوه .

ونظير ذلك قوله تعالى :

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (١) .

على تقدير : (فيقال لهم أكفرتم بعد إيمانكم) فحذفت الفاء مع القول .

ومن أمثلة حذف المضاف قوله تعالى :

﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ (٢) .

التقدير : شكر رزقكم ، فحذف المضاف " أي تجعلون شكر الله على رزقه إياكم أن تكذبوا بقدرته على إعادة الحياة " (٣) .

وأما حذف الصفة فمثاله قوله تعالى :

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً ﴾ (٤) .

أي لا نقيم لهؤلاء الكافرين يوم القيامة وزناً نافعاً ، بمعنى ذات قيمة تنفعهم في يومهم ذاك ، فحذفت صفة الوزن للتهويل والترويع ، يقول الزركشي : " وأكثر ما يرد للتفخيم والتعظيم في النكرات ، وكأن التنكير حينئذٍ علم عليه ، كقوله تعالى : فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً ، أي وزنا نافعا " (٥) .

ويمكن أن يأتي الحذف للحال والصفة معاً ، ومثال ذلك قوله تعالى :

﴿ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴾ (٦) .

أي الذي يأتي ربه يوم القيامة مجرماً يبقى في العذاب ، ما هو بميت فيستريح ، ولا يحيا حياة

---

١ ـ آل عمران : ١٠٦

٢ ـ الواقعة : ٨٢

٣ ـ التحرير والتنوير ، ابن عاشور : مج١٣/ج٢٧/٣٤٠

٤ ـ الكهف : ١٠٥

٥ ـ البرهان في علوم القرآن : ١٥٥/٣ ، ١٥٦

٦ ـ طه : ٧٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

طيبة ، أي لا يموت موتاً مريحاً ، ولا يحيا حياة طيبة ، فحُذف الحال (موتاً ، حياةً) ، ومعه حُذفت الصفة (مريحاً ، طيبةً) " لا يموت ميتة مريحة ولا يحيا حياة ممتعة "(١) .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١ ـ فتح القدير بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، الشوكاني : ٣٧٦/٣

المطلب الرابع : التوسع في خطاب التهويل :

تُعدُّ قضية الكلام ومعانيه ، هي المحاور الرئيسية عند البلاغيين لمسمياتهم البلاغية ، فهناك بعض المصطلحات التي تتداخل فيما بينها ، حتى تصل لمرحلة الاختلاط والتشابك ، سواء أكان من جهة التقارب في المسميات من حيث المعنى ، أم من ناحية التشابه في الغرض البلاغي ، وهذا الأمر ما يراه الباحث ، عند الحديث عن التوسع في الخطاب القرآني ، فيجد أن بعض الكتب البلاغية تتحدث عن التوسع (*)على أنه إطناب ، وهذا الأمر جدير بالاهتمام ؛ لأن كلاً منهما له دوره في البيان البلاغي ، ما يجعله ذا صبغة إفرادية تميزه من غيره من المفاهيم ، وإن تقاربت الأغراض البلاغية .

إن أساس المباحث البلاغية قامت على تصور اللفظ الحامل للمعنى ، فوضع البلاغيون مقياساً أطلقوا عليه اسم (متعارف الأوساط) (١) ، أو بمعنى آخر (المساواة) ، والمساواة أن تكون الألفاظ بقدر المعاني بدون زيادة أو نقصان " فإن الألفاظ بما هي ذواتُ معاني ، والمعاني بما هي ذواتُ ألفاظ ، ينبغي لكل منهما أن يكون طبقاً للآخر" (٢) ، ويقول ابن أبي الإصبع المصري : " وأما المساواة ، فلأن ألفاظ الكلام قوالب لمعانيه، لا تزيد عليها ، ولا تقتصر عنها " (٣) .

وإذا كانت المساواة هي ميزان الألفاظ بما تحمله من المعاني ، فإن كل ما زاد عن المعنى له مسمى ، وكل ما نقص له مسمى آخر ، لكن الباحث يرى أن بعض المسميات قد اختلط بعضها ببعض ، ومثال ذلك ما كان بين التوسع والإطناب ، أو بين الإيجاز و (التضييق) ، فيعرّف السجلماسي الإطناب بقوله : " والإطناب هو ترديد اللفظ الواحد بعينه . وبالعدد أو النوع (أو المعنى الواحد بعينه . وبالعدد أو النوع) مرتين فصاعداً في القول لقصد المبالغة " (٤) ، وينقل ابن النقيب عن أبي هلال العسكري أن الإطناب بمعنى التوسع " الإطناب في الكلام هو بيان

.....

* ـ من البلاغيين من يطلق على المصطلح البلاغي (التوسع) اسم الاتساع ، ومن هؤلاء العسكري والسلجماني

١ ـ انظر : المصباح في المعاني والبيان والبديع ، بدرالدين بن مالك الشهير بابن الناظم ، مكتبة الآداب ، المطبعة النموذجية ، القاهرة ، تحقيق : حسني عبدالجليل يوسف : ٧٣

٢ ـ المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع ، محمد الأنصاري السجلماسي (أبو القاسم) ، مكتبة المعارف ، الرباط ، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨٠م ، ط١، تحقيق : علال الغازي ، ص : ١٨٣

٣ ـ تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ، ابن أبي الإصبع المصري ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، مصر ، د. ت ، د . ط ، تحقيق : حنفي محمد شرف ، ص : ٤٦٧

٤ ـ المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع ، محمد الأنصاري السجلماسي : ٣٢٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

البيان لا يكون إلا بالاتساع " (١) .

إلا أن الآراء السابقة لا نجدها عند بعضهم الآخر من البلاغيين ، الذين رأوا في الاتساع نوعاً يختلف عن الإطناب ، يقول ابن أبي الإصبع المصري في معنى التوسع : " وهو أن يأتي الشاعر ببيت يتسع فيه التأويل على قدر قوى الناظر فيه " (٢) ، بمعنى ؛ أن يكون هناك تأويلات عدّة للفظ الواحد ، وشبيه بذلك ما نجده عند السجلماسي ، الذي يقول : " والاتساع . . . ومقول بجهة تخصيص عموم الاسم على إمكان الاحتمالات الكثيرة في اللفظ (الواحد) ، بحيث يذهب وهمُ (كلِّ) سامعٍ (سامعٍ) (كذا) ، إلى احتمال احتمال (كذا) من تلك الاحتمالات . ومعنىً ومعنىً (كذا) من تلك المعاني " (٣) ، وفي موضع آخر يعرّف الإطناب بشكل مغاير بقوله : " والإطناب : هو ترديد اللفظ الواحد بعينه . وبالعدد أو النوع (أو المعنى الواحد بعينه . وبالعدد أو النوع) مرتين فصاعداً " (٤) .

إذن ، التوسع يكون في المعنى ، وهو إيراد لفظ يحمل معه معانٍ عدّة ، وتكون جميع هذه المعاني مراده (٥) .

ويرى الباحث أن الفرق بين التوسع والإطناب واقع في المعنى ، بينما يكون الإطناب في نقل المعنى الواحد بعدّة تأكيدات بوساطة التكرار ، أو التعدد ، أو النوع ، يكون التوسع في وقوع عدّة معاني للفظ الواحد .

وقد يقابل التوسع مصطلح التضييق ، الذي جعله بعض البلاغيين جزءً من الإيجاز ، يقول ابن النقيب : " واللفظ لا يخلو أن يكون مساوياً لمعناه وهو المقدر، أو أقل منه ، وهو المقصور"(٦) ، أما الرازي ، فيرى في الإيجاز ، التعبير عن المعنى بأقل الألفاظ " أنه العبارة عن الغرض ، بأقل ما يمكن من الحروف دون إخلال "(٧) ، فتعريف الرازي للإيجاز ، لا يبتعد عن تعريف التضييق ، الذي حدّه ابن الناظم بقوله " التضييق : هو أن ينقص من الكلام ما يصير به لباس

.....

١ ـ الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، ابن النقيب ، ص : ١٥٨

٢ ـ تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ، ابن أبي الإصبع : ٤٥٤

٣ ـ المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع : ٤٢٩

٤ ـ المصدر السابق : ٣٢٤

٥ ـ انظر : أسرار البيان في التعبير القرآني ، فاضل صالح السامرائي ، محاضرة ضمن فعاليات جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم عام ٢٠٠٢م

٦ ـ الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان : ١٠١

٧ ـ نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، فخر الدين الرازي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٥ ، ط١ ، ت : بكري شيخ أمين : ٣٤٧

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لفظه أضيق من قد (قدر) معناه "(١) ، فالتعريفان السابقان يؤكدان على قلة الألفاظ في العبارة ، لكن المعني يبقى دون الإخلال .

وخلاصة القول ، إن التضييق لا يحتمل إلا معنىً واحداً ، بينما يكون التوسع في احتمال معانٍ عدّة في آن واحد ، وربما يعود هذا التوسع إلى أمور عدّة ، منها أن الصيغ تحمل أكثر من معنى ، ومن أمثلة التوسع في خطاب التهويل ، ما نجده في قوله تعالى :

﴿ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرّ ﴾ (٢) .

فالتوسع في المعنى ، جاء نتيجة استخدام اللفظ (المستقر) ، والمقصود فيه ، هل هو اسم مكان أم اسم زمان ، أم مصدر ، فالمعنى قد توسع على ثلاثة احتمالات ، يقول الشوكاني : " والمراد بالمستقر ، موضع الاستقرار ، ومنه أصحاب الجنة يومئذٍ خير مستقر ، وقد يكون بمعنى الاستقرار ، ومنه إلى ربك يومئذٍ المستقر ، فالآية تحتمل المعنيين " (٣) ، ويرى ابن عاشور ، أن المستقر مصدر ميمي " المستقر (مصدر ميمي) من استقر " (٤) .

إذن التوسع جاء نتيجة لتعدد الاحتمالات للمعنى ، يقول فاضل السامرائي : " والمقصود من هذه الآية كل المعاني المحتملة ، فالاستقرار إليه ، ومكان وزمان الاستقرار إليه ، فإليه المستقر، إذن جمعت ثلاثة معاني : المصدر، واسم المكان ، واسم الزمان ، وهي كلها مرادة مطلوبة ، وليس هناك قرينة تصرف إلى أحد هذه المعاني، فأصبحت إذن من باب التوسّع في المعنى "(٥) .

ومن مواطن التوسع في خطاب التهويل ، أن تكون الإضافة إلى المفعول فيه ، لكنه يجري مجرى المفعول به ، ومثال ذلك قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ (٦) .

---

١ ـ المصباح في المعاني والبيان والبديع : ٧٣

٢ ـ القيامة : ١٢

٣ ـ فتح القدير بين فني الرواية والدراية من علم التفسير : ٦٨/١ ، ٣٣٧/٥ ، انظر : روح المعاني ، الألوسي : ١٤٠/٢٩

٤ ـ التحرير والتنوير : مج١٤/ج٣٤٦/٢٩

٥ ـ أسرار البيان في التعبير القرآني ، محاضرة ضمن فعاليات جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم عام ٢٠٠٢م

٦ ـ الحج : ١

© Arabic Digital Library Yarmouk University

فالمصدر (زلزلة) ، إما أن يكون مضافاً إلى فاعله على سبيل المجاز النسبي (المجاز الحكمي) (١) ، فتكون الساعة هي القائمة بعملية الزلزلة ، كما في قوله تعالى : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ (٢) ، وإما أن يكون مضافاً إلى الساعة على تقدير المفعول فيه ، لكن أجراءه يكون في مجرى المفعول به ، كما في قوله تعالى : ﴿ بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ (٣) ، وكما في قولهم " يا سارق الليلة أهل الدار " (٤) ، وبعضهم رأى أن إضافة الزلزلة إلى الساعة تكون بمعنى في ، أي أن الزلزلة تحدث وقت حدوث الساعة (٥) .

ولم يأتِ القرآن بصيغة واحدة للدلالة على معنى بذاته ، ولكن أتى بصيغة تحمل وجوهاً ثلاثة ، وهذا من باب التوسع .

وقد يأتي خطاب التهويل بالألفاظ التي تحمل دلالتين ، دلالة ماضية ودلالة حاضرة ، ومثال ذلك قوله تعالى :

﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (٦) .

ما المقصود بقوله تعالى (المرضعة) ؟ هل هي القائمة على فعل الرضاعة ؟ ومن هول الموقف نزعت ثديها من في الصبي ، أو أن المرضعة هي التي أرضعت في أوقات سابقة ؟ ومن هول الموقف نزعت ما في قلبها من محبة لمن أرضعته سابقا ، فنظرة المفسرين تتجه إلى الرأي الأول ، وهو أن هول الموقف ، جعل المرضعة تنزع ثديها من في طفلها ، بمعنى أن الهول نزع الشفقة والرحمة من قلب الأم ، حتى أبعدت ثديها عن في ابنها ، يقول الزمخشري : " لم قيل (المرضعة) دون المرضع ؟ قلت : المرضعة التي هي في حال الإرضاع ، ملقمة ثديها الصبي ، والمرضع التي شأنها أن ترضع ، وإن لم تباشر الإرضاع في حال وصفها به ، فقيل :

.....

١ ـ انظر : الكشاف ، الزمخشري : ٢١١/٣
٢ ـ الزلزلة : ١
٣ ـ انظر : الكشاف ، الزمخشري : ٢١١/٣
٤ ـ انظر : روح المعاني ، الألوسي : ١١٠/١٧
٥ ـ انظر : التحرير والتنوير ، ابن عاشور : مج٨/ج١٨٦/١٧
٦ ـ الحج : ٢

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مرضعة لبدلُّ علي أن ذلك الهول ، إذا فوجئت به هذه ، وقد ألقمت الرضيع ثديها ، نزعته عن فيه " (١) .

ويُحتمل أن تكون المرضعة صفة ، لمن قامت بالرضاعة سابقاً ، بمعنى أن الهول أذهل الأم عما أرضعت من الأبناء ، وهنا تبرز دلالة الحب ، ومنه قوله تعالى :

﴿ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴾ (٢) .

وسواء أكان بالشفقة والرحمة أم بالحب ، فإن اللفظ يحمل الاحتمالين معاً ، وهذا من باب التوسع .

ومن مواطن التوسع استعمال الصيغ المشتركة في المعنى ، دون وجود قرينة تدل على معنىً بعينه دون الآخر، ومثال ذلك استخدام كلمة (لمحجوبون) في قوله تعالى :

﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ (٣) .

لقد جاء الخطاب القرآني بلفظ (لمحجوبون) ، لكن ما الذي يحمله هذا اللفظ من المعاني ؟ وعن ماذا هم محجوبون ؟ فالسياق القرآني قد أبقى التأويل مفتوحاً ، ولم يأتِ بقرينة تدل على معنى معين .

إذن ، فهل الكافرون محجوبون عن رؤية ربهم ؟ أم أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ محجوب عنهم بحيث لا يرونه ؟ أم أن الحجاب يحمل معنى البعد عن الرحمة من الله ؟ فكلمة محجوبون تحمل المعاني السابقة جميعها ، يقول الطبري : " ويحتمل أن يكون مراداً بالحجاب عن كرامته ، وأن يكون مراداً به الحجاب عن ذلك كله ، ولا دلالة في الآية ، يدل على أنه مراد بذلك الحجاب عن معنى منه دون معنى " (٤) ، ويرى الألوسي ، أن الآية قد احتوت بعض العناصر اللغوية والبلاغية ، لذلك لا يمكن حصر (محجوبون) في معنى واحد ، يقول في ذلك : " أي هؤلاء المكذبون عن ربهم يومئذ لمحجوبون ، لا يرونه سبحانه ، وهو عز وجل حاضر ناظر لهم ، بخلاف المؤمنين ، فالحجاب مجاز عن عدم الرؤية ، لأن المحجوب لا يرى ما حجب ، أو الحجب المنع ، والكلام على حذف مضاف ؛ أي عن رؤية ربهم لممنوعون ، فلا يرونه سبحانه .

.....

١ ـ الكشاف : ٢١١/٣

٢ ـ المعارج : ١١

٣ ـ المطففين : ١٥

٤ ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١٠٠/٣٠ ، انظر : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، أبو السعود : ١٢٧/٩ ، معالم التنزيل ، البغوي : ٤٦٠/٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

. . أو هو على تقدير مضاف ؛ أي عن رحمة ربهم مثلاً لمحجوبون " (١) .

إذن ، محجوبون قد جمعت معانٍ ثلاثة ، وكلها مرادة مطلوبة ، ولا يوجد قرينة تصرف إلى معنى دون غيره ، فأصبحت من باب التوسّع في المعنى .

وشبيه بما سبق ، ما نجده في قوله تعالى : ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (٢) ، فعذاب الحريق يحمل معنيين ، أولهما : العذاب الأليم ، ثانيهما الاسم من الاحتراق ، ويمكن تفسير ذلك بأحد الأمرين ، وذلك من باب التوسع ، يقول القرطبي : " ويقولون لهم ذوقوا عذاب الحريق ؛ أي المحرق مثل الأليم والوجيع ، وقيل : الحريق ، الاسم من الاحتراق تحرق الشيء بالنار ، واحترق ، والاسم ، الحرقة ، والحريق والذوق ، مماسة يحصل معها إدراك الطعم ، وهو هنا توسع " (٣) .

ومن مواضع التوسع في خطاب التهويل ، نجد ذلك في قوله تعالى : ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ (٤) .

لقد جاءت الآية الكريمة باللفظ (مزيد) ، ولكن ما المقصود به ؟ هل هو مصدر كالمحيد والمميد ؟ أم هو اسم مفعول كالمبيع ؟ وهذا الأمر مرتبط تمام الارتباط بمعنى الآية (هل من مزيد) ، فإذا كان (مزيد) مصدراً ، جاء معنى الآية على النفي ، بمعنى ما بقي موضع للزيادة ، استكثاراً للداخلين في جهنم ، أما إذا كان (مزيد) اسم مفعول ، فيكون المعنى على الاستفهام للاستزادة ، بمعنى هل من شيء تزيدونه ؟ يقول الزمخشري : " ويجوز أن يكون (هل من مزيد) ؟ استكثاراً للداخلين فيها ، واستبعاداً للزيادة عليهم ؛ لفرط كثرتهم ، أو طلباً للزيادة غيظاً على العصاة ، والمزيد إما مصدر كالمحيد والمميد ، وإما اسم مفعول كالمبيع " (٥) ، ويقول القرطبي : " (هل من مزيد) أي ما بقي موضع للزيادة . . . ويحتمل أن يكون استفهاماً بمعنى

١ـ روح المعاني : ٧٣/٣٠

٢ ـ الحج : ٢٢

٣ ـ الجامع لأحكام القرآن : ٢٨/١٢ ، انظر : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، الشوكاني : ٤٤٤/٣

٤ ـ ق : ٣٠

٥ ـ الكشاف : ٢٧٣/٤، ؛ المحيد والمميد مصدران من حاد عن الطريق انحرف عنه ، وماد بمعنى اهتزّ هزة شديدة .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الاستزادة ؛ أي هل من مزيد فأزداد ، وإنما صلح هذا للوجهين " (١) .

فالتوسع في القرآن الكريم لم يأتِ زيادة في الكلام لتوضيح المعنى كما في الإطناب ، وإنما كان لزيادة في المعاني ؛ أي لإعطاء الكلام أكثر من معنى ، فهو ـ بصورة عامة ـ إبراز معاني كثيرة في ألفاظ قليلة ، وجميع هذه المعاني مقبولة بمستوى واحد ، لا يمكن قبول أحدها ورفض الآخر ، لعدم وجود دلالة تقرب معنى دون الآخر .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

.....

١ ـ الجامع لأحكام القرآن : ١٨/١٧

الفصل الثالث :

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الأساليب البلاغية في خطاب التهويل :

إن المنعم في القرآن الكريم ، العالم باللغة وفنونها ، وأساليبها البلاغية ، يدرك أن الخطاب القرآني يستخدم الأساليب الفنية للغة بشكل عجيب ، ولم يستعمل أساليب دون غيرها من البلاغة العربية ، بل إن التنوع هو الغالب على أسلوبه ، على الرغم من عدم التمايز بين أقواله ، سواء أكانت بالفصاحة أم بالبلاغة ، فقد جاء على نمط واحد في الإخبار ، سواء أكان عن الماضي ، أم عن المستقبل ، وبين ما هو كائن وما سيكون ، يحسّنها حسن الترتيب والتركيب ، ويجمّلها بديع القول وغرابة الأسلوب ، ويحليّها عذوبة الخبر ، ويتممّها برونق بليغ جميل ، فتجد في نفسك صراعاً بين متعة القول ونتيجة الكلام ، فلا تدري أيهما أقرب إلى القلب ، عذوبة الكلام أم جمالية الخبر .

وإذا أنعمنا النظر في أسلوب الخطاب القرآني ، نجده يتنقل بنا من قول إلى آخر ، دون أن نشعر بفارق بين القولين ، ودون أن نحس باختلاف بين الخبرين ، حيث يعرض الخبر بلون بلاغي معين ، ويتمم الخبر نفسه بنوع آخر من ألوان البلاغة ، فلا يزيد إلا جمالية الإمتاع ، إلى حسن الإخبار ، وكأننا أمام روضة من الأقوال ، تبهرنا برائحتها العطرة ، إضافة إلى جمال منظرها ، فلا نعرف أيهما أسبق إلى قلوبنا ، وأيهما كان به إعجابنا .

فالأسلوب القرآني أسلوب عجيب ، يستعمل اللغة بأسلوب يعجز عن تقليده أصحاب اللغة نفسها ، يقول تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ (١) ، لما فيه من استعمال لجماليات اللغة بكافة طاقاتها وطرقها ، واستخدام لمفرداتها وتعابيرها ، فهو يستحوذ على فكر المتلقي قبل التفكر في إبداعه ، لكنه في الوقت نفسه، يخاطب الناس على قدر عقولهم ، فيفهم أغراضه عامة الناس ، ويدرك أهدافه الخاصة منهم .

وإذا حاول الدارس التعمق في ألفاظه وكلماته ، وجمله وعباراته ، ليصل إلى معالم إبداعه ، وجوانب بلاغته ، وإدراك سر إعجازه ، فإن القرآن يعطيه من جميع علومه ، ويطلعه على جوانب بيانه وبلاغته ، لكن سر قوته وإعجازه ، تبقى مرهونة بما فهمه ، لبيان قوة عظمته ، وليس بما يمنحه من ملامح قوة إبداعه ومنهجه .

---

١ ـ الإسراء : ٨٨

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومن جوانب قوة الخطاب القرآني ، احتواؤه على اللغة بما احتضنته من علوم ، ولم يعتمد على جانب دون الآخر ، بل أنه استحوذ على جوانب اللغة ، من بيان وبلاغة . . . لخدمة المعنى ، ولهذا يرى الباحث أنه سيبدأ في هذا الفصل بالتشبيه ؛ لأنه الأصل في الجوانب البلاغية ، والباقي متفرع عنه ، يقول الجرجاني : " والواجب في قضايا المراتب أن يُبدأ بالعام قبل الخاص ، و{التشبيه} كالأصل في {الاستعارة}، وهي شبيهة بالفرع له ، أو صورة مقتضبة من صوره " (١) ، ويقول السجلماسي : " بدأت بالتشبيه : لأن الموضوع الثاني (الاستعارة) متوقف على التشبيه " (٢) .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١ ـ أسرار البلاغة ، الجرجاني : ٢٩

٢ ـ المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع : ٢٢٠

المبحث الأول : التشبيه في خطاب التهويل :

يمتاز خطاب التهويل بنقل أحداث مستقبلية على اعتبار ما سيكون ، ولهذا لا بد من استخدام أساليب اللغة التي تناسب الموقف ، لإحداث نوع من الاستجابة ، سواء أكان بالترغيب ، أم الترهيب والتخويف ، ولبيان هول ذلك اليوم ، فقد استخدم خطاب التهويل النواحي البلاغية ، وخاصة التشبيه ، لما له من فاعلية في التأثير على النفوس .

وقبل الخوض في تشبيهات خطاب التهويل ، لا بد من تعريف التشبيه ، والفائدة منه ، فيحدُّ القزويني التشبيه بقوله : " التشبيه الدلالة على مشاركة أمر لآخر في المعنى " (١) ، ويعرّفه السجلماسي بقوله : " هو القول المتخيّل وجود شيء في شيء "(٢) ، ويضيف قائلاً : " وقال قوم (كذا) : التشبيه هو صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة ، أو من جهات كثيرة ، لا من جميع جهاته ، لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه ، وقال قوم : هو العقد على أن أحد الشيئين يسدُّ مسدَّ الآخر في حس أو عقل " (٣) .

وشبيه من التعريفات السابقة للقدماء ، ما نجده عند البلاغيين المحدثين ، فيحدُّ احمد بدوي التشبيه بقوله : " لمح صلة بين أمرين من حيث وقعهما النفسي " (٤) ، ويعرّفه أبو حمدة بقوله : " الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى " (٥) ، ويقول أبو العدوس في التشبيه : " إلحاق أمر بأمر آخر في صفة أو أكثر ، بأداة من أدوات التشبيه ، ملفوظة أو ملحوظة " (٦) .

مما سبق ، يلحظ الباحث أن تعريفات المحدثين ، عبارة عن إعادة لتعريفات السابقين ، فهي تؤكد على وجود صفة مشتركة بين شيئين ، سواء أكانت من جهة ، أم من عدّة جهات ، لكنها تبتعد عن المطابقة ؛ لأن المطابقة في الصفات جميعها ، وهذا الأمر لا يُعدُّ من باب التشبيه ، بل يكون المشبه هو المشبه به .

وأما الفائدة التي تُجنى من التشبيه ، فقد حصرها ابن الأثير في أمرين فقط ، هما الترغيب والترهيب ، يقول في ذلك : " وأما فائدة التشبيه في الكلام ، فهي إنك إذا مثلت الشيء بالشيء ، فإنما تقصد به إثبات الخيال في النفس بصورة المشبه به ، أو بمعناه ، وذلك أوكد في طرفي

---

١ ـ الإيضاح في علوم البلاغة ، المعاني والبيان والبديع ، شرح تلخيص المفتاح : ١٢٢

٢ ـ المنزع البديع : ٢٢٠

٣ ـ المصدر السابق : ٢٢١ ، والتعريف الأخير : " وقال قوم " هو تعريف الرماني ، انظر : ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، للخطابي والرماني وعبدالقاهر الجرجاني : ٨٠

٤ ـ من بلاغة القرآن ، أحمد أحمد بدوي ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، د ت : ١٩٠

٥ ـ من أساليب البيان في القرآن الكريم ، محمد علي أبو حمدة ، جمعية عمال المطابع التعاونية ،عمان ، ط ١ـ ١٩٧٨ : ٥٢

٦ ـ البلاغة العربية ، يوسف أبو العدوس ، جامعة اليرموك ، اربد ، ٢٠٠٣ : ١٥٠

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الترغيب فيه ، أو التنفير عنه ، ألا ترى أنك إذا شبهت صورة بصورة ، هي أحسن منها ، كان ذلك مثبتاً في النفس خيالاً حسناً ، يدعو إلى الترغيب فيها ، وكذلك إذا شبهتها بصورة شيء أقبح منها ، كان ذلك مثبتاً في النفس خيالاً قبيحاً ، يدعو إلى التنفير عنها ، وهذا لا نزاع فيه " (١) ، فالترغيب والترهيب ينشئان من خلال تقرير الأمر في نفس السامع ، وهذا الرأي لا يلقى قبولاً عند ابن الناظم ، الذي رأى أن الغرض من التشبيه ، لا ينحصر في الترغيب والترهيب فقط ، وإنما يتعدا ذلك إلى بيان حال المشبه ، أو مقدار حاله ، إضافة لتقريب بعض الحالات ، التي لا يوجد لها حضور في الذهن ، يقول في ذلك : " الغرض من التشبيه : الغرض منه في الغالب ، إما بيان حال المشبه ، أو مقدار حاله ، أو إمكان وجوده . . . وإما تقريره في النفس . . . وإما تزينه أو تشويهه . . . وإما الاستطراف ، لكون المشبه نادر الحضور في الذهن " (٢) .

إلا أن التشبيه ، له من السمات ما تميّزه من غيره من الأنواع البيانية ، وتجعله الأكثر صعوبة من بين الأنواع الأخرى ، وقد لخصها ابن الأثير في ثلاثة أنواع ، وهي : المبالغة ، والبيان ، والتوضيح (٣) .

وبما أن التشبيه عنصر فعّال في البيان والتوضيح ، وفيه استرعاء لهوى النفس الإنسانية ، فقد استخدمه القرآن الكريم بكثرة، وخاصة في خطابي التهويل والجزاء، لما فيه من فاعلية للترغيب، والترهيب ، والتهويل ، ففي خطاب الجزاء مثلاً ، نجده يحتوي على عنصري الترغيب والترهيب معاً ، فكما أن النفس الإنسانية ترغب في المتعة بوساطة الجنة ونعيمها ، فإنها تخاف من النار وجحيمها ، ولذلك فإن التشبيه له الجانب الأكبر في خطاب الجزاء .

وإذا كان خطاب التهويل يتحدث عن الأمور المستقبلية للإنسان ، فإنه استخدم التشبيه في بيان هول ذلك اليوم للتأثير في النفس الإنسانية ، من حيث تقريب ذلك من الإدراك العقلي للإنسان ، وتقديمه بأسلوب جمالي ، ولم تكن عناصره إلا من الطبيعة التي عايشها الإنسان ، وقضى كل حياته على ظهرها ، أو عايش ما يشابهها ، مستخدماً الخيال الإنساني في توضيح ذلك ، يقول احمد بدوي : " وأول ما يسترعي النظر من خصائص التشبيه في القرآن ، أنه يستمد عناصره من الطبيعة ، وذلك سر خلوده ، فهو باق ما بقيت هذه الطبيعة ، وسر علومه للناس جميعاً، يؤثر فيهم ؛ لأنهم يدركون عناصره ويرونها قريبة منهم ، وبين أيديهم ، فلا تجد في القرآن تشبيهاً مصنوعاً ، يدرك جماله فرد دون فرد ، ويتأثر به إنسان دون إنسان " (٤) .

.....

١ ـ المثل السائر : ٣٧٨/١

٢ ـ المصباح في علم المعاني والبيان والبديع : ١٠٨ ، ١٠٩

٣ ـ انظر : المثل السائر ، ابن الأثير : ٣٧٨/١

٤ ـ من بلاغة القرآن : ١٩٦

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد جعل القرآن التشبيه وسيلته ، ليُري الإنسان حالة الطبيعة في ذلك اليوم ، فالسماء التي كانت تمتاز في الدنيا بالاتساع ، والصفاء ، والهدوء ، فإنها تظهر بمظهر جديد ، لم يعهده الإنسان في حياته الدنيا ، ففي المرحلة الأولى يشبه السماء بالصحيفة ، يقول تعالى :

﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ (١) ، فالسماء على اتساعها ، فإنها تطوى كما تطوى الصحف على ما كُتب فيها ، وفي ذلك دلالة على هول ذلك اليوم ، يقول البغدادي : " وقال ابن عباس : السجل الصحف ، تطوى على ما فيها من الكتابة " (٢) ، وفي المرحلة الثانية ، يشبه السماء بالوردة ، وفي ذلك دلالة على تغيّر اللون مع تبدل الحالة ، يقول تعالى : ﴿ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاء فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾ (٣) ، فالسماء على تماسكها وصفاء لونها ، تتشقق وتتمزق ، ويصبح لونها أحمر في حركة سائلة من هول ذلك اليوم ، يقول البغدادي : " الانشقاق ، انفكاك ما كان على شدة الالتئام ، فالسماء تنشق ، وتصير حمراء كالوردة " (٤) ، ويرى الطبري ، أن التغيّر في اللون ، ما هو إلا نتيجة في تغيّر السماء من موقف إلى آخر ، يقول في ذلك : " فإذا انشقت السماء وتفطرت ، وذلك يوم القيامة ، فكان لونها لون البرذون الورد الأحمر " (٥) .

وفي موضع آخر ، يشبه سبحانه وتعالى ، حالة السماء يوم القيامة ، بعدم الاستقرار في اللون كما يرى المفسرون، فالتغيير باللون حاصل بالتبدل من لون إلى آخر ، فمرّة تكون حمراء ، ومرّة أخرى تكون صفراء من هول ذلك اليوم ، ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاء كَالْمُهْلِ ﴾ (٦) ، فالمهل متعدد المعاني في المعاجم اللغوية (٧) ، لكنه يحمل طابع اللون ، ومعنى ذلك أن التلون حاصل في حالة السماء يوم القيامة ، إلا أن الباحث يرى أن الحمل على

.....

١ ـ الأنبياء : ١٠٤
٢ ـ الجمان في تشبيهات القرآن ، عبدالله بن الحسين بن ناقيا البغدادي ، مركز الصف الالكتروني (براج وخطيب) جدة ، بيروت ، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م ، ط١ ، تحقيق : محمود حسن أبو ناجي الشيباني ، ص : ١١٤
٣ ـ الرحمن : ٣٧
٤ ـ الجمان في تشبيهات القرآن : ٢٤٨
٥ ـ الجامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١٤١/٢٧
٦ ـ المعارج : ٨
٧ ـ انظر : مختار الصحاح ، الرازي ، مادة : مهل ، لسان العرب مادة ، ابن منظور ، مادة : مهل

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

طابع اللون في آية المعارج لا يكفي ، وإنما يكون مع اللون ، حالة السماء في التموج ، والحركة غير الثابتة ، يقول ابن قيم الجوزية : " وصفها الله تعالى من الانشقاق ، والانفطار ، والطي ، وكونها كالمهل مرة ، وكالدهان مرة ، وموارنها ، وتفتحها ، وغير ذلك من حالاتها " (١) .

إذن ، نتيجة لشدّة ذلك اليوم ، فقد شُبهت السماء بعدّة تشبيهات ، ففي المرة الأولى ، شُبهت في طيّها بالصحف التي تُطوى على ما فيها من كتابة ، ومرة ثانية ، شُبهت بالورد بوساطة لونها ، ومرة ثالثة ، كانت كالزيت في اللون والتموج في حركتها .

وأما الجبال التي عُرفت بالصلابة والثبات في الدنيا ، كما قال تعالى : ﴿ وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً﴾ (٢) ، وقوله تعالى : ﴿ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴾ (٣) ، ففي الآخرة تتغيّر حالاتها ، وتمتاز بصفات بخلاف مميزاتها في الدنيا ، فقد شبهها القرآن الكريم بالصوف مرتين ، وذلك في خفتها ، يقول تعالى : ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴾ (٤) ، ويقول تعالى : ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ (٥) ، فكلا التشبيهين قائم على أن الجبال يوم القيامة ، تكون مثل الصوف في الخفة ، إلا أن ما جاء في سورة القارعة يتميز بالتفرق ، عما جاء في سورة المعارج ، يقول البغدادي : " وتصير الجبال كالعهن في الخفة والطيش " (٦) ، ويضيف قائلاً في موضع آخر : " وأما قوله : ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴾ ففيه وجهان ، أن أحدهما : ذهابها وقد فسرناه في سورة النمل بحسب معنى النظير هناك . والوجه الآخر : أن الجبال تقطع ، حتى تصير كالعهن ، وهو الصوف . . . ويكون المراد ، أن الجبال في ذلك اليوم من خشية الله تعالى ، وهو ما ظهر من أمره تنهال وتتهافت " (٧) .

ويقول الزمخشري : " { العهن } الصوف المصبوغ ألواناً ؛ لأن الجبال جدد بيض وحمر ،

---

١ ـ التبيان في أقسام القرآن : ٧٠/١

٢ ـ النبأ : ٧

٣ ـ النازعات : ٣٢

٤ ـ المعارج : ٩

٥ ـ القارعة : ٥

٦ ـ الجمان في تشبيهات القرآن : ١٣٤ ، أثناء تعليقه على قوله تعالى : { وترى الجبال جامدة وهي تمر مر السحاب } النمل : ٨٨

٧ ـ المصدر السابق : ٢٧٠

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مختلف ألوانها وغرابيب سود ؛ فإذا بسّت ؛ طيِّرت في الجوّ ، أشبهت العهن المنفوش إذا طيرته الريح " (١) ، ويقول في موضع آخر : " وشبه الجبال بالعهن ـ وهو الصوف المصبوغ ألواناً ـ لأنها ألوانٌ ، وبالمنفوش منه لتفرُّق أجزائها " (٢) .

لقد جاء التشبيه لتقريب المعنى للمتلقي ، ذلك أن الجبال في أول مراحلها ، تشبه الصوف في اللون ، ذلك بتعدد ألوانها ، وفي المرحلة الثانية ، تتفتت أجزاءها ، وتصبح كالصوف المتناثر في الهواء في الخفة والطيش (٣).

وأما بالنسبة حالة الناس ، فقد شبههم القرآن الكريم بوساطة خطاب التهويل في ذلك اليوم بعدد من الصفات ، ففي المرحلة الأولى عند البعث ، فقد شبههم بالفراش في الخفة والطيش ، ذلك بما يخيم عليهم من خوف ورعب ، إضافة إلى الدهشة من هول ذلك اليوم ، يقول تعالى : ﴿ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ (٤) ، فهذا التشبيه للناس بالفراش ، دلالة على الخفة التي يسيطر عليهم ، يقول الزمخشري : " شبههم بالفراش في الكثرة ، والانتشار، والضعف ، والذلة ، والتطاير إلى الداعي من كلِّ جانبٍ ، كما يتطاير الفراش إلى النار . قال جرير :

إن الفرزدقَ ما علمت وقومَه مثل الفراش غشين نار المصطلى " (٥) .

ويرى أبن عاشور أن الفراش ، هو صغار الجراد ، الذي يركب بعضه عند الخروج من البيض ، ولذلك شبه الله الناس في ذلك الموقف بصغار الجراد ، حيث يركب بعضه بعضاً عند الخروج من الأرض ، يقول في ذلك : " والفراش : فرخ الجراد حين يخرج من بيضه من الأرض ، يركب بعضه بعضاً ، وهو ما في قوله تعالى : { يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر } . وقد يطلق الفراش على ما يطير من الحشرات ، ويتساقط على النار ليلاً ، وهو إطلاق آخر ، لا يناسب تفسير لفظ الآية هنا به " (٦) .

.....

١ ـ الكشاف : ٤٦٢/٤

٢ ـ المصدر السابق : ٦٢٥/٤

٣ ـ انظر : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، أبو السعود : ١٩٣/٩ ، فتح القدير بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، الشوكاني : ٣٨٦/٣ ، تفسير النسفي ، النسفي : ٣٥٤/٤

٤ ـ القارعة : ٤

٥ ـ الكشاف : ٦٢٥/٤ ، والبيت كما في الديوان :

(أزرى بحلمكم الفياش فأنتم مثل الفراش غشين نار المصطلى) ديوان جرير ، شرح محمد بن حبيب ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٣ ، ٢٠٠٩ ، ت : نعمان محمد أمين طه ، ص : ٩٤٣ .

٦ ـ التحرير والتنوير ، ابن عاشور : مج١٥/ج٥١٢/٣٠

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ويعتقد الباحث أن الزمخشري وابن عاشور قد خلطا بين موقفين ، الموقف الأول : يتحدث عن الناس وقت قيام الساعة ، وهم في حالة الانتشار ، وهو موقف يتحدث عن حالة البعث ، فيكون الناس في تفرق وانتشار، لا يدرون أي جهة يقصدونها ، وأي طريق يسلكونها ، فهم في تفرق وشتات ، ولهذا شبههم سبحانه وتعالى بالفراش المبثوث ، أي مبثوث في كل صوب وحدب ، وأما الموقف الثاني : فيصف حالة الناس حين يدعوهم الداعي ، فيقصدونه من كل الجهات ، ولذلك شبههم تعالى بالجراد ؛ لأن الجراد له جهة يقصدها ، يقول تعالى : ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكُرٍ ۝ خُشَّعاً أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ (١) ، فقد شبههم الخطاب القرآني بالجراد ، فهم يتجهون إلى الداعي مسرعين ملبين دعوته ، (مهطعين مسرعين) (٢) ، وشبيه بما سبق ، نجده في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعاً كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴾ (٣) ، فاستخدام لفظي (سراعاً) و (يوفضون) ، ذات دلالة واحدة ، تدل على السرعة في التلبية للداعي ، (يوفضون ، الإيفاض من الإسراع أي يسرعون) (٤) ، وقريب من المعنى السابق ، نجده كذلك في قوله تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾ (٥) ، ومعنى ينسلون يسرعون ، وهو من النسل " وقد نسل في العدو ، ينسِل ، وينسُل نسلاً ، ونسلاناً ؛ أي أسرع " (٦) .

.....

١ ـ القمر ٦ ـ ٨

٢ ـ انظر : الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي : ٣٧٦/٩ ، تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير : ٥٤٢/٢ ، البيان في تفسير غريب القرآن ، الهائم المصري : ٢٥٣/١ ، ٣٩٧/١

٣ ـ المعارج : ٤٣

٤ ـ لسان العرب ، ابن منظور ، مادة : وفض ، انظر : الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي : ٢٩٧/١٨ ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، الثعالبي : ٣٤٢/٤ ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، أبو السعود : ٣٥/٩

٥ ـ يس : ٥١

٦ ـ لسان العرب ، ابن منظور ، مادة : نسل ، انظر : معالم التنزيل ، انظر : المفردات في غريب القرآن ، الحسين بن القاسم المعروف بالراغب الأصفهاني ، دار المعرفة ، لبنان ، د . ط ، تح : محمد سيد كيلاني ، ص : ٤٩١ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إن تشبيه الناس بالجراد والفراش في خطاب التهويل ، قد جاء تصويراً لموقفين مختلفين ، فالموقف الأول يصور حال الناس وقت الخروج من الأجداث ، أما ثاني الموقفين ، فيصور حال الناس حين سماع المنادي، يقول القرطبي : " يخرجون من الأجداث ؛ أي القبور، واحدها جدث ، كأنهم جراد منتشر ، مهطعين إلى الداع ، وقال في موضع آخر : يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ، فهما صفتان في وقتين مختلفين ، أحدهما : عند الخروج من القبور ، يخرجون فزعين، لا يهتدون أين يتوجهون ، فيدخل بعضهم في بعض ، فهم حينئذٍ كالفراش المبثوث ، يدخل بعضه في بعض ، لا جهة له يقصدها ، الثاني : فإذا سمعوا المنادي ، قصدوه ، فصاروا كالجراد المنتشر ؛ لأن الجراد له جهة يقصدها ، ومهطعين معناه مسرعين " (١) .

ومن التشبيهات الجميلة لسرعة قيام الساعة ، قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢) ، فقد شبه سبحانه وتعالى قيام الساعة بلحظة وجيزة ، لا تتجاوز طرفة العين ، على الرغم من اختلاف المفسرين في السرعة ، هل في بعث الأحياء ، وإماتة الأحياء ، وإحياء الأموات ، أو في سرعة الإتيان بها من حيث الزمن ، " وقال الزجاج : لم يرد أن الساعة تأتي في لمح البصر ، وإنما وصف سرعة القدرة على الإتيان بها ؛ أي يقول للشيء كن فيكون " (٣) ، ويرى الطبري ، أن التشبيه يكون في زمن حصولها ، يقول في ذلك يقول : " وما أمر قيام القيامة ، والساعة التي تنشر فيها الخلائق ، للوقوف في موقف القيامة ، إلا كنظرة العين من البصر " (٤) .

ويبدو أن التشبيه ، بلمح البصر لقيام الساعة يحتمل الأمرين معاً ، في سرعة قيامها بالنسبة للوقت ، وقدرة الله ـ عز وجل ـ على إحضار الخلائق ، وهو القائل للشيء كن فيكون ، يقول الجوزي : " كلمح البصر ، واللمح النظر بسرعة ، إن القيامة في سرعة قيامها ، وبعث الخلائق، كلمح العين " (٥) .

فالتشبيه فن بلاغي ظاهر في القرآن الكريم ، سيما في خطاب التهويل ، ويتميز التشبيه القرآني بغنى إيحاءاته ، وكثافة معانيه ، فيحمل كثيراً من الجزيئات والتفصيلات التي تتضافر جميعها في تشكيل صورة مجسدة محسوسة ، تحمل ظلالاً كثيفة من المعاني والإيحاءات ، ترفدها عناصر مختلفة من حركة ، وصوت ، ولون . . . الخ .

---

١ ـ الجامع لأحكام القرآن : ١٣٠/١٧
٢ ـ النحل : ٧٧
٣ ـ الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي : ١٥٠/١٠
٤ ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١٥١/١٤ ، انظر : روح المعاني ، الألوسي : ١٩٨/١٤
٥ ـ زاد المسير في علم التفسير : ٤٧٤/٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثاني : الاستعارة في خطاب التهويل :

قال عبدالقاهر الجرجاني في وصف الاستعارة : " أعلم أن الاستعارة . . . أمدُّ ميداناً ، وأشدُّ افتناناً ، وأكثر جرياناً ، وأعجب حسناً وإحساناً ، وأوسع سعة ، وأبعد غوراً ، وأذهب نجداً في الصّناعة وغوراً ، من أن تُجمعَ شعبها وشعوبها ، وتُحصر فنونها وضروبها . . . ومن الفضيلة الجامعة فيها أنها تُبرز هذا البيان أبداً في صورة مستجدةٍ ، تزيد قدره نبلاً ، وتوجب له بعد الفضل فضلاً ، وأنك لتجد اللفظة الواحدة ، قد اكتسبت بها فوائد ، حتى تراها مكرّرة في مواضع ، ولها فيها في كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد ، وشرف منفرد . . . ومن خصائصها التي تُذكر بها ، وهي عنوان مناقبها ، أنّها تُعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ ، حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدّةً من الدُرر ، وتجنى من الغصن الواحد أنواعاً من الثمر . . . فإنك لترى بها الجماد حياً ناطقاً ، والأعجم فصيحاً ، والأجسام الخُرس مُبينة ، والمعاني الخفية بادية جلية ، وإذا نظرت في أمر المقاييس وجدتها ، ولا ناصر لها أعزُّ منها ، ولا رونق لها ما لم تزنها ، وتجد التشبيهات على الجملة غير مُعجبةٍ ما لم تكنها . إن شئت / أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل ، كأنها جُسّمت حتى رأتها العيون ، وإن شئت ، لطفت الأوصاف الجسمانية ، حتى تعود روحانية ، لا تنالها إلا الظنون "(١)، وقد حدَّ الاستعارة بقوله :" اعلم أن (الاستعارة) في الجملة ، أن يكون للّفظ أصلٌ في الوضع اللغويّ معروفٌ تدلُّ ، الشواهد على أنه اختُصَّ به حين وضع ، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله له نقلاً غير لازمٍ ، فيكون هناك كالعارية " (٢) .

ويرى أيضاً أن التشبيه والاستعارة فنان مختلفان ، لكنها ـ الاستعارة ـ كأنها جزء من التشبيه ، باعتبار التشبيه الأصل ، والاستعارة كأنها فرع له " (والتشبيه) كالأصل في (الاستعارة) ، وهي شبيه بالفرع له ، أو صورة مقتضبة من صوره " (٣) .

أما الرازي ، فيعرّف الاستعارة بقوله : " الاستعارة ذكر الشيء باسم غيره ، أو إثبات ما لغيره له ، لأجل المبالغة في التشبيه " (٤) ، ويؤكد على ما ذكره الجرجاني ، بأنها ليست من باب التشبيه (٥) .

ويرى ابن الأثير أن الاستعارة لا تكون باللفظ نفسه ، إنما بما يحمله من معنى " الاستعارة نقل

---

١ ـ أسرار البلاغة : ٤٢ ، ٤٣

٢ ـ المصدر السابق : ٣٠

٣ ـ المصدر السابق : ٢٩

٤ ـ نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز : ٢٣٢

٥ ـ انظر : المصدر السابق : ٢٤٥

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المعنى من لفظ إلى لفظ المشاركة بينهما ، مع طي ذكر المنقول إليه " (١) .

وفي موضوع أخر ، فقد أُخرج الرازي الاستعارة من دائرة المجاز (٢) ، لعدم وجود النقل ، أما جمهور العلماء فقد جعلوها من المجاز لاستعمال اللفظ في غير ما وضع له (٣) .

أما في اللغة ، فإن العارية ، والإعارة ، والاستعارة ذات معنى واحد ، وهو نقل الشيء من حيازة فرد إلى فرد آخر " قال الأزهري : وأما العارية ، والإعارة ، والاستعارة ، فإن قول العرب فيها هم يتعاورون العواري ويتعورونها بالواو ، كأنهم أرادوا تفرقة بين ما يتردّد من ذات نفسه ، وبين ما يُردّد " (٤) .

والاختلاف بين الاستعارة والتشبيه ، يكون في حذف أحد طرفي التشبيه وهما ، المشبه والمشبه به ، بينما يُذكر الطرفان في التشبيه ، وعلى أساس ذكر المشبه به ، أو ذكر ما يخصه ، تقسم الاستعارة إلى قسمين :

أ ـ تصريحية أو مصرح بها ، حيث يُصرح بلفظ المشبه به

ب ـ مكنية ، وهي ما حذف فيها المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه .

وسيقوم الباحث بذكر بعض الأمثلة على القسمين السابقين ضمن خطاب التهويل ، مع العلم بوجود أنواع أخرى لم يتم ذكرها ، منها نوع جدير بالاهتمام أن ذكره ، من حيث إن وجه الشبه منتزع من متعدد ، وسيأتي ذكره لاحقاً إن شاء الله تعالى ، ومن أمثلة الاستعارة التصريحية قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ (٥) ، بمعنى يُكشف الغطاء عن الأمور ، فتبُان الأعمال وتظهر للعيان ، يقول الألوسي : " في ذلك اليوم يُكشف الغطاء . . . حين يكشف الأمر ، وتبدو الأعمال ، وفي الساق على هذا المعنى استعارة تصريحية " (٦) ، وشبيه بذلك نجده في قوله تعالى : ﴿ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْراً ﴾ (٧) ، فالوزر هي العقوبة الثقيلة ، فقد أطلق عليها اسم الوزر، تشبيهاً لها في

---

١ ـ المثل السائر : ٣٥١/١

٢ ـ انظر : نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز : ٢٣٧

٣ ـ انظر : الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، ابن النقيب : ٦٨

٤ ـ لسان العرب ، ابن منظور : مادة : عور

٥ ـ القلم : ٤٢

٦ ـ روح المعاني : ٣٥/٣٢

٧ ـ طه : ١٠٠

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الثقل ، يقول الزمخشري : " يريد بالوزر العقوبة الثقيلة الباهظة ، سماها وزراً ، تشبيهاً في ثقلها على المعاقب ، وصعوبة احتمالها بالحمل ، الذي يفدح الحامل ، وينقض ظهره ، ويلقي عليه بهره (يقطع نفسه من الإعياء)"(١) ، وعلى معنى أن الوزر هي العقوبة المحمولة على الظهر ، تكون الاستعارة تصريحية ، فقد شبهت العقوبة بالحمل الثقيل ، يقول الألوسي : " أي عقوبة ثقيلة على إعراضه ، وسائر ذنوبه ، والوزر في الأصل ، يطلق على معنيين ، الحمل الثقيل والإثم ، وإطلاقه على العقوبة ، نظراً إلى المعنى الأول ، على سبيل الاستعارة التصريحية المصرحة ، حيث شبهت العقوبة بالحمل الثقيل " (٢) . ونجد استعارة تصريحية في قوله تعالى : ﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾ (٣) ، فالرقاد أصله للنوم ، وقد أستعير للموت (٤) ، " فالمستعار منه الرقاد ؛ أي النوم والمستعار له الموت " (٥) ، فالاستعارة تصريحية ، لوجود المشبه به وهو النوم ، حيث شبه الموت بالنوم " والاستعارة تصريحية لكون المشبه به مذكوراً " (٦) ، وقولهم (يا ويلنا) ، يحمل دلالة الخوف من هول يوم القيامة .

أما الاستعارة المكنية ، فنجدها في قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ (٧) ، فاستخدام القيام للحساب على سبيل الاستعارة لتهويل ذلك اليوم ، ومثال ذلك قامت الحرب ، وقد شبه الحساب بالرجل القائم ، فحذف المشبه به ، وأبقي شيئاً من لوازمه ، وهو القيام ، هنا استعارة مكنية " وجوز أن يكون شبه الحساب برجل قائم على سبيل الاستعارة المكنية " (٨) ، وشبيه بذلك قوله تعالى : ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ (٩) ، فالتكوير في اللغة هو اللف والجمع " التكوير في اللغة ، وهو طرح الشيء بعضه إلى بعض ، يقال كور المتاع ؛ أي بعضه على بعض ، ومنه كور العمامة "(١٠) ، فقد شبه الشمس وطمس ضوءها بالمتاع ، حين يُلف ويُضم بعضه إلى

---

١ ـ الكشاف : ١٦٤/٣
٢ ـ روح المعاني : ٢٥٩/١٦
٣ ـ يس : ٥٢
٤ ـ انظر : التحرير والتنوير ، ابن عاشور : مج١١/ج٣٦/٢٣
٥ ـ إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن ، الغزي : ١٢١/١
٦ ـ البرهان في علوم القرآن ، الزركشي : ٤٤٢/٣
٧ ـ إبراهيم : ٤١
٨ ـ روح المعاني ، الألوسي : ٢٤٤/١٣
٩ ـ التكوير : ١
١٠ ـ الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي : ٢٣٤/١٥ ، ٢٣٥

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بعض ، فحذف المشبه به وأبقي على شيء من لوازمه وهو التكوير ، وهنا استعارة مكنية " ويجعل التكوير بمعنى اللف قرينة ، ليكون هناك استعارة مكنية " (١) ، وفي ذلك تهويل ليوم القيامة ، حيث يجعل الشمس تتكور خوفاً ورهبة منه .

وكذلك نجد الاستعارة المكنية في قوله تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ (٢) ، وقوله تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴾ (٣) ، فالرسو يستعمل لثبات الشيء الثقيل ، وقد استخدم الرسو للساعة لتوضيح هول قيامها " وكل شيء ثقيل رسُوُّه ثباته ، واستقراره ، ومنه رسا الجبل ، وأرسى السفينة ، والمرسى (الأنجر) الذي ترسى به " (٤) ، والمرسى مكان وقوف السفن ، ولذلك استعير لبيان وقت قيام الساعة ، فحذف المشبه به وأبقى شيئاً من لوازمه ، وهو وقت الإرساء على سبيل الاستعارة المكنية " ولذا قيل الكلام على الاستعارة ، بجعل اليوم المتباعد فيه ، كشخص سائر ، لا يدرك يوصل إليه ، ما لم يستقر في مكان " (٥) ، ويقول ابن عاشور : " وقد أطلق الإرساء هنا استعارة ، تشبيهاً لوقوع الأمر ، الذي كان مرتقباً ، أو متردد فيه ، بوصول السائر في البر أو البحر إلى المكان الذي يريده " (٦) .

وشبيه بالاستعارة المكنية ، التي يُحذف منها المشبه به ، ويرمز إليها بأحد لوازمه ، نجد الاستعارة التمثيلية ، التي يُحذف منها المشبه به ، لكن وجه الشبه منتزع من متعدد ، حيث تُعدُّ من أبلغ أنواع الاستعارات كما يرى الغزي (٧) ، ومثاله قوله تعالى : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٨) ، فشبّه السموات بالكتاب المطوي في يمينه ، وهذا على بناء القدرة والقوة له ـ سبحانه وتعالى ـ فحذف المشبه به وهو الكتاب ، واستعار للمشبه وجه الشبه المنتزع من متعدد ، وهو الكتاب في حالة طيّه ، يقول ابن عاشور : " واليمين : وصف لليد ولا يد هنا ،

.....

١ ـ روح المعاني ، الألوسي : ٢١٠/٣٠
٢ ـ الأعراف : ١٨٧
٣ ـ النازعات : ٤٢
٤ ـ الكشاف ، الزمخشري : ٢/ ٢٢٤
٥ ـ روح المعاني ، الألوسي : ٣٧/٣٠
٦ ـ التحرير والتنوير : مج٥/ج٢٠٢/٩
٧ ـ انظر : إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن : ١٢٥/٢
٨ ـ الزمر : ٦٧

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وإنما كناية عن القدرة ؛ لأن العمل يكون باليد اليمين . . . والمقصود من هاتين الجملتين تمثيل عظمة الله تعالى بحال من أُخذ الأرض في قبضته ، ومن كانت السماوات مطوية أفلاكها وآفاقها بيد تشبيه المعقول بالمتخيّل ، وهي تمثيلية ، تنحل أجزاؤها إلى استعارتين . . . " (١) ، وفي ذلك بيان لهول القيامة ، وشبيه بذلك ، نجده في قوله تعالى : ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَاءِ اللّهِ حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلاَ سَاء مَا يَزِرُونَ﴾ (٢) ، فقد جاء الخطاب بذكر الظهور دلالة على ثقل المحمول ، وهي العقوبات والذنوب ، في تصوير لسوء حال المعذبين يوم القيامة ، من باب الاستعارة التمثيلية ، يقول الألوسي : " والوزر في الأصل الثقل ، ويقال الذنب ، وهو المراد هنا ؛ أي يحملون ذنوبهم وخطاياهم . . . وذكر الظهور ؛ لأن المعتاد والأغلب الحمل عليها ، كما في كسبت أيدي الناس ، فإن الكسب في الأكثر بالأيدي ، وفي ذلك إشارة إلى مزيد ثقل المحمول ، وجعل الذنوب ، والآثام محمولة على الظهر من باب الاستعارة التمثيلية ، والمراد بيان سوء حالهم ، وشدة ما يجدونه من المشقة ، والآلام ، والعقوبات العظيمة ، بسبب الذنوب " (٣) ، ونجد كذلك الاستعارة التمثيلية واضحة عند تصوير الخطاب القرآني للناس يوم القيامة ، وما يصيبهم من فزع من هول الموقف ، يقول تعالى :

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللّهِ شَدِيدٌ﴾ (٤) ، حيث استعير للمشبه هيئة المشبه به ، وفي ذلك توضيح لهول القيامة ، الذي يلهي المرأة عن طفلها ، ويجعل الحامل تُسقط ما في بطنها ، وفي ذلك يقول لاشين : " فقد شبهت أحوال الآخرة ، وما فيها من أهوال وشدة ، تنسي المرء أعز ما عنده ، بهيئة المرضعة التي تذهل عن رضيعها ، وذات الحمل التي تنسى حملها ، ثم استعير هيئة المشبه به للمشبه " (٥) .

---

١ ـ التحرير والتنوير : مج ١١ / ج٢٤ / ص ٦٢ ، ٦٣

٢ ـ الأنعام : ٣١

٣ ـ روح المعاني : ١٣٢/٧

٤ ـ الحج : ٢

٥ ـ البيان في ضوء أساليب القرآن : ١٩١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثالث : المجاز في خطاب التهويل :

يختص هذا النوع من البلاغة باللفظ ظاهرياً والمعنى باطنياً (١) ، ذلك أن اللفظ في أصل وضعه كان على الحقيقة ، ثم نُقل عن موضعه الذي وُضع له أصلاً ، إلى موضعٍ آخر لم يوُضع له في الأصل ، وقد وصف الجرجاني هذا النوع بقوله : " المجاز على حِدَته ، كنز من كنوز البلاغة، ومادة الشاعر المفلِق ، والكاتب البليغ في الإبداع والإحسان، والاتساع في طرُق البيان ، وأن يجيء بالكلام مطبوعاً مصنوعاً ، وأن يضعه بعيد المرام " (٢) . ويبدو أن هناك مزايا مهمة للمجاز ، دفعت الجرجاني لوصفه بما سبق ، ويمكن اختصار تلك المزايا بما يلي، بيان المصدر ، الإيجاز في القول ، المبالغة ، التوكيد ، التخييل ، إثارة الانتباه ، تحقيق المقدر (٣) .

والمجاز لغة " من جاز الشيء ويجوزه إذا تعداه " (٤) ، ويبدو أن المعنى اللغوي اختص بالمكان في التعدية والتجاوز " جزت الطريق ، وجاز الموضع جوازاً ومجازاً : سار فيه وسلكه ، وجاوزت الموضع بمعنى جزته ، والمجاز والمجازة الموضع " (٥) .

أما في الاصطلاح فهو " الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له ، لعلاقة بين المعنى والموضوع له ، والمعنى المستعمل فيه ، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الموضوع له " (٦) . والتفاوت في معنى المجاز عند اللغويين واضح ظاهر ، فأول من كتب في المجاز أبو عبيدة (٢٠٧ هـ) وكتابه هو (مجاز القرآن) (٧) ، لكن المنعم في كتاب (مجاز القرآن) ، يدرك أن أبا عبيدة لم يتناول المجاز في القرآن كما هو عند البلاغيين ، من حيث التجاوز في اللفظ من معنى إلى آخر ، وإنما كان المجاز عنده في تفسير غريب القرآن وتأويله ... الخ ، ومهما كان الأمر فإن أبا عبيدة يستعمل في تفسيره للآيات هذه الكلمات (مجازه كذا) ، و(تفسيره كذا) ، و(معناه كذا) ، و(غريبه كذا) ، و(وتقديره) ، و(تأويله) (٨) ، على أن

.....

١ ـ انظر : دلائل الإعجاز ، الجرجاني : ٣٦٧

٢ ـ المصدر السابق : ٢٩٥

٣ ـ انظر : الإسناد المجازي في القرآن الكريم ملابساته وأسراره البلاغية ، صديق مصطفى الريح ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الخرطوم ، www.adabjournaluofk.com

٤ ـ نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، الرازي : ١٦٧

٥ ـ لسان العرب ، ابن منظور ، مادة : جَوَزَ

٦ ـ البيان في أساليب القرآن ، لاشين : ١٤٦

٧ ـ انظر : المرجع السابق : ١٣٣

٨ ـ انظر : مجاز القرآن ، أبو عبيدة معمر بن مثنى التميمي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، د . ط ، عارضه وعلق عليه : محمد فؤاد سزكين : ١/ ١٨ ، ١٩

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

معانيها واحدة أو تكاد ، ومعنى هذا أن كلمة (المجاز) عنده ، عبارة عن الطرق التي يسلكها القرآن في تعبيراته (١) .

ويرى لاشين أن أول من أدرك حقيقة المجاز على أنه مقابل للحقيقة ، بالمعنى الحالي وليس على معنى التفسير ، هو الجاحظ (٢) .

والمنعم في تعريف الجرجاني ، يلحظ إطلاعه على رأي الجاحظ في المجاز ، فكان تعريفه للمجاز بعد أن عرّف الحقيقة ، يقول في ذلك : " وذاك أنَّ العادة قد جرت بأن يقال في الفرق بين (الحقيقة) و (المجاز) : إن (الحقيقة) أن يُقرَّ اللفظ على أصله في اللغة ، و (المجاز) ، أن يُزال عن موضعه ، ويُستعمل في غير ما وضعه " (٣) ، ويؤكد الجرجاني على أن المجاز لا يكون باللفظ ، بل بالمعنى الذي يحمله اللفظ " تجوّز في معنى اللفظ لا اللفظ ، وإنما يكون اللفظ مُزالاً بالحقيقة عن موضعه ومنقولاً عما وضع له " (٤) ، ويقول في موضع آخر : " إنك إذا ذكرت الكلمة ولا تريد معناها ، ولكن تريد معنى ما هو ردفٌ له أو شبيهٌ ، فتجوزت بذلك في ذات الكلمة وفي اللفظ نفسه . . . وهو أن يكون التجوز في حكم يُجرى على الكلمة فقط ، وتكون الكلمة متروكة على ظاهرها ، ويكون معناها / (كذا) مقصوداً في نفسه ومُراداً من غير تورية ، ولا تعريض " (٥) .

ويحدُّ ابن الأثير المجاز بقوله : " نقل المعنى عن اللفظ الموضوع له إلى لفظ آخر غيره "(٦) ، ويؤكد في الوقت نفسه ، على أن استعمال المجاز أولى من استعمال الحقيقة في المرتبة ، بسبب ما للمجاز من تأثير على نفسية السامع ، بوساطة التخييل والتصوير " ولذلك فاعلم أن المجاز ، أولى بالاستعمال من الحقيقة في باب الفصاحة والبلاغة ؛ لأنه لو لم يكن كذلك ، لكانت الحقيقة التي هي الأصل ، أولى منه من حيث هو فرع عليها ، وليس الأمر كذلك ، لأنه قد ثبت ، وتحقق أن فائدة الكلام الخطابي ، هو إثبات الغرض المقصود في نفس السامع بالتخييل والتصوير ، حتى يكاد ينظر إليه عياناً " (٧) .

---

١ ـ المصدر السابق : ١٩/١
٢ ـ انظر : البيان في ضوء أساليب القرآن : ١٣٥
٣ ـ دلائل الإعجاز : ٣٦٦
٤ ـ المصدر السابق : ٣٦٧
٥ ـ المصدر السابق : ٢٩٣
٦ ـ المثل السائر : ٧٥/١
٧ ـ المصدر السابق : ٧٨/١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أقسام المجاز عند البلاغيين :

الأول : المجاز في التركيب ويسمى مجاز الإسناد ، وهو المجاز العقلي وعلاقته الملابسة ، حيث يسند الفعل أو شبهه إلى غير ما هو له أصلاً (١) ، ومن أمثلته في خطاب التهويل :

١ ـ قوله تعالى :

﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً ﴾ (٢) .

نسب الفعل للظرف وهو (يوم)، وذلك بسبب وقوعه فيه ، حيث يشيب الولدان في ذلك اليوم ، من الأهوال التي تقع فيه ، يقول ابن عاشور " وصف اليوم بأنه { يجعل الولدان شيبا } وصف له باعتبار ما يقع فيه من الأهوال والأحزان ، لأنه شاع أن الهم مما يسرع به الشيب ، فلما أريد وصف همّ ذلك اليوم بالشدة البالغة أقواها ، أسند إليه ، يشيب الولدان ، الذين شعرهم في أول سواده ، وهذه مبالغة عجيبة ، وهي من مبتكرات القرآن فيما احسب . . . وإسناد { يجعل الولدان شيبا } إلى اليوم مجاز عقلي بمرتبتين ؛ لأن ذلك اليوم زّمن الأهوال التي تشيب لمثلها الأطفال ، والأهوال سبب للشيب عرفاً . . . فاجتمع في الآية مجازان عقليان " (٣) .

٢ ـ قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ ۞ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾ (٤) .

فالسؤال يكون للوائد وليس للموءودة ، فأسند الفعل المبني للمجهول (سُئلت) للضمير العائد لنائب الفاعل (الموءودة) ، والمتوقع أن يوجه السؤال للفاعل وهو الوائد ، والإسناد مجازي ، وتظهر فائدة التجوز هنا في قول الزمخشري بأن الموءودة تُسأل " فإن قلت : فما معنى سؤال الموءودة عن ذنبها الذي قتلت به ؟ وهلا سُئل الوائدُ عن موجب قتله لها ، قلت : سؤالها وجوابها تبكيت لقاتلها " (٥) ، ويقول الألوسي : " والإسناد مجازي ، والمراد قتل المتصف بها ، وتوجيه السؤال إلى المؤودة في قوله تعالى سئلت بأي ذنب قتلت ، دون الوائد ، مع أن الذنب له دونها

.....

١ ـ انظر : إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن ، الغزي : ٩٧/٢ ، البيان في ضوء أساليب القرآن ، لاشين : ١٤٤

٢ ـ المزمل : ١٧

٣ ـ التحرير والتنوير : مج١٤/ج٢٩/٢٧٥

٤ ـ التكوير : ٨ ، ٩

٥ ـ الكشاف : ٥٥١/٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لتسليتها ، وإظهار كمال الغيظ ، والسخط لوائدها ، وإسقاطه عن درجة الخطاب ، والمبالغة في تبكيته " (١) .

٣ ـ قوله تعالى :

﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ ۞ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾ (٢) .

فالناصية هي مقدمة الرأس ، والإمساك بها يُعدُّ من باب الذلّ لصاحبها ، وهذا ما أكده القرآن في معنى قوله تعالى : ﴿ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴾ (٣) .

وقد وصفها بالخاطئة والكاذبة ، بمعنى أن صاحبها كاذب خاطئ ، أو صاحب الناصية كاذب ، وصاحب الناصية خاطئ ، يقول الزمخشري :" ووصفها بالكذب والخطأ على الإسناد المجازي ، وهما في الحقيقة لصاحبها ، وفيه من الحسن والجزالة ما ليس في قولك ناصية كاذب خاطئ "(٤) ، فالوصف للناصية بالكاذبة والخاطئة من قبيل الإسناد المجازي، يقول ابن عاشور: " و{خاطئية } (كذا) اسم فاعل من خطئ من باب علم ، إذا فعل خطيئة ، أي ذنبا ، ووصف الناصية بالكاذبة والخاطئة مجاز عقلي ، والمراد : كاذب صاحبها خاطئ صاحبها . ومجّن هذا المجاز ، أن فيه تخييلا ، بأن الكذب والخطء باديان من ناصيته " (٥) .

٤ ـ وقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۞ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۞ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۞ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾ (٦) .

فالمتوقع أن توصف العيشة بالمرضية لا الراضية ، فقد أسند الفعل للعيشة بدل من صاحبها ، وهذا من باب المجاز الإسنادي ، يقول الشوكاني : " في عيشة راضية ؛ أي مرضية ، لا مكروهة ، أو ذات رضا ؛ أي يرضى لها صاحبها . . . فقد أسند إلى العيشة ما هو لصاحبها ،

.....

١ ـ روح المعاني : ٥٣/٣٠

٢ ـ العلق : ١٥ ، ١٦

٣ ـ الرحمن : ٤١

٤ ـ الكشاف : ٦١٤/٤ ، ٦١٥

٥ ـ التحرير والتنوير : مج١٥/ج٤٥٠/٣٠ ، انظر : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، أبو السعود : ١٨٠/٩

٦ ـ القارعة : ٦-٩

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فكان ذلك من المجاز في الإسناد " (١) ، وفي ذلك أمان للنفس من هول يوم القيامة .

وكذلك نجد المجاز العقلي في قوله تعالى : ﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾ ، فكما أن الأم هي مأوى لولدها وملجأ إليه ، فالنار كذلك بالنسبة للكافر ، فهي مأواه وملجئه يوم القيامة ، يقول الغزي : " فأمه هاوية ، واسم الأم الهاوية ، مجاز ؛ أي كما أن الأم كافلة لولدها ، وملجأ له ، كذلك النار للكافرين كافلة ، ومأوى ، ومرجع " (٢) .

ومن مجالات المجاز العقلي ، إسناد الفعل إلى الجماد ، الذي ليس من صفاته ، أن يقوم بذاك الفعل ، ومن أمثلته في خطاب التهويل قوله تعالى :

﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴾ (٣) .

لقد أسند القرآن البكاء إلى السماء والأرض معاً ، والمعلوم أنه ليس من شأن السماء البكاء ، ولا من طبيعة الأرض أن تكون باكية ، وفي ذلك دلالة على إرادة الاستعمال المجازي عقلا ، " فالسماء على حقيقتها ، والبكاء على حقيقته ، وكذلك الأرض ، ووصف السماء والأرض بأنهما يبكيان ، أو نفي بكائهما كما في الآية ، يقتضي أن هذا الإسناد ألصق في تصور الفجيعة من هول ذلك اليوم ، وأبلغ في تصوير النازلة ، وذلك حينما أخذ هؤلاء على عجل دون أهبة أو استعداد " (٤) .

وشبيه بذلك ، نجده في قوله تعالى :

﴿ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ﴾ (٥) .

فإسناد الفعل (تدعو) لجهنم من قبيل المجاز ، على أنها مكان الداعين ، أو لأنها سبباً للدعاء ، يقول الزمخشري : " (تدعوا) مجاز عن إحضارهم كأنها تدعوهم فتحضرهم " (٦) ، ويقول ابن عاشور : " وإسناد الدعاء لجهنم إسناداً مجازياً ؛ لأنها مكان الداعين، أو لأنها سبب الدعاء "(٧) .

.....

١ ـ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير : ٢٨٤/٥ ، انظر : روح المعاني ، الألوسي : ٢٢٢/٣٠

٢ ـ إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن : ٩٨/٢

٣ ـ الدخان : ٢٩

٤ ـــ مجاز القرآن (خصائصه الفنية وبلاغته العربية) محمد حسين علي الصغير : ١٣٢ ، ١٣٣ www.ruqyah.net

٥ ـ المعارج : ١٧

٦ ـ الكشاف : ٤٦٣/٤ ، ٤٦٤

٧ ـ التحرير والتنوير : مج١٤/ج١٦٤/٢٩

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الثاني : المجاز اللغوي :

المجاز في المفرد ، ويسمى المجاز اللغوي ، وهو : نقل اللفظ عن المعنى الموضوع له إلى لفظ آخر غيره (١) ، وهو نوعان :

١ ـ الاستعارة : وقد تحدث الباحث عن هذا الموضوع سابقاً .

٢ ـ المجاز المرسل : " وهو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه ، وما وضع له ملابسة غير التشبيه " (٢) ، أي ؛ أن تكون هناك علاقة قائمة على غير المشابهة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي الذي استعمل اللفظ للدلالة به عليه (٣) .

أما سبب تسميته بالمرسل ، يقول لاشين : " وسُمي ذلك مجازاً مرسلاً لأنه أرسل ـ أي أطلق ـ عن التقيد بعلاقة واحدة إذ له عدة علاقات ، أو لأنه أرسل عن دعوى الاتحاد المطلوبة في الاستعارة ، إذ ليست العلاقة فيه بين المعنيين المشابهة حتى يدعي اتحادهما " (٤) ، ويرى الباحث أن سبب التسمية تعود لعدم تقيّده بعلاقة واحدة ، بل له علاقات عدّة (٥) .

ومن أمثلته في خطاب التهويل ، قوله تعالى :

﴿ أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ۞ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ﴾ (٦) .

لقد أورد القرآن لفظة (فتنة) لبيان السبب الذي جعلهم في هذا المقام ، فكان تكذيبهم لوجود الشجرة في النار سبباً للعذاب ؛ أي أنهم كذبوا بوجود الشجرة في النار يوم القيامة ، فأدى هذا التكذيب إلى دخولهم النار ، يقول الزمخشري : " ({ فتنة للظالمين } محنة وعذاباً لهم في الآخرة ، أو ابتلاء لهم في الدنيا ؛ وذلك لأنهم قالوا : كيف يكون في النار شجرة ، والنار تحرق الشجر ؟ فكذبوا " (٧) ، فالعلاقة سببية .

.....

١ ـ المثل السائر ، ابن الأثير : ٧٥/١ ، انظر : إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن ، الغزي : ٩٧/٢

٢ ـ الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع) شرح تلخيص المفتاح ، الخطيب القزويني : ١٥٤

٣ ـ انظر : البلاغة العربية (أسُسُها وعلومها وفنونها) وصور من تطبيقاتها ، بهيكل جديد من طريف وتليد ، عبدالرحمن حسن حبنكه الميداني ، دار القلم ، دمشق ، دار الشامية ، بيروت ، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م ، ط١ : ٢٧١/٢

٤ ـ البيان في ضوء أساليب القرآن : ١٤٦

٥ ـ انظر : انظر : البلاغة العربية (أسُسُها وعلومها وفنونها) ، الميداني : ٢٢٥/٢

٦ ـ الصافات : ٦٢ ، ٦٣

٧ ـ الكشاف : ٦٨٠/٣

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومنه قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً ﴾ (١) .

فقد ذكر النار وقصد بها أموال اليتيم ، فأكل أموال اليتيم هي المسببة للنار ، أي عاقبة أكل أموال اليتامى ظلماً تؤدي إلى عذاب النار" عبر بالنار عن مال اليتيم ، إذ النار مسببة عنه "(٢) ، وشبيه بذلك نجده في قوله تعالى :

﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴾ (٣) .

فقد عبّر بالعذاب عن المكر ، إذ المكر مسببة للعذاب ، ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٤) ، فمن كان عنده اطمئنان لمكر الله ، كأنه مطمئن من عذابه سبحانه وتعالى ؛ أي لا ينبغي أن يأمن العاقل عذاب الله وإن بالغ في طاعته ، فالعلاقة مسببيه .

ومنه قوله تعالى :

﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۞ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴾ (٥) .

فقد عبر بالوجوه عن جميع الأجساد ، فالإرهاق لا يكون للوجوه فحسب ، وإنما يشمل الأجساد كاملة ، وشبيه بذلك نجده في قوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۞ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴾ (٦) ، فالنصب والعمل من صفات الأجساد " وقوله وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة ، يريد الأجساد ؛ لأن العمل والنصب من صفاتها " (٧) . فالعلاقة جزئية ، والعاملة الناصبة ، هي التي تشقى بالأعمال الصعبة المهينة ، مثل جر السلاسل ، وخوضها في النار (٨) .

.....

١ ـ النساء : ١٠

٢ ـ البيان في ضوء أساليب القرآن ، لاشين : ١٤٨

٣ ـ المعارج : ٢٨

٤ ـ الأعراف : ٩٩

٥ ـ عبس : ٤٠ ، ٤١

٦ ـ الغاشية : ٢ ، ٣

٧ ـ البرهان في علوم القرآن ، الزركشي : ٢٦٤/٢

٨ ـ انظر : تفسير البيضاوي ، البيضاوي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٦ ـ ١٩٩٩٦ ، ت : عبدالقادر عرفات العشا حسونة : ٤٨٣/٥

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقوله تعالى :

﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ (١) .

فقد أسماه القرآن مجرماً على ما كان عليه في السابق من الإجرام ، وهذه التسمية ألصقت به نتيجة لأعماله في الحياة الدنيا ، التي خالف بها شرع الله وسنة نبيه " سماه مجرماً على اعتبار ما كان من الإجرام " (٢) ، وشبيه من ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ (٣) ، سماهم مجرمين على ما كانوا عليه في الدنيا ، فالعلاقة تكون على اعتبار ما كان .

وقوله تعالى :

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٤) .

قصد بالرحمة الجنة ، بدليل قوله تعالى (هم فيها خالدون) فاستعمال الرحمة أصلاً ، يكون للرقة والحنان ، اللذان يؤديان إلى العطف ، واستعملت الرحمة هنا مجازاً بمعنى الجنة ، التي تحل فيها الرحمة ، وشبيه بذلك نجده في قوله تعالى : ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۞ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ (٥) ، فالمعنى المراد من لفظ النعيم هو الجنة ، أما الجحيم فهو العذاب (٦) وفي ذلك دلالة لهول الموقف يوم القيامة ، فالعلاقة حالية ، بمعنى تسمية الشيء باسم الحال فيه .

وقوله تعالى :

﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ ۞ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۞ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ (٧) .

ناديه ؛ أي أهل النادي ، وهو المجلس الذي يجتمع فيه القوم ، يقول الزمخشري " والنادي المجلس الذي ينتدى فيه القوم ؛ أي يجتمعون ، والمراد أهل النادي " (٨) ، فقد ذكر المحل وأراد

.....

١ ـ طه : ٧٤

٢ ـ البرهان في علوم القرآن ، الزركشي : ٢٨٠/٢

٣ ـ الصافات : ٣٤

٤ ـ آل عمران : ١٠٧

٥ ـ الانفطار : ١٣ ، ١٤

٦ ـ انظر : البيان في ضوء أساليب القرآن ، لاشين : ١٥٣

٧ ـ العلق : ١٥ ـ ١٧

٨ ـ الكشاف : ٦١٥/٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الحال وهو أهل المجلس ، يقول الألوسي : " أطلق اسم المحل على من حل فيه " (١) ، فالعلاقة محلية .

وقوله تعالى :

﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ (٢) .

وقوله تعالى :

﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٣) .

وقوله تعالى :

﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۞ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٤) .

فالبشارة الحقيقية تكون في الخبر السار ، وقد جاءت البشارة في الآية الكريمة للعذاب من قبيل السخرية والتهكم ، وفي ذلك مجاز على تسمية الشيء بضده " فالبشارة في الأصل الفرح " (٥) ، وقد استخدمها القرآن الكريم في مواضع السرور ، ومثاله :

﴿وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ (٦) ، فالعلاقة ضدية (٧) .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

---

١ ـ روح المعاني : ١٨٧/٣٠

٢ ـ النساء : ١٣٨

٣ ـ لقمان : ٧

٤ ـ الجاثية :٧ ، ٨

٥ ـ لسان العرب ، ابن منظور : مادة : يسر

٦ ـ البقرة : ٢٥ ، انظر : التوبة : ٣ ، يونس : ٢

٧ ـ انظر : إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن ، الغزي : ١٠٢/٢

المبحث الرابع : المحسنات البديعية في خطاب التهويل :

يُعدُّ علم البديع من العلوم البلاغية المهمة ، ذات التفريعات الكثيرة ، المتصلة اتصالاً وثيقاً بالنصوص بفرعيها اللفظي والمعنوي ، حيث يتناول دراسة النصوص من جانبين ، أولهما : ما يختص بالألفاظ ويسمى المحسنات اللفظية ، وثانيهما : عائدٌ إلى المعاني ، ويسمى بالمحسنات المعنوية .

وقبل الخوض في هذا العلم وتقسيماته ، لا بد من تعريفه لغوياً واصطلاحياً ، فأما معناه اللغوي ، فقد عرفه ابن منظور بقوله : " بدع الشيء ، يبدعه بدعا ، وابتدعه ، أنشأه وبدأه ، وبدع الركية استنبطها ، وأحدثها، والبديع والبدع الشيء ، الذي يكون أولا ، وفي التنزيل " **قل ما كنت بدعا من الرسل** " ؛ أي ما كنت أول من أرسل ، قد أرسل قبلي رسل كثير ، والبدعة الحدث ، وما ابتدع من الدين بعد الإكمال ، قال ابن السكيت : البدعة كل محدثة ... والبديع ، المحدث العجيب ، والبديع ، والمبدع ، وأبدعت الشيء ، اخترعته لا على مثال ، والبديع من أسماء الله تعالى ؛ لإبداعه الأشياء وإحداثه إياها ، وهو البديع الأول قبل كل شيء ... كما قال سبحانه " **بديع السموات والأرض** " ؛ أي خالقها ومبدعها ، فهو سبحانه الخالق المخترع لا عن مثال سابق ، قال أبو إسحاق : يعني أنه أنشأها على غير حذاء ولا مثال " (١) .

أما في الاصطلاح : " وهو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ، ووضوح الدلالة " (٢) .

وأول من اكتشف هذا العلم ، هو عبدالله بن المعتز العباسي ، الذي ألف أول كتاب بهذا العلم ، وأطلق عليه اسم (البديع) سنة (٢٧٤هـ) ، يقول في ذلك : " . . . فأما العلماء باللغة والشعر القديم ، فلا يعرفون هذا الاسم ، ولا يدرون ما هو ، وما جمع فنون البديع ، ولا سبقني إليه أحد ، وألفته سنة أربع وسبعين ومائتين . . . ويعلم الناظر ، أنا اقتصرنا بالبديع على الفنون الخمسة ، اختباراً من غير جهل بمحاسن الكلام ، ولا ضيق في المعرفة ، فمن أحب أن يقتدي بنا ، ويقتصر بالبديع على تلك الخمسة ، فليفعل ، ومن أضاف من هذه المحاسن ،أو غيرها شيئاً إلى البديع ، ولم يأت غير رأينا فله اختياره " (٣) .

.....

١ ـ لسان العرب ، مادة : بَدَعَ

٢ ـ الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع) شرح تلخيص المفتاح ، الخطيب القزويني : ١٩٠

٣ ـ البديع ، ابن المعتز ، مكتبة المشكاة الإسلامية ، مكتبة النجاح ، ط٢ ، ١٩٥٨م ، ت : محمد عبدالمنعم خفاجي ص : ٢٧ ، ٢٨

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وبعد ابن المعتز ، بدأ المؤلفون في تناول هذا العلم في كتاباتهم ، فزاد ابن قدامة في كتابه (نقد الشعر) ثلاثة عشر نوعاً على ما أوجده ابن المعتز ، ثم جاء أبو هلال العسكري ، الذي جعلها سبعة وثلاثين نوعاً ... (١) .

وقد قسّم علماء البلاغة البديع إلى قسمين :

قسم يرجع إلى الألفاظ ، ويسمى بالمحسنات اللفظية ، ويقسم إلى : (السجع والجناس . . .)

وقسم يرجع إلى المعنى ، ويسمى بالمحسنات اللغوية ، ويقسم إلى : (الطباق والمقابلة . . .)

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

.....

١ ـ انظر : علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع) ، أحمد مصطفى المراغي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٧م ـ ١٤٢٨هـ ، ط٤ : ٣١٨

المبحث الأول : المحسنات البديعية ــ اللفظية ــ في خطاب التهويل :

المطلب الأول : الجناس :

الجناس لغة مأخوذ من الجنس ، والجنس لغة " الضرب من الشيء ، وهو أعم من النوع ، ومنه المجانسة والتجنيس " (١) .

وفي الاصطلاح ، هو التشابه بين الكلمتين باللفظ ، مع اختلاف في المعنى " وإنما سُمي هذا النوع من الكلام مجانساً ؛ لأن حروف ألفاظه يكون تركيبها من جنس واحد . وحقيقته أن يكون اللفظ واحداً ، والمعنى مختلفاً " (٢).

ويؤكد ابن الأثير على أن الجناس الحقيقي ، ما كان التشابه بين اللفظين ، قائماً على هيئة الحروف وعددها ، ونوعها ، وترتيبها ، وغير ذلك فلا يُعدُّ من باب الجناس ، يضيف قائلاً : " وعلى هذا فأنه اللفظ المشترك ، وما عدا ذلك ، فليس من التجنيس في شيء " (٣) ، فقوله اللفظ المشترك دلالة تامة على أن اللفظين لا خلاف بينهما ، واحتمال تفسير كل واحد منهما بمعنى الآخر ، لكن الجملة والقرينة ، هما ما يحددان معنى كل منهما .

ويقسم المجاز إلى نوعين :

أ ــ جناس تام : وهو أن تتفق الكلمتان في لفظهما ، ووزنهما ، وحركاتهما ، وعدد حروفهما ، ولا تختلفان إلا من جهة المعنى (٤) .

فإذا اتفقت الكلمتان في الأمور الأربعة سُمي الجناس تاماً ، ومثاله قوله تعالى :

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴾ (٥) .

الساعة الأولى ويُقصد بها القيامة ، وأما الساعة الثانية ، فهناك احتمالان ، أولهما : أن يُراد بها الساعة الاصطلاحية ؛ بمعنى أنها جزء من أربعة وعشرين جزء، تكوّن الليل والنهار، وثانيهما : المعنى اللغوي للساعة ، وهي اللحظة من الزمان ، ويميل الباحث للرأي الأخير، وسميت القيامة باسم الساعة بسبب ما يجري فيها من أهوال عظام ، وهذا من عادات العرب ، إذا استعظموا

.....

١ ــ لسان العرب ، ابن منظور : مادة : جنس .

٢ ــ المثل السائر ، ابن الأثير : ٢٤١/١

٣ ــ المصدر السابق ، الصفحة نفسها

٤ ــ انظر : الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع) شرح تلخيص المفتاح ، الخطيب القزويني : ٢١٥

٥ ــ الروم : ٥٥

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أمراً وقع في زمان معين ، أكتفوا بذكر ذلك الزمن ، ومثال ذلك : يوم ذي قار .

ويُقسم الجناس التام إلى :

١ ـ الجناس التام المتماثل ، وهو أن تتحد الكلمتان المتجانستان في الاسمية ، أو الفعلية ، أو الحرفية ، ومثال على الاسمية قوله تعالى :

﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ۞ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي الْأَبْصَارِ ﴾ (١) .

فهول السنا يكاد يذهب بالبصر، فالأبصار في الأولى تعني البصر، أي النظر بوساطة العينين ، أما في الثانية ، فتعني العقول المفكرة الواعية المدركة ، فالأولى جمع بصر ، والثانية جمع بصيرة (٢) .

٢ ـ التجنيس المغاير ، وهو أن تختلف الكلمتان المتجانستان في النوع ، بأن تكون إحداهما اسماً والأخرى فعلاً ، ومثال ذلك قوله تعالى :

﴿ أَزِفَتْ الْآزِفَةُ ﴾ (٣) .

وقوله تعالى :

﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ (٤) .

ب ـ جناس غير تام أو ناقص : وهو وجود اختلاف بين اللفظين المتجانسين في عدد الحروف فقط ، ومثال ذلك قوله تعالى :

﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ۞ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ (٥) .

فالجناس بين الساق والمساق ، ولفظ المساق جاء بحرف زيادة وهو الميم في أوله .

وكذلك أن يختلف اللفظان بزيادة أكثر من حرف ، ومثاله قوله تعالى :

.....

١ ـ النور : ٤٣ ، ٤٤

٢ ـ انظر : الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي : ٢٤٤/٢ ، روح المعاني : الألوسي : ٢٣ / ١٤٠ ، وشي الربيع بألوان البديع في ضوء الأساليب العربية ، عائشة حسين فريد ، دار قباء ، القاهرة ، ٢٠٠٠ ص : ١٦٣

٣ ـ النجم : ٥٧

٤ ـ القلم : ١٩

٥ ـ القيامة : ٢٩ ، ٣٠

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾ (١) .

فالجناس بين ربهم وبهم ، حيث إن اللفظ الأول (ربّهم) قد زاد عن اللفظ الثاني (بهم) بحرفين هما : الراء والباء ، الباء المشددة (٢).

ج ـ جناس التصحيف : وهو أن يكون اللفظ فارقاً بين الكلمتين ، أو بمعنى آخر ، ما اختلف فيه اللفظان المتجانسان في النقط ، وذلك أن تنقيط الحروف فيه إبانة لصوت الحرف ، فإذا زال التنقيط تشابهت أصوات الحروف ، ومثاله قوله تعالى :

﴿ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً ﴾ (٣) .

فالجناس بين لفظي (يحسبون) و (يحسنون) ، ولا اختلاف بين اللفظين إلا في التنقيط فقط ، وقد اجتمع الجناس التصحيف وجناس التحريف في المثال السابق (٤) .

د ـ جناس التحريف : وهو أن يكون الحرف فرقاً بين الكلمتين ، ومثاله قوله تعالى :

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۞ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (٥) .

فالنظر قد ارتاح من هول يوم القيامة بعد رؤيته لله ـ سبحانه وتعالى ـ فالجناس بين لفظي (ناضرة) و (ناظرة) ، وقد اختلف اللفظان في الضاد والظاء ، إلا أن كلا الحرفين من مخرج واحد .

هـ ـ ويمكن أن يأتي الجناس في لفظين ، ويكون الاختلاف في حرفين متباعدين في المخرج ، ويسمى **الجناس اللاحق** (٦) ، ومثال ذلك قوله تعالى :

﴿ وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ ۞ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ (٧) .

فالجناس حاصل بين اللفظين (لشهيد) و (لشديد) وقد وقع الاختلاف بينهما في حرفين متباعدين في المخرج ، وهما (الهاء) و (الدال) ، فمخرج الهاء من أقصى الحلق ، بينما مخرج الدال من طرف اللسان (٨) .

---

١ ـ العاديات : ١١
٢ ـ انظر : الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي : ٢٤٥/٢
٣ ـ الكهف : ١٠٤
٤ ـ انظر : الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي : ٢٤٤/٢
٥ ـ القيامة : ٢٢ ، ٢٣
٦ ـ انظر : الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي : ٢٤٥
٧ـ العاديات : ٧ ـ ٨
٨ ـ انظر : علم الأصوات ، كمال بشر ، دار غريب ، القاهرة ، ٢٠٠٠ ، د. ط : ١٨٤ ـ ١٨٦

© Arabic Digital Library Yarmouk University

و ـ جناس التشكيل : وهو أن يكون التشكيل فرقاً بيم اللفظتين ، ومثاله قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ۞ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ﴾ (١) .

فالجناس واقع بين (منذِرين) و (مُنذَرين) ، والاختلاف في المعنى ظاهر بيّن ، فالمراد بالأول : الفاعلون ، وبالثاني : المفعولون ، وهم الذين وقع عليهم الإنذار .

ز ـ جناس التصريف : وهو أن تنفرد إحدى الكلمتين عن الأخرى بحرف (٢) ، ومثاله قوله تعالى : ﴿ذَلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴾ (٣) .

فالخطاب لهؤلاء الكافرين تهويلاً لما ينتظرهم من العذاب يوم القيامة ، حيث نجد الجناس في كلمتين هما (تفرحون) و (تمرحون) ، فالفاء في الكلمة الأولى ، والميم في الكلمة الثانية .

ح ـ جناس الترجيع : وهي أن ترجع الكلمة بذاتها (٤) ، ومثاله قوله تعالى :

﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾ (٥) .

فالجناس بين لفظتي (ربهم) و (بهم) ، فذكرت اللفظة الثانية في اللفظة الأولى .

ك ـ جناس الاشتقاق: وهو أن يعود اللفظان إلى أصل واحد في الاشتقاق، ومثاله قوله تعالى :

﴿ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ (٦) .

فهول يوم القيامة يجعل القلوب والأبصار تتقلب ، فالجناس بين لفظتي (تتقلب) و (القلوب) والأصل واحد " فجونس بالقلوب التقلب ، والأصل واحد ، فالقلوب تتقلب بالخواطر ، والإبصار تتقلب في المناظر ، والأصل التصرف " (٧) .

ولم يجد الباحث أمثلة على الأنواع الأخرى من الجناس بين ثنايا الآيات القرآنية ، خاصة آيات خطاب التهويل ، سوى ما ذكر سابقاً ، ومن ذلك (جناس العكس ، والجناس المركب) ، حتى أن مجمل كتب البلاغة ، والتي اطلع عليها الباحث سواء القديمة منها أم الحديثة ، قد تكررت فيها الأمثلة نفسها من الآيات القرآنية .

---

١ ـ الصافات : ٧٢ ، ٧٣
٢ ـ الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، ابن النقيب : ٣٧٢
٣ ـ غافر : ٧٥
٤ ـ الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، ابن النقيب : ٣٧٢
٥ ـ العادات : ١١
٦ ـ النور : ٣٧
٧ ـ انظر : الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي : ٢٤٥/٢

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المطلب الثاني : السجع (تماثل الفواصل) في خطاب التهويل :

يُعدُّ السجع من الألوان البديعية التي يزخر بها القرآن الكريم ، على الرغم من وجود آراء تنفي السجع في آياته ، ومن هذه الآراء ما هو عائد إلى الرماني ، الذي يرى أن السجع عيب ، وجعل ما جاء في القرآن فواصل ، يقول في ذلك : " السجع عيب والفواصل بلاغة " (١) ، ويبدو أن الرماني الذي أبعد السجع عن القرآن ، كان متأثراً بسجع الكهان في الجاهلية ، بما يحمله من تكلف مقصود ، تكون المعاني تابعة له ، وهذا ما دعا الجرجاني إلى اتهام الرماني بالبعد عن الحقيقة في هذا الرأي ، وفسّر ذلك بقوله : " لأنه أراد بالسجع ما يكون تابعاً للمعنى ، وكأنه غير مقصود ، فذلك بلاغة ، والفواصل مثله ، وإن كان يريد بالسجع ما تقع المعاني تابعة له ، وهو مقصود متكلف ، فذلك عيب والفواصل مثله ، وكما يعرض التكلف عند طلب تماثل الحروف ، كذلك يعرض في الفواصل عند طلب تقارب الحروف " (٢) .

مما سبق ، يلحظ الباحث أن الجرجاني قد وضع السجع والفواصل في مرتبة واحدة ، من حيث القصد في التكلف أو عدمه ، وكأنه يلمّح إلى أن الفواصل هي من باب السجع ، لكنه ماذا قصد بقوله الفواصل ؟ هل أراد فواصل القرآن ، أم أراد مقاطع الكلام بشكل عام ؟

ويؤكد الحسناوي ما ذهب إليه الجرجاني، بأن الفرق بين الفواصل والسجع، يكون من جهة المعنى، يقول في ذلك :" الفاصلة ـ كلمة آخر الآية كقافية الشعر وسجعة النثر ـ والتفصيل توافق أواخر الآي في حروف الروي، أو في الوزن، مما يقتضيه المعنى، وتستريح إليه النفوس " (٣) .

السجع لغة :

السجع عند الرازي ، هو كلام ذو قافية واحدة " السجع الكلام المقفى ، والجمع أسجاع أو أساجيع ، وقد سجع الرجل من باب قطع ، وسجَّع أيضاً تسجيعاً ، وسجعت الحمامة ، هدرت وسجعت الناقة ، مدت حنينها على جهة واحدة " (٤) ، ويرى ابن منظور ، أن السجع جاء من باب الاستواء ، والاستقامة ، والتشابه من حيث الحرف الأخير من الكلمة ، دون الوزن " سجع يسجع سجعاً ، استوى ، واستقام ، وأشبه بعضه بعضاً . . . تسجَّع تسجيعاً ، تكلم بكلام له فواصل كفواصل الشعر من غير وزن ، وصاحبُه شجاعة ، وهو من الاستواء ، والاستقامة ، والاشتباه ، كأن كل كلمة تشبه صاحبتها " (٥) .

.....

١ ـ ثلاث رسائل في الإعجاز ، الخطابي والرماني وعبدالقاهر الجرجاني : ٩٧

٢ ـ المصدر السابق : ١٩٠

٣ ـ الفاصلة في القرآن ، محمد الحسناوي : ٢٩

٤ ـ مختار الصحاح ، مادة : سجع

٥ ـ لسان العرب ، مادة : سجع

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

السجع اصطلاحاً :

يعرّف ابن الأثير السجع بقوله : " تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد "(١) ، والتواطؤ هو التوافق (٢) ، بينما يحدّه القلقشندي : " هو تقفية مقاطع الكلام من غير وزن " (٣) .

ويبدو أن تعريف القلقشندي أكثر سعة في المعنى من تعريف ابن الأثير ، ذلك أن الفواصل تختص بالقرآن ، بينما مقاطع الكلام يمكن أن يكون لكلام الله وكذلك لكلام الإنسان .

وقد جعل البلاغيون السجع على ثلاثة اضرب : مطرف ، ومتواز ، وترصيع (٤) ، وعُرفت عند ابن النقيب بأسماء (المتوازي ، والمتطرف ، والمستحسن) حيث يطلق على الاسم الأخير بعد ذلك اسم الترصيع (٥) .

أولاً : المطرف :

وهو ما اتفقت فيه الكلمتان الأخيرتان في الحرف الأخير ، واختلفتا في الوزن ، كما في قوله تعالى :

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۞ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾ (٦) .

فالفاصلتان مختلفتان في الوزن ، لأن (كُورت) على وزن (فُعلت) و(انكدرت) على وزن (انفعلت) ، والاتفاق بينهما حاصل في الحرف الخير .

وقوله تعالى :

﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۞ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ (٧) .

فقد جاءت الفاصلة (حُشيرت) على وزن (فُعِلت) ، بينما الفاصلة (سُجِّرت) على وزن (فُعِّلت) على الرغم من تشابه الحرف الأخير .

وقوله تعالى :

---

١ ـ المثل السائر : ١٩٥/١ ، انظر : الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع) شرح تلخيص المفتاح ، الخطيب القزويني : ٢٢٠

٢ ـ انظر : كشاف اصطلاحات الفنون ، التهاوني : ٩٣٠/١

٣ ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، أحمد بن علي القلقشندي ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٧ ، ط١ ، تحقيق : يوسف علي الطويل : ٣٠٢/٢

٤ ـ انظر : المصدر السابق ، الصفحة نفسها

٥ ـ انظر : الفوائد المشوق إلى علوم القرآن : ٣٤٥ ـ ٣٤٩

٦ ـ التكوير ١ ، ٢

٧ ـ التكوير : ٥ ، ٦

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۞ وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ ﴾ (١) .

وقوله تعالى :

﴿إِذَا السَّمَاء انفَطَرَتْ ۞ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ۞ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۞ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ (٢) .

فالفواصل في الآيات السابقة ، قد اتحدت في تشابه الحرف الأخير ، إلا أنها اختلفت في الوزن فيما بينها ، (انفطرت) على وزن (انفعلت) ، (انتثرت) على وزن (افتعلت) ، (فُجِّرت) على وزن (فُعِّلت) ، (بُعثِرت) على وزن (فُعلِلت) ، فجميع أوزان الفواصل السابقة غير متشابهة ، ولكل منها وزن خاص .

وقوله تعالى :

﴿ إِذَا السَّمَاء انشَقَّتْ ۞ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۞ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ۞ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۞ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۞ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ ۞ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۞ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً ۞وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً ۞ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاء ظَهْرِهِ ۞ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً ۞ وَيَصْلَى سَعِيراً ۞ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُوراً ۞ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۞ بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيراً ۞ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ۞ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۞ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ۞ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَن طَبَقٍ﴾ (٣) .

على الرغم من وجود التشابه في الفواصل في أواخر الآيات ، إلا أن اختلاف الوزن ظاهر بيّن فيما بين أكثرها ، ومثال ذلك أن الفاصلة في (انشقت) على الرغم من تشابهها في التقفية مع الفاصلة (وحقت) إلا أنهما مختلفتان في الوزن ، وكذلك الفاصلتان (مُدّت) و (تخلّت) .

---

١ ـ التكوير : ٧ ، ٨

٢ ـ الانفطار : ١ ـ ٤

٣ ـ الانشقاق : ١ ـ ١٩

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ونلحظ في هذه الفواصل بيان لهول يوم القيامة ، فهي تقرع الأسماع ، وتحدث في القلب خوفاً وخشية من ذلك اليوم ، فالفاصلة تساعد على فهم المعنى ، وتوضيح قوة ذلك اليوم وهوله .

وقوله تعالى :

﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِيَ ۞ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ۞ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ۞ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ۞ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴾ (١) .

ثانياً : المتوازي :

وهو ما اتفقت الفاصلتان في الوزن والتقفية فحسب ، دون أن يكون هناك اتفاق بين القرائن ، ولو بين اثنتين منهما في الوزن والتقفية (٢) ، ومثاله قوله تعالى :

﴿ وَجَاءتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ۞ لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ۞ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴾ (٣) .

فالفواصل في الآيات السابقة قد تشابهت في التقفية والوزن ، فالتقفية جاءت بحرف الدال ، وهي (وشهيد ، حديد ، عتيد) ، وكذلك أتت على وزن واحد .

وقوله تعالى :

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ ۞ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهْ ﴾ (٤) .

فالفواصل (كتابيه ، حسابيه) قد اتفقت في حرف التقفية والوزن ، دون باقي ألفاظ القرينتين .

وقوله تعالى :

﴿ فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً ۞ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً ۞ وَنَرَاهُ قَرِيباً ﴾ (٥) .

فالفواصل قد اتفقت في التقفية وكذلك في الوزن وهي (جميلا ، بعيدا ، قريبا) .

.....

١ ـ القيامة : ٢٦ ـ ٣٠
٢ ـ انظر : الإتقان في علوم القرآن السيوطي : ٢٧٨/٢
٣ ـ ق : ٢١ ـ ٢٣
٤ ـ الحاقة : ١٩ ، ٢٠
٥ ـ المعارج : ٥ ـ ٧

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فجميع ما سبق من الفواصل ، تؤدي دوراً مهما في بيان هول يوم القيامة ، إضافة إلى المعنى ، فهي ذات طابع شديد ، يمتاز بقوة الإيقاع الذي يترجم ذلك الهول .

وقوله تعالى :

﴿ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ۞ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۞ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ (١) .

فالوزن واحد في الفواصل السابقة ، وكذلك التقفية أيضاً متشابهة ، وشبيه بذلك ما نجده في قوله تعالى في السورة نفسها :

﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ۞ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ (٢) .

فالتقفية في العاجلة والآخرة متشابه ، والوزن كذلك متشابه .

وقوله تعالى :

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۞ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۞ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ۞ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ (٣) .

وقوله تعالى :

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۞ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ (٤) .

وقوله تعالى :

﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۞ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾ (٥) .

وقوله تعالى :

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۞ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ (٦) .

وقوله تعالى :

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۞ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ (٧) .

.....

١ ـ القيامة : ٧ ـ ٩
٢ ـ القيامة : ٢٠ ، ٢١
٣ ـ القيامة : ٢٢ ـ ٢٥
٤ ـ النازعات : ٦ ، ٧
٥ ـ النازعات : ٨ ، ٩
٦ ـ عبس : ٤٠ ، ٤١
٧ ـ الانشقاق : ٢ ، ٣

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقوله تعالى :

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ۞ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۞ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۞ تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً ۞ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ (١) .

ثالثاً : المرصَّع :

إذا كان شرط المطرف اتفاق في القافية دون الوزن ، وجاء المتوازي في الاتفاق بالوزن والقافية معاً في الفاصلة ، فإن المرصّع أكثر اتساعاً مما سبق ، ذلك لأن من شروطه الوزن والاتفاق في الأعجاز معاً ، لكن لا يكون في الفاصلة ــ الكلمة الأخيرة من الفقرة ــ بل يشمل جميع ألفاظ الفقرتين أو بين لفظتين على أقل تقدير، ولذلك عرّفه ابن النقيب بقوله : " أن تكون ألفاظ الكلام متساوية الأوزان متفقة الإعجاز " (٢) ، فالتناسب في الوزن والتقفية لا يكون في اللفظة الأخيرة من الفقرة ، بل يشمل جميع ألفاظ الفقرتين أو أكثرها " وهو أن يكون المتقدم من الفقرتين مؤلفاً من كلمات مختلفة ، والثاني مؤلفاً من مثلها في ثلاثة أشياء ، وهي ، الوزن ، والتقفية ، وتقابل القرائن " (٣) .

إذن ، المرصّع أكثر دقة من النوعين السابقين ، ذلك بما فيه من التزام ، ودقة في اختيار الألفاظ التي تتناسب مع غيرها في الفقرة الثانية من حيث الوزن والتقفية ، ومثاله قوله تعالى :

﴿أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۞ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ (٤) .

فالتصريع في الآيات السابقة ، موجود بوساطة اتفاق الأوزان مع التقفية بين الألفاظ التالية ، فلفظ (أصحاب) يقابله لفظ (أصحاب) في الآية التالية من حيث الوزن والتقفية ، وكذلك لفظ (الميمنة) يقابله لفظ (المشأمة) من حيث الوزن والتقفية أيضاً ، وكذلك بقية الألفاظ المستخدمة في الآيات .

وقوله تعالى :

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ۞ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ (٥) .

---

١ ــ الغاشية : ١ ــ ٥
٢ ــ الفوائد المشوق إلى علوم القرآن : ٣٤٩
٣ ــ البرهان في علوم القرآن ، الزركشي : ٧٧/١
٤ ــ الواقعة : ٨ ، ٩
٥ ــ الواقعة : ٣٩ ، ٤٠

© Arabic Digital Library Yarmouk University

فالاتفاق في الوزن والتقفية بين الألفاظ ، موجود بين (ثلة) و (ثلة) وكذلك بين (الأولين) و(والآخرين) .

وقوله تعالى :

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۞ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ (١) .

فالاتفاق في الوزن والقافية لم يأتِ بلفظ واحد من الفقرة الأولى، وما يقابله من الفقرة الثانية ، بل نلحظ أن التقابل موجود بين الألفاظ جميعها ، فلفظ (الأبرار) يقابل لفظ (الفجار) من حيث الوزن والتقفية ، وكذلك اللفظان (نعيم) و (الجحيم) يتقابلان من حيث الوزن والقافية أيضاً ، وهذا هو الترصيع .

وكذلك نجد الترصيع في قوله تعالى :

﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ۞ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾ (٢) .

فالفاصلتان : "إيابهم " و" حسابهم "متفقتان في الوزن والتقفية ، وكل ما في القرينة الأولى موافق لما في القرينة الثانية في الوزن والتقفية أيضاً .

وقوله تعالى :

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾ (٣) .

وقد أطلقوا اسم الترصيع على هذا النوع من السجع ، تشبيهاً له بعقد اللؤلؤ ، من حيث ضم بعضه إلى بعض (٤) .

نلحظ من الآيات السابقة ، أن المنظور العام لتهويل يوم القيامة قد خيّم عليها ، ذلك أنها توضح حال الإنسان وما ستؤول عليه حياته ، فأما إلى نعيم وأما إلى شقاء ، ولذلك نجد في مضمون تلك الآيات ، ذلك الإيحاء الذي يوحي بهول عظيم ينتظر الإنسان .

.....

١ ـ الانفطار : ١٣ ، ١٤

٢ ـ الغاشية : ٢٥ ، ٢٦

٣ ـ الزلزلة : ٧ ، ٨

٤ ـ انظر : لسان العرب ، ابن منظور ، مادة : رصع

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

موجبان قوله تعالى :

﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلاً مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ (١) .

فالطباق هو الجمع بين متضادين ، وهنا جاء المتضادان اسمين وهما (الأعمى والبصير) ، وهما موجبان ، وقوله تعالى :

﴿ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۞ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ (٢) .

فقد جمع على الطباق بين الميمنة والمشأمة ، وهما أسمان موجبان ، ومثاله أيضاً قوله تعالى :

﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ۞ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ (٣) .

فالطباق بين الأولين والآخرين ، وقد جاءا موجبين ، وقوله تعالى :

﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً ۞ وَنَرَاهُ قَرِيباً﴾ (٤) .

فالطباق بين (قريبا) و (بعيدا) ، وقوله تعالى :

﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾ (٥) .

فالطباق بين اليمين والشمال .

أما ما جاء المتضادان فعلين ، فنجد ذلك في قوله تعالى :

﴿مَّنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ (٦) .

.....

١ ـ غافر : ٥٨

٢ ـ الواقعة : ٨ ، ٩

٣ ـ الواقعة : ١٣ ، ١٤

٤ ـ المعارج : ٦ ، ٧

٥ ـ المعارج :٣٧

٦ ـ الإسراء : ١٥

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثاني : المحسنات المعنوية في خطاب التهويل :

المطلب الأولُ : الطباق (١) :

والطباق لغة : " طابقه مطابقة وطباقا ، وتطابق الشيئان تساويا ، والمطابقة الموافقة ، والتطابق الاتفاق ، وطابقت بين الشيئين ، إذا جعلتهما على حذو واحد " (٢) ، ويرى ابن أبي أصبع ، أن الطباق لغة ، مأخوذ من وضع خف البعير موضع يده في المشي (٣) ، والطباق والمطابقة، يشعران بالتساوي والتماثل(٤)، ودليل ذلك قوله تعالى:﴿ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً﴾ (٥).

وفي اصطلاح البلاغيين : هو الجمع بين المتضادين ؛ أي معنيين متقابلين في الجملة (٦) ، بمعنى " الجمع بين الشيء وضده في الكلام " (٧) ، ويأتي الطباق بلفظين ، إما أن يكونا أسمين ، أو فعلين ، أو حرفين (٨) ، أو مختلفين (٩) ، بمعنى اسم وفعل ، ومثال قوله تعالى : ﴿ مَيْتـاً فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ (١٠) .

ويقسم الطباق إلى قسمين : طباق الإيجاب وطباق السلب .

أحدهما : طباق الإيجاب : وهو أن يكون المعنيان المتضادان أو المتقابلان ، غير مختلفين في الإيجاب أو السلب ، بأن يكونا موجبين أو سالبين (أي منفيين) معاً ، ومثاله ، حيث أتى الاسمان

.....

١ ـ ويسمى بالمطابقة ، أو التطبيق ، أو بالتكافؤ ، أو بالتضاد . انظر : الفوائد المشوق إلى علوم القرآن ، ابن النقيب : ٢١٥ ، التعريفات ، علي بن محمد بن علي الجرجاني ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٥هـ ، ط١ ، تحقيق : إبراهيم الأبياري : ٨٤

٢ ـ لسان العرب ، ابن منظور ، مادة : طبق

٣ ـ انظر : تحرير التحبير : ١١١ ، المصباح في علم المعاني والبيان والبديع ، ابن الناظم : ١٩٠

٤ ـ انظر : التوقيف على مهمات التعاريف ، محمد عبدالرؤوف المناوي ، دار الفكر المعاصر ، دار الفكر ، بيروت ، دمشق ، ١٤١٠هـ ، ط١ ، تحقيق : محمد رضوان الداية : ٢٨٧/١

٥ ـ الملك : ٣ ، انظر : نوح : ١٥

٦ ـ الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع) ، الخطيب القزويني : ١٩٠ ، انظر : نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، الرازي : ٢٨٥ ، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، ابن النقيب : ٢١٥

٧ ـ جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، أحمد الهاشمي ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ١٩٩٩ ، ط ٣ ، ص : ٣٠٣

٨ ـ انظر : الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع) ، الخطيب القزويني : ١٩٠ ، ١٩١

٩ ـ انظر : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، أحمد الهاشمي ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ١٩٩٩٩ ، ط ٣ ، ص : ٣٠٣

١٠ ـ الأنعام : ١٢٢

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فالمطابقة جاءت في الأفعال ، فقد طابق الفعل الماضي (اهتدى) الفعل الماضي (ضَلّ) ، وكذلك طابق الفعل المضارع (يهتدي) الفعل المضارع (يضلُّ) أيضاً ، وهو من باب طباق الإيجاب .

وقوله تعالى :

﴿ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۞ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ (١) .

فالمطابقة تكون بين الفعلين الماضيين وهما (آمنوا) و (كفروا) ، حيث جاءا مثبتين ، فالمطابقة إيجابية ، وقوله تعالى :

﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾ (٢) .

فالمطابقة بين الفعلين الماضيين (قدمت) و (أخرت) ، وقوله تعالى :

﴿ يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ (٣) .

أما ما جاء الطباق بفعلين مجزومين بحروف النهي ، وهما سالبان ، فنجد ذلك في قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (٤) .

فقد جاءت المطابقة بالفعلين المجزومين بلا الناهية وهما (تخافوا) و (تحزنوا) ، وتكون المطابقة بما تحمله معاني هذه الأفعال من الأزمنة ، فالخوف يحمل الزمن المستقبل ، حيث لا يكون الخوف إلا مما هو آت ، أما الحزن فيحمل دلالة الزمن الماضي ، لأن الحزن يكون على ما مضى ، ولذلك نجد المطابقة بين ما تحمله هذه الأفعال من الزمان ، بمعنى لا تخافوا مما هو آت ، ولا تحزنوا عما مضى .

أما ما كان الطباق في حرفين ، فنجد ذلك في قوله تعالى :

.....

١ ـ الحج : ٥٦ ، ٥٧

٢ ـ الانفطار : ٥

٣ ـ القيامة : ١٣

٤ ـ فصلت : ٣٠

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ (١) .

فالمطابقة تكون في الحرفين (إلى) و (على) ، وشبيه بذلك نجده في قوله تعالى :

﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ (٢) .

ويكون الطباق بظرف المكان ، ومثاله قوله تعالى :

﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ (٣) .

الطباق في ظرفي المكان (فوقهم) و (تحتهم) ، وشبيه بذلك نجده في قوله تعالى :

﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٤) .

ويظهر هول يوم القيامة ، حين يحمل الكلام ألفاظاً ، فيها دلالة واضحة على سوء الموقف الذي ينتظر الإنسان ، فإذا كان الكلام مباشراً ، فيكون ذلك أشدّ وطأة عليه ، تحسباً لما ينتظره من موقف صعب .

الثاني : طباق السلب :

وهو ما كان فيه أحد أطراف الضد مثبتاً والآخر منفياً ، أو أحدهما أمراً والآخر نهياً ، ومن الأمثلة التي جاء فيها الطرفان فعلان أحدهما مثبت والآخر منفي قوله تعالى :

﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ (٥) .

فالمطابقة موجودة بين الفعلين (يخلق) و (لا يخلق) ، فالأول جاء مثبتاً ، والآخر قد جاء منفياً بلا النافية .

وقوله تعالى :

---

١ ـ الغاشية : ٢٥ ، ٢٦
٢ ـ مريم : ٤٠
٣ ـ الزمر : ١٦
٤ ـ العنكبوت : ٥٥
٥ ـ النحل : ١٧

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

﴿اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاء عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١) .

فالمطابقة هنا بين الفعلين (فاصبروا) المثبت ، وبين (لا تصبروا) المنفي .

وقوله تعالى :

﴿الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ۞ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ (٢) .

ويمكن أن يأتي طباق السلب بين اسمين ، أحدهما مثبت ، والآخر منفي ، ومثاله قوله تعالى :

﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (٣) .

فالمطابقة بين بيان حالة الناس في ذلك اليوم ، بأن جعلهم كالسكارى في حركاتهم وأفعالهم ، لكن نفى عنهم في الوقت نفسه حالة تعاطيهم الشراب ، فالطباق تم بوساطة استخدام اللفظ (سكارى) المثبت ، ثم نفى عنهم ذلك السكر بتعاطي الشراب (وما هم بسكارى) باستخدام النفي .

وقوله تعالى :

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ (٤) .

فالمطابقة هنا ما بين قوله : (مولى) وهو مثبت وقوله : (لا مولى لهم) وهو منفي .

وقوله تعالى :

﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (٥) .

فالمطابقة هنا ما بين الموت وهو منفي والموت وهو مثبت .

مما سبق ، نستنتج أن للطباق فاعلية عظيمة في توضيح المعنى وبيانه ، ذلك بما أكسبه من قوة وجزالة ، حيث يُعدُّ من بلاغة الكلام ، ولم هذا النوع من المحسنات مما تختص به اللغة العربية دون غيرها من اللغات ، بل وجد في لغة الفرس أيضاً (٦) .

.....

١ ـ الطور : ١٦

٢ ـ المطففين : ١١ ، ١٢

٣ ـ الحج : ٢

٤ ـ محمد : ١١

٥ ـ الدخان : ٥٦

٦ ـ انظر : المثل السائر ، ابن الأثير : ٢٦٦/٢

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثانياً : المقابلة في خطاب التهويل :

من المحسنات البديعية المعنوية المقابلة ، التي تقترب من الطباق في التضاد ، إلا أنها تبتعد عنه في توسعها وتعداد الأضداد مع الترتيب ، فقد عرّفها الباقلاني بقوله : " وهي أن يوفق بين معانٍ ، ونظائرها ، والمضاد بضده " (١) ، ويعرّفها القزويني بقوله : " وهو أن يؤتى بمعنيين متوافقين ، أو معانٍ متوافقة ، ثم ما يقابلها على الترتيب ، والمراد بالتوافق خلاف التقابل ، وقد تتركب المقابلة من طباق وملحق به "(٢) .

والمقابلة عند ابن أبي الإصبع ، تظهر بوساطة ترتيب الكلام عند المتكلم ، بحيث تكون الأضداد بترتيب الأشياء في البداية " صحة المقابلات ، عبارة عن توخي المتكلم ترتيب الكلام ، على ما ينبغي ، فإذا أتى بأشياء في صدر كلامه ، أتى بأضدادها في عجزه على الترتيب ، بحيث يقابل الأول بالأول ، والثاني بالثاني ، لا يخرم من ذلك شيئاً في المخالف والموافق ، ومتى أخل بالترتيب ، كان الكلام فاسد المقابلة وقد تكون المقابلة بغير الأضداد " (٣) .

يرى الباحث أن تعريف ابن أبي الإصبع للمقابلة ، يرتكز على محورين أساسين ، أحدهما : الترتيب ، بحيث تأتي المقابلة بترتيب الأضداد ، حسب ترتيب الأشياء من قبل ، فإذا جاء الاختلاف في الترتيب عن الأصل ، أصبحت المقابلة فاسدة ، وثانيهما : أن المقابلة لا تكون بالأضداد فحسب ، وإنما تكون بغير الأضداد أيضاً .

ومن جهة أخرى ، فإن ابن أبي الإصبع كان يدرك أن المقابلة قد تتشابه مع الطباق ، ولذلك فرّق بين الفنين ، بأن جعل لكل منهما صفاته التي تميزه عن غيره " والفرق بين المقابلة والمطابقة من وجهين : أحدهما أن المقابلة (كذا) لا تكون إلا بالجمع بين ضدين فدّين ، والمقابلة تكون غالباً بالجمع بين أربعة أضداد : ضدّان في صدر الكلام ، وضدان في عجزه ، وتبلغ إلى الجمع بين عشرة أضداد : خمسة في الصدر ، وخمسة في العجز . والثاني : إن المطابقة لا تكون إلا بالأضداد ، والمقابلة تكون بالأضداد وبغير الأضداد " (٤) .

إذن ، حصر ابن أبي إصبع الإصبع المطابقة في ضدين ، وما زاد على ذلك ، يُعدُّ من باب المقابلة ، كذلك جعل المطابقة في الأضداد فقط ، بينما المقابلة يمكن أن تكون في الأضداد وغير الأضداد ، وحسب فهم الباحث ، فإن مجال المقابلة أكثر اتساعاً من المطابقة ؛ لأن المطابقة

.....

١ ـ إعجاز القرآن : ٨٧

٢ ـ الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع) : ١٩٣

٣ ـ تحرير التحبير : ١٧٩

٤ ـ المصدر السابق : الصفحة نفسها

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تختص بجزء من الكلام من باب وجود الضدين ، بينما المقابلة تتسع لأمور عدّة ، إضافة لوجود الأضداد ، فإن احتماليةُ وجود المقابلةُ بغير الأضداد ممكن .

والمقابلة عند القزويني جزءٌ من المطابقة ، عندما تكون الألفاظ متقابلة وليست متوافقة " ودخل في المطابقة ما يخص باسم المقابلة، وهو أن يُؤتى بمعنيين متوافقين أو معانٍ متوافقة ، ثم بما يقابلها على الترتيب ، والمراد بالتوافق خلاف التقابل ، وقد تتركب المقابلة من طباق وملحق به " (١).

ولم تأتِ المقابلة في القرآن الكريم ـ خاصة خطاب التهويل ـ على صورة واحدة ، بل أن هناك صوراً من المقابلات ، منها ما جاء مقابلة اثنين باثنين ، ومثاله قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۞ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ (٢) .

فالمقابلة موجودة بين (الأبرار) و (الفجار) من جانب ، وقابل لفظ الـ (نعيم) بالـ (جحيم) من جانب آخر ، وإذا ما أنعمنا النظر في هذه المقابلات ، نلحظ أن المقابلة جاءت بسبب أعمال الفريقين ، ذلك أن الأبرار هم أهل الطاعات (٣) ، بينما نجد أن لفظ الفجار أطلق على أهل المعاصي وارتكاب المحارم (٤) ، ثم قابل بين مكان الفريقين في الآخرة ، فعبر عن الجنة بما فيها من نعيم ، وهي مكان أهل الطاعات ، وقابل ذلك بالجحيم ، وما يمتاز به من شدّة العذاب ، وهو مكان أهل المعاصي ، وشبيه من ذلك ما نجده في قوله تعالى :

﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۞ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ (٥) .

فالمقابلة بين الميمنة الأولى ، حيث يقابلها المشأمة الأولى كذلك ، أما الميمنة الثانية ، فقد يقابلها المشأمة الثانية ، وشبيه من ذلك قوله تعالى :

﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيراً جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ (٦) .

فقد جاءت المقابلة بين (فليضحكوا) و (وليبكوا) وكذلك بين (قليلاً) قابلها (كثيراً) .

.....

١ ـ الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع) : ١٩٣
٢ ـ الانفطار : ١٣ ، ١٤
٣ ـ انظر : الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي : ٢٦٣/١٩
٤ ـ انظر : لسان العرب ، مادة : فجر
٥ ـ الواقعة : ٨ ، ٩
٦ ـ التوبة : ٨٢

© Arabic Digital Library Yarmouk University

أما مقابلة ثلاثة بثلاثة ، فمثاله قوله تعالى :

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۞ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً ۞ وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً ۞ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاء ظَهْرِهِ ۞ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً ۞ وَيَصْلَى سَعِيراً ۞ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورا﴾ (١) .

فلما كان إتيان الكتاب باليمين يؤدي إلى الحساب اليسير ، مما يؤدي كل ذلك إلى الفوز بالجنة والنجاة من النار ، فقد جعل كل ذلك مشتركاً بين إمساك الكتاب باليمين ، والحساب اليسير، والسرور ، جعل ضده مجيء الكتاب وراء الظهر ، دلالة على الشمال " أي بشماله من وراء ظهره ، تثنى يده إلى الوراء ، ويُعطى كتابه " (٢) ، مشتركاً بين أضداد تلك الأمور ، فجاءت المقابلة بين (اليمين) و (وراء الظهر) دلالة على الشمال ، وكذلك بين الحساب اليسير ، وما يقابله من دعاء الثبور ، بسبب الحساب العسير الذي يؤدي إلى السعير ، وكذلك رجوع المُحاسب حساباً يسيرا بحال السرور يوم القيامة ، يقابله ما كان عليه المُحاسب حساباً عسيراً من الفرح والسرور في الدنيا ، حيث نجد في المقابلة الأخيرة ، حال الإنسان الكافر بين الماضي من السرور ، وما آل إليه من العذاب في الحاضر ، وشبيه من ذلك قوله تعالى :

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۞ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۞ تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً ۞ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ۞ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۞ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ۞ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۞ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۞ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ (٣) .

لما كان ذل الخشوع وألم التعب بسبب العذاب الشديد ، فقد جعل نعومة الوجوه والرضا عن العمل نتيجة للعيش في الجنة ، ولهذا جعل شدة العذاب مشتركاً بين الذل للوجوه وتعب الأجساد ، بينما جعل ضده نعومة الوجوه ، التي توحي برضا العيش في الجنة .

فالمقابلة بين خاشعة وناصبة ونار حامية ، حيث يقابلها ناعمة ، راضية ، جنة عالية ، فجاءت مقابلة الأولى للأولى ، والثانية للثانية ، وهكذا على الترتيب ، حيث جاءت المقابلة على المعنى .

.....

١ ـ الانشقاق : ٧ ـ ١٣

٢ ـ تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير : ٤٩٠/٤

٣ ـ الغاشية : ٢ ـ ١٠

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وأما مقابلة أربعة بأربعة ، فمثاله قوله تعالى :

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۞ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ۞ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۞ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾ (١) .

فلما جعل الإعطاء ، والاتقاء ، والتصديق ، تؤدي جميعها لليسرى ، قابل ذلك بالمنع ، والاستغناء ، والتكذيب ، التي تؤدي بدورها للتعسير ، ولذلك قابل الإعطاء بالمنع ، والاتقاء بالاستغناء ، والتصديق بالتكذيب ، فالثلاثة الأولى تؤدي لليسرى ، جعل ضدها التعسير ، الذي يكون مشتركاً بين أضدادا تلك الأمور بالثلاثة الثانية ، يقول الحموي : " المقابلة بين قوله واستغنى ، وقوله : واتقى ؛ لأن معناه الزهد فيما عنده، واستغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة، وذلك يتضمن عدم التقوى " (٢) . ويقول تعالى :

﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً ۞ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْداً﴾(٣) .

فقد جعل الاتقاء سبباً للحشر ، والحشر هو الجمع (٤) ، وقابل ذلك بالسوق ، وهو ما يستعمل للبهائم ، كذلك المقابلة بين الحشر إلى الرحمن بمعنى إلى الجنة (٥) ، والسوق إلى جهنم ، وكذلك قابل بين وفدا بمعنى يفدون راكبين مُكرمون (٦) ، وبين وردا التي تستعمل للبهائم عندما تكون عطاشا (٧) .

فنتيجة التقوى في الدنيا ، تؤدي في الآخرة إلى الحشر إلى الجنة بهيئة الوفود المُكرّمين ، ويقابلها الإجرام ، الذي يؤدي في الآخرة أيضاً إلى السوق إلى جهنم ، كما ترد البهائم إلى الماء ، فالكلمات الأربعة (نحشر ، المتقين ، إلى الرحمن ، وفدا) يقابلها (نسوق ، المجرمين ، إلى جهنم ، وردا) .

وتتجلى قيمة المقابلة ، حين تُظهر موقفين معاً ، ذلك أن الموقف الأول يتمثل بحالة الهناء والسرور ، يقابله الموقف الثاني ، الذي يتحدث عن الشقاء والعذاب ، والذي يهم الباحث هو الموقف الثاني ، الذي يتحدث عن يوم القيامة بما يصاحبه من أهوال عِظام ، تسيطر على فكر الإنسان ومشاعره .

.....

١ ـ الليل : ٥ ـ ١٠
٢ ـ خزانة الأدب ، علي بن عبدالله الحموي : ١٣١/١
٣ ـ مريم : ٨٥ ، ٨٦
٤ ـ انظر : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، أبو السعود : ٢٨١/٥
٥ ـ انظر : الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي : ١٥١/١١
٦ ـ انظر : لسان العرب ، ابن منظور ، مادة : وفد
٧ ـ انظر : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، أبو السعود : ٢٨١/٥

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الخاتمة :

حاولت الدراسة إظهار الأبعاد الطبيعية لخطاب التهويل في القرآن الكريم ، حيث تناولت المضامين الأساسية التي ارتكز عليها الخطاب القرآني في توضيح صورة يوم القيامة ، وقد جاءت المحاولة ضمن منهج ، يقوم على جمع أكبر قدر من الآيات التي تتحدث عن الموضوع ، والتعمق في فهمها ، ثم تقسيمها إلى موضوعات جزئية وفق الأبعاد النفسية ، واللغوية ، والبلاغية ، التي تتناسب مع النواحي الإنسانية ، لإحداث أكبر اثر في نفسية المتلقي ، ولهذا جاءت الدراسة في تقسيماتها الرئيسة وفقاً للقرآن في الحديث عن ذلك اليوم من جانب ، وكذلك ما يناسب المتلقي في التأثير من جانب آخر .

وللوقوف على طبيعة ذلك اليوم في القرآن الكريم ، لا بد من الرجوع إلى المصادر والمراجع المختلفة ، خاصة تلك المصادر والمراجع التي قامت على تفسير القرآن ، إلا أن كثيراً من هذه التفاسير كانت تتكلم عن ذلك اليوم بإيجاز ، وقد انفردت بعض المراجع في الحديث عن ذلك اليوم وفق مشاهد حية مباشرة ، فقد صورت ذلك اليوم كأنه مشهد حي مرئي ، إلا أنها في الوقت نفسه ، لم تتحدث عن كل شيء على حدة كما تناولته الدراسة .

أما بخصوص فصول الدراسة ، فقد اشتملت على مقدمة ، وثلاثة فصول ، وخاتمة :

الفصل الأول كان بعنوان (الملامح العامة ودواعي التصوير في خطاب التهويل) ، وقد تكوّن من مبحثين ، كل مبحث يتحدث عن الموضوع من أربعة جوانب ، وهي :

المبحث الأول ، جاء بعنوان (الملامح العامة لخطاب التهويل) ، وقد تناول الحديث عن خطاب التهويل من جوانب عدّة ، وهي :

الجانب الأول ، جاء بعنوان (قوة العرض بوساطة مظاهر الطبيعة) ، وفي هذا المبحث ، تم الحديث عن الحالة التي تكون عليها المظاهر الطبيعية في ذلك اليوم ، وما طرأ عليها من تغيرات وتحولات توحي بهول ذلك اليوم وعظمته .

الجانب الثاني ، وكان بعنوان (دور الزمان والمكان في الخطاب) ، وفي هذا المبحث ، تم الحديث عن الزمان والمكان في ذلك اليوم ، والتسارع الذي يسطر عليهما ، وبشكل خاص على جانب الزمان ، بوساطة النظر إلى ما هو مرتقب ، والكيفية التي تكون عليها أرض الحشر في ذاك الزمان .

الجانب الثالث ، وقد جاء تحت عنوان (تصوير العواطف والانفعالات) ، وفي هذا المبحث ، تم التركيز على جانب الأحاسيس والعواطف التي تسيطر على الناس في ذلك اليوم ، فمرّة نجد الخوف يذهلهم عن أحب الناس إليهم ، ومرّة أخرى يجعلهم يهربون من أحبائهم في الدنيا .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الجانب الرابع ، وهو بعنوان (دور الشخصيات العفوية في تصوير الأحداث) ، وهذا المبحث يرتبط بطريقة مباشرة بالمبحث السابق ، ذلك أن الحركات قد تصدر من الإنسان بطريقة غير مباشرة ، تنبئ عما يسيطر عليه من الخوف والفزع ، نتيجة لما يشاهده من أهوال وأحداث .

المبحث الثاني : كان عنوانه (دواعي التصوير في خطاب التهويل) وهذا المبحث ، تحدث عن الأسباب التي أدت بالخطاب الذي يتحدث عن أهوال يوم القيامة ، إلى اعتماد مبدأ التصوير ، وقد جاء الحديث عن هذا المبحث في أربعة جوانب :

الجانب الأول : وقد جاء بعنوان (البيان والتوضيح) ، وفي هذا الجانب تناول البحث الطرق التي اتبعها خطاب التهويل من أجل بيان عظمة ذلك اليوم وهوله .

الجانب الثاني : وعنوانه (تعظيم الحدث) ، حيث تحدث عن الأمور الأكثر فاعلية في توضيح هول يوم القيامة ، بما يؤدي بدوره إلى تأثير لدى المتلقي .

الجانب الثالث : حمل عنوان (الترهيب) ، تناول هذا الجانب الحديث عن الأمور ، التي تجعل من الأحداث، ذات طابع ترهيبي عند المتلقي ، بوساطة التصوير الفني في توضيح تلك الأهوال .

الجانب الرابع : وكان عنوانه (قوة التأثير لحصول الاستجابة والانفعالية) ، هذا الجانب تحدث عن الترابط الذي يتم بوساطته التفاعل بين الصورة الفنية وبين المتلقي ، حيث تكون وظيفة الصورة هو التأثير على المتلقي ، وما يؤدي ذلك من ردة فاعلة ، نتاجها الاستجابة والانفعالية .

الفصل الثاني ، وقد كان بعنوان (البناء اللغوي والإيقاعي في خطاب التهويل) ، وقد تكوّن هذا الفصل من مبحثين ، وهما :

المبحث الأول ، وقد جاء بعنوان (اللفظ والسياق) ، وتحدث هذا المبحث عن اللفظ ومناسبته للمعنى من جانب ، وقد أراد بذلك تكوين صورة صوتية للألفاظ ، توحي بشدّة ذلك اليوم ، بوساطة الألفاظ نفسها ، ثم زيادة تلك الإيحاءات بوساطة ما تحمله تلك الألفاظ من معاني ، وفي جانب آخر ، تحدث المبحث عن الإيقاع ، بوساطة التناسب بين الألفاظ بعضها مع بعض ، من اجل تكوين إيقاعاً مناسباً للحدث ، والصورة العامة للفرق بين الجانبين حاصلة ، في أن الجانب الأول يتحدث عن البنية الصوتية للمفردة ، بينما يكون الحديث في الجانب الثاني ، عن تناسب الألفاظ مع بعضها في تكوين الإيقاع .

المبحث الثاني ، وحمل عنوان (الأنماط اللغوية للتراكيب) ، تناول الحديث عن الصياغة اللغوية للألفاظ ، التي تحدثت عن أهوال يوم القيامة مثل { التكرار ، والتقديم والتأخير ، والحذف والذكر ، والتوسع } والدور التي تؤديه هذه الألفاظ في تهويل الحدث في ذلك اليوم .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الثالث ، كان عنوانه (الأساليب البلاغية في خطاب التهويل) ، وهذا الفصل تحدث عن الأساليب البلاغية الواردة في تصوير يوم القيامة ، وقد تكوّن من مباحث أربعة ، وهي :

المبحث الأول ، جاء بعنوان (التشبيه) ، حيث تناول الحديث عن ظاهرة التشبيه وخاصة في الآيات التي تتحدث عن يوم القيامة وأهواله ، وقد أورد الباحث عدّة أمثلة حول هذا الموضوع .

المبحث الثاني ، بعنوان (الاستعارة) ، وتحدث عن معنى الاستعارة عند البلاغيين ، والكيفية التي جاءت عليها الاستعارة في الخطاب الذي تحدث عن أهوال يوم القيامة ، مع إيراد عدّة أمثلة في هذا الجانب .

المبحث الثالث ، كان بعنوان (المجاز) ، جاء فيه تعريف المجاز عند البلاغيين ، ثم تطرق إلى أنواع المجاز مع الأمثلة ضمن موضع خطاب التهويل .

المبحث الرابع ، وهو بعنوان (البديع) ، وفي هذا الموضوع ، عرّف الباحث البديع كما جاء عند البلاغيين ، ثم تحدث عن نوعيه اللفظي والمعنوي ، مع إيراد أمثلة على كل نوع من الآيات التي تتحدث عن يوم القيامة .

خرجت الدراسة لخطاب التهويل في القرآن الكريم بعدّة نتائج أجملها الباحث فيما يلي :

ـ لقد تحدث القرآن الكريم عن أحداث يوم القيامة بنوعين من الخطاب ، الخطاب المباشر وغير المباشر ، إلا أنه جعل الخطاب غير المباشر هو الأكثر تداولاً ، في نقل تلك الصور من المستقبل إلى الحاضر ، وقد اختار هذا النوع من الخطاب لتناسبه مع الموضوع ، وليحدث أكبر أثر في نفسية المتلقي .

ـ على الرغم من أن التصوير هو المسيطر على الخطاب غير المباشر ، إلا أن القرآن قد استعمل الخطاب المباشر في بعض الأحيان ، ومعنى ذلك ؛ أن التنوع بين الخطابين المباشر وغير المباشر ، موجود في نقل أحداث ذلك اليوم ، حيث يظهر الخطاب المباشر في التحذير والنهي .

ـ لقد تناول الخطاب القرآني حال الناس في ذلك الوقت ، والكيفية التي يكونون عليها ، وصوّر ذهولهم ، وخوفهم ، وروعهم ، وأعاد ذلك إلى الأحداث التي يشاهدونها ، وما حدث للطبيعة من تغيّر وتبدل .

ـ لم يتعرض خطاب التهويل للعذاب أو النعيم ، بل جلّ اهتمامه كان في وصف أحوال الطبيعة والناس في وقت سابق لوقت الجزاء .

ـ لقد أصبغ خطاب التهويل على حال الناس والطبيعة في ذلك اليوم طابع الحركة ، وكأننا نشاهد صوراً حركية ، تصور حالة الذهول التي تخيم على الناس بسبب الروع والفزع الذي يسيطر عليهم .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ـ على الرغم من أن التصوير هو المسيطر على خطاب التهويل ، إلا أنه ـ التصوير ـ قد جاء بأسلوب معجز ، يتم بوساطة ألفاظ قليلة ، ذات دلالات عميقة ، ومعاني كثيرة ، بحيث تخرج الصورة ذات أبعاد واضحة جليّة .

ـ إن إبداع التصوير ، وإحكام ترتيب الآيات في خطاب التهويل ، وإخراجها في أسلوب راقٍ لا تفاوت فيه ، كل ذلك جاء في خدمة اللغة العربية ، حيث أصبغ عليها طابع الجمال والتأثير ، مما يؤدي إلى رقيّها.

ـ لقد أبرز خطاب التهويل دور المشاعر والأحاسيس بشكل فعّال ، من حيث السيطرة على الإنسان يوم القيامة ، مما يؤدي بالإنسان إلى القيام بحركات عفوية .

ـ لقد وازن خطاب التهويل بين تصوير الأحداث والموسيقى المصاحبة له ، حيث أعطت الموسيقى تأثيراً ذات دلالة قوية على هول الأحداث وضخامتها ، ولذلك جاء الإيقاع سريعاً ، يوحي بسرعة تقلب الأحداث وسرعة وقوعها .

ـ لقد كان للألفاظ تأثير قوي ، بحيث نجد في الألفاظ إيحاءات موسيقية ، ترتبط ارتباطاً وثيقاً باللفظ من جانب ، وبالإيقاع من جانب آخر ، بحيث تكوّن في دلالاتها اللفظية ، إيقاعاً خاصاً يدل على هول الحدث قبل ارتباطها بغيرها من الألفاظ .

ـ لقد عني خطاب التهويل بالجوانب اللغوية والبلاغية في نقل أحداث يوم القيامة ، بما يساعد على فهم معاني ، ودلالات الخطاب بطريقة موجزة موحية .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المراجع والمصادر :

١ ـ **القرآن الكريم** .

٢ ـ **الإتقان في علوم القرآن** ، جلال الدين بن عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ط١ ، ت : محمد شريف سكر .

٣ ـ **إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن** ، محمد بن محمد بن محمد الغزي ، الفاروق الحديثة ، القاهرة ، ١٤١٥هـ ، ط١ ، ت : خليل محمد العربي

٤ ـ **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم** ، محمد بن محمد العمادي أبو السعود ، دار إحياء التراث ، بيروت ، د . ت

٥ ـ **أسرار البلاغة** ، عبد القاهر بن عبد الرحمن محمد الجرجاني النحوي، دار المدني، القاهرة ، جدة ، ط ١ ، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م ، ت : محمود محمد شاكر

٦ ـ **إعجاز القرآن الكريم** ، فضل حسن عباس ،سناء فضل عباس ، دار النفائس ، عمان ، ط٧ ، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٩م .

٧ ـ **إعجاز القرآن** ، محمد بن الطيب الباقلاني ، أبو بكر، دار المعارف ، مصر ، ط ٣ ، ت : أحمد صقر .

٨ ـ **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية** ، مصطفى صادق الرافعي ، دار الأرقم بن أبي الأرقم ، د. ط

٩ ـ **الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز** ، مختار عطية ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ، د . ط .

١٠ ـ **الإيضاح في علوم البلاغة** ، المعاني والبيان والبديع ، شرح تلخيص المفتاح ، محمد عبدالرحمن بن عمر أبو المعالي جلال الدين الخطيب القزويني، دار الأرقم بن أبي الأرقم ، ط١ ، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م .

١١ ـ **البديع** ، **ابن المعتز** ، مكتبة النجاح ، ط٢ ، ١٩٥٨م ، ت : محمد عبدالمنعم الخفاجي .

١٢ ـ **البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان** ، محمد بن حمزة بن نصر الكرماني ، دار الاعتصام ، القاهرة ، ط٢ ، ١٣٩٦هـ ، تحقيق : عبدالقادر أحمد عطا ، وقد سماه المحقق : (**أسرار التكرار في القرآن**).

١٣ ـ **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، وزارة الأوقاف ، القاهرة ، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م .

١٤ ـ **البلاغة العربية** ، يوسف أبو العدوس ، جامعة اليرموك ، اربد ، ٢٠٠٣

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١٥ ـ **البلاغة العربية (أسُسُها وعلومها وفنونها) وصور من تطبيقاتها** ، بهيكل جديد من طريف وتليد ، عبدالرحمن حسن حبنكه الميداني ، دار القلم ، دمشق ، دار الشامية ، بيروت ، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م ، ط١ .

١٦ ـ **البلاغة ، فنونها وأفنانها (علم البيان)** ، فضل حسن عباس ، دار الفرقان ، عمان ، ٢٠٠٤م ، ط٩ .

١٧ ـ **بلاغة الكلمة في التعبير القرآني** ، فاضل صالح السامرائي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ٢٠٠٠م ، ط١ .

١٨ ـ **البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر** ، علي علي صبح ، المكتبة الأزهرية ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٩٥م .

١٩ ـ **البيان في إعجاز القرآن** ، صلاح عبد الفتاح الخالدي ، دار عمار للنشر والتوزيع ، عمان ، ط٣ ، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م .

٢٠ ـ **البيان في ضوء أساليب القرآن** ، عبد الفتاح لاشين ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٩٥م .

٢١ ـ **التبيان في إعراب القرآن** ، عبدالله بن أبي عبدالله الحسين بن أبي البقاء العكبري ، إحياء الكتب العربية ، تحقيق : علي محمد البيجاوي .

٢٢ ـ **التبيان في أقسام القرآن** ، ابن قيّم الجوزية ، دار الفكر ، بيروت ، د ، ط

٢٣ ـ **التبيان في تفسير غريب القرآن** ، احمد بن محمد الهائم المصري ، دار الصحابة للتراث بطنطا ، مصر ، ١٩٩٢ ، ط١ ، ت : فتحي أنور الدابولي .

٢٤ ـ **تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن** ، ابن أبي الإصبع المصري ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، مصر ، د. ت ، د . ط ، تحقيق : حنفي محمد شرف .

٢٥ ـ **التحرير والتنوير** ، محمد الطاهر بن عاشور ، دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس .

٢٦ ـ التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، محمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي ، دار الفجر للتراث ، القاهرة ، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠ ، ط١ ، تحقيق : جامد احمد الطاهر البسيوني

٢٧ ـ **التصوير الفني في القرآن** ، سيد قطب ، دار الشروق ، القاهرة ، ط١٦ ، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م .

٢٨ ـ **التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن**، عودة خليل أبو عودة ، مكتبة المنار، الزرقاء ، الأردن ، ط١ ، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .

٢٩ ـ **التعريفات** ، علي بن محمد بن علي الجرجاني ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٥هـ ، ط١ ، تحقيق : إبراهيم الأبياري .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٣٠ ـ **تفسير البيضاوي** ، البيضاوي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٦ ـ ١٩٩٩٦ ، ت : عبدالقادر عرفات العشا حسونة .

٣١ ـ **تفسير الجلالين** ، جلال الدين بن أحمد المحلي و جلال الدين بن عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ، دار الحديث ، القاهرة ، ط١ ، ت : عبدالقادر عرفات العشا حسونة .

٣٢ ـ **التفسير البياني للقرآن الكريم** ، عائشة عبد الرحمن ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٨ .

٣٣ ـ **تفسير القرآن العظيم** ، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠١هـ .

٣٤ ـ **تفسير النسفي** ، النسفي ، دار الشعب ، القاهرة ، ١٣٧٢هـ ، ط٢ ، ت : أحمد عبدالعليم البردوني .

٣٥ ـ **التفسير النفسي للأدب** ، عز الدين إسماعيل ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٣ .

٣٦ ـ **التوقيف على مهمات التعاريف** ، محمد عبدالرؤوف المناوي ، دار الفكر المعاصر ، دار الفكر ، بيروت ، دمشق ، ١٤١٠هـ ، ط١ ، تحقيق : محمد رضوان الداية .

٣٧ ـ **ثلاث رسائل في إعجاز القرآن** ، الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٣ ، ت : محمد خلف الله ، محمد زغلول سلام .

٣٨ ـ **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** ، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٥هـ .

٣٩ ـ **الجامع لأحكام القرآن** ، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي ، دار الشعب ، القاهرة ، ١٣٧٢هـ ، ط٢ ، ت : أحمد عبدالعليم البردوني .

٤٠ ـ **جمالية الخبر والإنشاء (دراسة بلاغية جمالية نقدية)** ، د . حسين جمعة ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٥ .

٤١ ـ **الجمان في تشبيهات القرآن** ، عبدالله بن الحسين بن ناقيا البغدادي ، مركز الصف الالكتروني (براج وخطيب) جدة ، بيروت ، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م ، ط١ ، تحقيق : محمود حسن أبو ناجي الشيباني .

٤٢ ـ **الجواهر الحسان في تفسير القرآن** ، عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت .

٤٣ ـ **جواهر القرآن** ، محمد بن محمد بن الغزالي (أبو حامد) ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ١٩٨٥ ، ط١ ، تحقيق : محمد رشيد رضا القباني .

٤٤ ـ **الحيوان** ، الجاحظ مكتبة مشكاة الإسلامية . www.almshkat.com

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٤٥ ـ **خزانة الأدب**، علي بن عبد الله الحموي الأزراري ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، ١٩٨٧ ، ط١ ، تحقيق : عصام شعيتو .
٤٦ ـ **الخصائص** ، أبي الفتح عثمان بن جني ، عالم الكتب ، بيروت ، د . ط ، ت : محمد علي النجار .
٤٧ ـ **الدر المنثور** ، عبدالرحمن بن كمال بن جلال الدين السيوطي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٣ .
٤٨ ـ **دراسات لأسلوب القرآن الكريم** ، محمد عبدالخالق عضيمة ، دار الحديث ، القاهرة .
٤٩ ـ **دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية** ، احمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني ، مؤسسة علوم القرآن ، دمشق ، ١٤٠٤هـ ، ط٢ ، تحقيق : محمد السيد الجليند .
٥٠ ـ **دلائل الإعجاز** ، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي ، دار المدني ، القاهرة ، جدة ، ط ٣ ، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م ، ت : محمود محمد شاكر .
٥١ ـ **ديوان أبو ذؤيب الهذلي**، تحقيق وشرح : أنطونيوس بُطرس ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م .
٥٢ ـ **ديوان ابن الرومي** ، علي بن العباس بن جريج ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٤ ، تحقيق : حسن نصار .
٥٣ ـ **ديوان أبي الطيب المتنبي**، بشرح أبي البقاء العكبري، المسمى (التبيان في شرح الديوان) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م ، ضبط نصح وصححه : كمال طالب .
٥٤ ـ **ديوان جرير** ، شرح محمد بن حبيب ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٣ ، ٢٠٠٩ ، ت : نعمان محمد أمين طه .
٥٥ ـ **روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني** ، محمد الألوسي أبو الفضل ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د. ط ، د ، ت .
٥٦ ـ **سنن الترمذي** ، الترمذي ، دار إحياء التراث ، د . ت ، د. ط
٥٧ ـ **شرح المعلقات السبع** ، الزوزني ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ط٤ .
٥٨ ـ **صبح الأعشى في صناعة الإنشا** ، أحمد بن علي القلقشندي ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٧ ، ط١ ، تحقيق : يوسف علي الطويل .
٥٩ ـ **صحيح بخاري** ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري ، دار ابن الهيثم ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٣م ، تقديم : أحمد محمد شاكر .
٦٠ ـ **صحيح مسلم** ، مسلم بن الحجاج ، دار إحياء التراث العربي ، ١٩٧٢م .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٦١ ـ **الصوت اللغوي في القرآن** ، محمد حسين علي الصغير ، دار المؤرخ العربي ، بيروت ، د.ت .

٦٢ ـ **الصورة الأدبية** ، مصطفى ناصف ، دار الأندلس ، بيروت ، د . ط .

٦٣ ـ **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب** ، جابر أحمد عصفور، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٩٢م .

٦٤ ـ **الصورة الفنية في شعر أبي تمام** ، عبدالقادر الرباعي ، جامعة اليرموك ، اربد ، الأردن ط١ ، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م .

٦٥ ـ **الصورة الفنية في شعر الطائيّين بين الانفعال والحس ـ دراسة ـ** ، وحيد صبحي كبّابه ، من منشورات إتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ١٩٩٩ .

٦٦ ـ **الصورة الفنية في المثل القرآني** ، محمد حسين الصغير ، دار الهادي ، بيروت ، ١٩٩٢م .

٦٧ ـ **علم الأصوات** ، كمال بشر ، دار غريب ، القاهرة ، ٢٠٠٠ ، د. ط : ١٨٤ ـ ١٨٦

٦٨ ـ **علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع)** ، أحمد مصطفى المراغي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٤، ٢٠٠٧م ـ ١٤٢٨هـ .

٦٩ ـ **الفائق في غريب الحديث** ، محمود بن عمر الزمخشري ، دار المعرفة ، لبنان ، د . ت ، ط٢ ، تحقيق : علي محمد البجاوي ـ محمد أبو الفضل إبراهيم .

٧٠ ـ **الفاصلة في القرآن** ، محمد الحسناوي ، دار عمار ، عمان ، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م ، ط٢ .

٧١ ـ **الفروق اللغوية** ، أبو هلال العسكري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ت : جُسّام الدين القدسي .

٧٢ ـ **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير** ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، دار الفكر ، بيروت ، د. ط .

٧٣ ـ **الفوائد** ، ابن قيم الجوزية ، مكتبة الإيمان ، المنصورة ، مصر ، ط١ ، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م ، تحقيق : أحمد محمد خطاب .

٧٤ ـ **الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان** ، جمال الدين محمد بن سليمان البلخي المقدسي الحنفي الشهير بابن النقيب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨ ، ط٢ ، تحقيق : مجموعة من العلماء بإشراف الناشر .

٧٥ ـ **فن الجناس (بلاغة ـ أدب ـ نقد)** ، علي الجندي ، دار الفكر العربي ، القاهرة

٧٦ ـ **في ظلال القرآن** ، سيد قطب ، دار إحياء التراث العربي / بيروت ، ط٧ ، ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٧٧ ـ **القصص القرآني في منطوقه ومفهومه** ، عبد الكريم الخطيب ، دار المعرفة ، بيروت ، د. ت .

٧٨ ـ **الكتاب ، سيبويه** ، عمرو بن عثمان بن قنبر أبو البشر ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩١ ، تحقيق : عبد السلام محمد .

٧٩ ـ **كشاف اصطلاح الفنون والعلوم** ، محمد علي التهاوني ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٦ ، ت : علي دحروج .

٨٠ ـ **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** ، محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، مكتبة مصر ، القاهرة ، شرحه وضبطه وراجعه : يوسف الحمّادي .

٨١ ـ **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر** ، أبي الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الموصلي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٩٥ ، ت : محمد محي الدين عبد الحميد .

٨٢ ـ **مجاز القرآن** ، أبو عبيدة معمر بن مثنى التميمي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، د . ط ، عارضه وعلق عليه : محمد فؤاد سزكين .

٨٣ ـ **مجاز القرآن (خصائصه الفنية وبلاغته العربية)** ، محمد حسين علي الصغير : www.ruqyah.net

٨٤ ـ **مختار الصحاح** ، محمد بن أبي بكر الرازي ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥ ، ت : محمود خاطر .

٨٥ ـ **المدهش** ، أبي الفرج جمال الدين بن علي بن محمد بن جعفر الجوزي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٥ ، ت : مروان قباني .

٨٦ ـ **مفاتيح الغيب** ، محمد بن عمر بن البكري الطبري ، المعروف بـ (بفخر الدين الرازي) ، دار الفكر ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠١ه/ ـ ١٩٨١م .

٨٧ ـ **مشاهد القيامة في القرآن** ، سيد قطب ، دار الشروق ، القاهرة ، ط ١٤ ، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م .

٨٨ ـ **مقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن** ، للإمام أبي عبدالله جمال الدين محمد بن سليمان البلخي المقدسي الحنفي الشهير بابن النقيب ، والمطبوع خطأ بعنوان " الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان لابن قيّم الجوزية ، كشف عنها وعلى حواشيها د . زكريا سعيد علي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط١ ، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

٨٩ ـ **مشكل إعراب القرآن** ، مكي بن أبي طالب القيسي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٥هـ ، ط٢ ، ت : حاتم علي الضامن .

٩٠ ـ **المفردات في غريب القرآن** ، الحسين بن القاسم المعروف بالراغب الأصفهاني ، دار المعرفة ، لبنان ، د . ط ، تح : محمد سيد كيلاني ، ص : ٤٩١ .

٩١ ـ **معالم التنزيل** ، الحسين بن مسعود الفراء البغوي ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م ، ط٢ ، ت : خالد العك ـ مروان سوار .

٩٢ ـ **معاني القرآن** ، عبدالله بن عبدالعزيز البكري الأندلسي ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ط١ ، ١٤٠٩هـ ، ت : محمد علي الصابوني .

٩٣ ـ **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب** ، مجدي وهبة و كمال المهندس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٤ .

٩٤ ـ **المعجم الوسيط** ، قام بإخراج هذه الطبعة إبراهيم أنيس وآخرون ، ط٢ ، ١٣٩٢/ ١٩٧٢ .

٩٥ ـ **مناهل العرفان في علوم القرآن** ، محمد عبدالعظيم الزرقاني ، دار الفكر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٦ ، ت : مركز البحوث والدراسات .

٩٦ ـ **من أساليب البيان في القرآن الكريم**، محمد علي أبو حمدة، جمعية عمال المطابع التعاونية ، عمان ، ط ١، ١٩٧٨ .

٩٧ ـ **من بلاغة القرآن** ، أحمد أحمد بدوي ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، د ت

٩٨ ـ **من روائع القرآن** ، محمد سعيد رمضان البوطي مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م .

٩٩ ـ **منهاج البلغاء وسراج الأدباء** ، حازم القرطاجني ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨١ .

١٠٠ ـ **لسان العرب** ، محمد بن مكرم بن منظور ، دار صادر ، بيروت .

١٠١ ـ **المصباح في المعاني والبيان والبديع** ، بدرالدين بن مالك الشهير بابن الناظم ، مكتبة الآداب ، المطبعة النموذجية ، القاهرة ، تحقيق : حسني عبدالجليل يوسف .

١٠٢ ـ **مما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة البرهان** ، محمود شكري بن عبدالله بن شهاب الدين الألوسي المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٧١م .

١٠٣ ـ **المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع** ، محمد الأنصاري السجلماسي (أبو القاسم) ، مكتبة المعارف ، الرباط ، ط١ ، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨٠م ، ت : علال الغازي .

١٠٤ ـ **النقد والإعجاز** ، محمد تحريشي ، منشورات إتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٠ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١٠٥ ـ **نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز**، فخر الدين الرازي، دار العلم للملايين، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٥ ، ت : بكري شيخ أمين .

١٠٦ ـ **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** ، علي بن أحمد الواحدي ، دار القلم ، دار الشامية ، بيروت ، دمشق ، ط١ ، ١٤١٥هـ ، ت : صفوان عدنان داوودي

١٠٧ ـ **وشي الربيع بألوان البديع في ضوء الأساليب العربية** ، عائشة حسين فريد ، دار قباء ، القاهرة ، ٢٠٠٠ .

١٠٨ ـ **وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم** ، عبد السلام أحمد الراغب ، فصّلت للدراسات والترجمة والنشر ، حلب ، سورية ، ط١ ، ٢٠٠١م .

المجلات :

١ ـ **المتلقي عند حازم القرطاجني** ، زياد صالح الزعبي ، مجلة الجامعة الإسلامية ، المجلد التاسع ، العدد الأول ، ٣٣٩

٢ ـ **الأسباب الصوتية لاختيار المفردة القرآنية** ، عامر مهدي صالح العلواني ، www.tafsir.net

٣ ـ **أسرار البيان في التعبير القرآني** ، فاضل صالح السامرائي ، محاضرة ضمن فعاليات جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم عام ٢٠٠٢م

٤ ـ **الإسناد المجازي في القرآن الكريم ملابساته وأسراره البلاغية** ، صديق مصطفى الريح ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الخرطوم ، www.adabjournaluofk.com

الرسائل الجامعية :

١ ـ رسالة ماجستير بعنوان (**الصورة الفنية في القصة القرآنية ، قصة سيدنا يوسف ـ عليه السلام نموذجاً ـ دراسة جمالية**) ، بلحسيني نصيرة ، الجزائر ، جامعة تلمسان ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية ، قسم اللغة العربية وآدابها

٢ ـ رسالة ماجستير بعنوان (**صورة الجحيم في القرآن الكريم**) ، خالد الزعبي ، قسم اللغة العربية ، جامعة آل البيت ، ٢٠٠٥

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

جدول بالآيات الواردة في البحث

الآية	السورة	رقم الآية	مكان النزول	الصفحة
﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾	البقرة	٨	مدنية	٣٥
﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾	البقرة	٢٥	مدنية	١٧٢
﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾	البقرة	٦٣	مدنية	٩٣
﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَـؤُلاء تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾	البقرة	٨٥	مدنية	٩٥
﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾	البقرة	١١٣	مدنية	٩٨
﴿ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾	البقرة	١٦٥	مدنية	١٢٤ ، ١٣٥
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَـئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾	البقرة	١٧٤	مدنية	٩٦
﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِـي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَـكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾	البقرة	٢٦٠	مدنية	٢٦
﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾	آل عمران	١٠٦	مدنية	٥٧ ، ١٤٠

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۞ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾	آل عمران	١٠٦ ، ١٠٧	مدنية	٥٨ ، ١٠٧
: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾	آل عمران	١٨٥	مدنية	٩٧
﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً ﴾	النساء	١٠	مكية	١٧٠
: ﴿اللَّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾	النساء	٨٧	مكية	٩٧
﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾	النساء	١٣٢	مكية	١٧٢
﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾	النساء	١٤١	مكية	٩٨
﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾	المائدة	١٢	مدنية	٩٧
﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾	الأنعام	٢٢	مكية	١٣٥
﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾	الأنعام	٢٧	مكية	١٣٦
﴿ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾	الأنعام	٣١	مكية	٣٤ ، ٣٩ ، ٥٦ ، ٧٣ ، ١٠١ ، ١٦٣
﴿ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ﴾	الأنعام	١٢٢	مكية	١٨٦
﴿وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُم مِّنْ إِمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾	الأنعام	١٥١	من الآيات المدنية التي جاءت في سورة مكية	٥١
﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاء بِمَا	التوبة	٨٢	مدنية	١٩٢

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾	يونس	٤٥	مكية	٤٠
﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلاَ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾	هود	٨	مكية	١٣٠
﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الآخِرَةِ فَأُوْلَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾	هود	٣٩	مكية	١٢٩
﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	هود	٤١	مكية	٣٥
﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾	هود	٦٧	مكية	١٠٢ ، ١٣١
﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴾	هود	٩٨	مكية	٩٩
وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾	يوسف	٨٤	مكية	٤٦
﴿يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾	إبراهيم	٤١	مكية	١٦١
﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا للّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾	إبراهيم	٤٨	مكية	١٣٩
﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾	النحل	١٧	مكية	١٨٩
﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلاَ سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾	النحل	٢٥	مكية	٩٩
﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾	النحل	٥٨	مكية	١٩
﴿ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ﴾	النحل	٧٧	مكية	١١٦ ، ١٥٨
﴿مَّنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾	الإسراء	١٥	مكية	١٨٧
﴿وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْءاً كَبِيراً ﴾	الإسراء	٣١	مكية	٥٢
﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾	الإسراء	٨٨	مكية	١٥٠

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاء مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً ﴾	الإسراء	٩٧	مكية	٤٥ ، ٦٠
﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقاً﴾	الكهف	٢٩	مكية	٢١
﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً ﴾	الكهف	٤٢	مكية	٦٩
﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً ﴾	الكهف	٤٧	مكية	٣٠ ، ٤٤
﴿ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً ﴾	الكهف	١٠٤	مكية	١٧٧
﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً ﴾	الكهف	١٠٥	مكية	١٤٠
﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً۞ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً۞ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً۞ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيّاً۞ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً﴾	مريم	١٦ ـ ٢٠	مكية	٤٧
﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾	مريم	٤٠	مكية	١٨٩
﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً ۞ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْداً﴾	مريم	٨٥ ـ ٨٦	مكية	١٩٤
﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً۞ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً ۞ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً﴾	مريم	٨٨ ـ ٩٠	مكية	١٧
﴿ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴾	طه	٧٤	مكية	١٤٠ ، ١٧١
﴿ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْراً۞ خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاء لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلاً ﴾	طه	١٠٠ـ ١٠١	مكية	٥٦ ، ٧٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

﴿ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْراً ۞ خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلاً ۞ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً ۞ يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْراً ۞ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْماً ۞ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً ۞ فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً ۞ لَّا تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلَا أَمْتاً ۞ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً ۞ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً ۞ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً ۞ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً ﴾	طه	١٠٠ـ١١١	مكية	٤١، ٤٣، ٥٦، ٥٧، ٦٩، ١٤١، ١٦٠، ١٧١
﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ۞ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً ۞ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾	طه	١٢٤ ـ ١٢٦	مكية	٥٩، ٩٩
﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾	الأنبياء	٣٣	مكية	٢٢
﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾	الأنبياء	٤٧	مكية	٩٨
﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾	الأنبياء	٤٩	مكية	١٠١
﴿ حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾	الأنبياء	٩٦	مكية	٦٦
﴿ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾	الأنبياء	٩٧	مكية	١٢٩
﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾	الأنبياء	١٠٤	مكية	٢١، ٧٦، ١٥٤
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ۞ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ	الحج	١، ٢	مكية	١٤٤، ١٤٥، ١٦٣، ١٩٠

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾				
﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾	الحج	٢٢	مكية	١٤٧
﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾	الحج	٥٥	مكية	١٢٤
﴿ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۞ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾	الحج	٥٦ ـ ٥٧	مكية	١٨٨
﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءلُونَ ﴾	المؤمنون	١٠١	مكية	٥٤ ، ١٠٨
﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ۞ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾	المؤمنون	١٠٢ ، ١٠٣	مكية	٧٥
﴿ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾	النور	٣٧	مدنية	١٧٨
﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ۞ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾	النور	٤٣ ـ ٤٤	مدنية	١٧٦
﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً۞ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً﴾	الفرقان	٢٧ ، ٢٨	مكية	٥٥
﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾	النمل	٨٧	مكية	٦٨
﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴾	القصص	٤٢	مكية	٩٩
﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾	القصص	٨٣	من الآيات المدنية في سورة مكية	٨٢
﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾	العنكبوت	١٣	مكية	٩٩
﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾	العنكبوت	٥٥	مكية	١٨٩
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاء وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ	الروم	٢٥	مكية	١٤٩ ـ ١٥٠

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴾	الروم	٥٥	مكية	١٧٥
﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾	الروم	٥٦	مكية	١٠١
﴿ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾	لقمان	٧	مكية	١٧٢
﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾	لقمان	١٤	مكية	٤٩
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾	لقمان	٣٣	مكية	٥٣
﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾	لقمان	٣٤	مكية	٤٤ ، ١٠٠
﴿ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾	السجدة	١٤	مكية	١٣٥
﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾	سبأ	٣١	مكية	١٣٦
﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾	سبأ	٤٠	مكية	١٣٠
﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾	فاطر	١	مكية	١٧
﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾	فاطر	١٨	مكية	٥٤
﴿ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾	يس	٣٢	مكية	٦٨
﴿ إِ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ۞ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾	يس	٤٩ ، ٥٠	مكية	٦٥
﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾	يس	٥١	مكية	٦١ ، ٦٢ ، ٦٦ ، ١٥٧
﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾	يس	٥٢	مكية	٣١ ، ١٦١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾	يس	٥٣	مكية	٦٨
﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ﴾	الصافات	١٩	مكية	٦٧
﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾	الصافات	٣٤	مكية	١٧١
﴿ أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ۞ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ﴾	الصافات	٦٢ ، ٦٣	مكية	١٦٩
﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ۞ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾	الصافات	٦٤ ، ٦٥	مكية	٢٠
﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ۞ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ﴾	الصافات	٧٢ - ٧٣	مكية	١٧٨
﴿هُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴾	الزمر	١٦	مكية	١٨٩
﴿ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾	الزمر	٤٠	مكية	١٣١
﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾	الزمر	٦٠	مكية	٥٦ ، ٥٧
﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾	الزمر	٦٧	مكية	٧٦ ، ١٦٢
﴿ فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾	الزمر	٦٨	مكية	٦٥ ، ٦٧ ، ١٠٢
﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلاً مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾	غافر	٥٨	مكية	١٨٧
﴿ ذَلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴾	غافر	٧٥	مكية	١٧٨
﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾	فصلت	٣٠	مكية	١٨٨
﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾	فصلت	٤١	مكية	١٣٨
وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾	الشورى	٧	مكية	٩٧
﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا	الشورى	١٨	مكية	١٢٣

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾				
﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾	الزخرف	١٧	مكية	٤٦
﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾	الزخرف	٦٦	مكية	١٢٣، ١٥٧
﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴾	الدخان	٢٩	مكية	١٦٨
﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۞ إِلَّا مَن رَّحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۞ إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ ۞ طَعَامُ الْأَثِيمِ ۞ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ۞ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ۞ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاء الْجَحِيمِ ۞ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ۞ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ۞ إِنَّ هَذَا مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ ۞ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ۞ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۞ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ ۞ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ۞ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ۞ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۞ فَضْلاً مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۞ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۞ فَارْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾	الدخان	٤٠ ـ ٥٩	مكية	٢١، ٦٨، ١١٨
﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۞ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾	الجاثية	٧، ٨	مكية	١٧٢
﴿ وَيَومَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ ﴾	الجاثية	٢٧	مكية	١٢٣
: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴾	الأحقاف	٤٥	مكية	٤١
﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾	محمد	١١	مدنية	١٩٠

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

﴿ وَجَاءتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ۞ لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ۞ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴾	ق	٢١ ـ ٢٣	مكية	١٨٢
﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾	ق	٣٠	مكية	١٤٧
﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ۞ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ۞ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ۞ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾	ق	٤١ ـ ٤٤	مكية	٤٣ ، ١٠٢ ،
﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْراً﴾	الطور	٩	مكية	١٤
﴿ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْراً﴾	الطور	١٠	مكية	٣٣
﴿ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاء عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾	الطور	١٦	مكية	١٣٨ ، ١٨٩
﴿ أَزِفَتْ الْآزِفَةُ ﴾	النجم	٥٧	مكية	١٧٦
﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴾	القمر	١	مكية	١٣٣
﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكُرٍ ۞ خُشَّعاً أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۞ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾	القمر	٦ ـ ٨	مكية	٦٣ ، ٦٣ ، ٩٠ ، ١٣١ ، ١٣٣
﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ ﴾	القمر	٤٦	مكية	١٠١
﴿ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاء فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾	الرحمن	٣٧	مدنية	١٩ ، ٢٠ ، ١٥٤
﴿ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴾	الرحمن	٤١	مدنية	١٦٧
﴿ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجّاً ﴾	الواقعة	٤	مكية	٢٩ ، ٣٥
﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسّاً ۞ فَكَانَتْ هَبَاء مُّنبَثّاً﴾	الواقعة	٥ ، ٦	مكية	٣٣ ، ١٠٩
﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۞ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾	الواقعة	٨ ، ٩	مكية	٨٥ ، ١٨٤ ، ١٨٧ ، ١٩٢
﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾	الواقعة	٩	مكية	١٢٥
﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ۞ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾	الواقعة	٣٩ ـ ٤٠	مكية	١٨٤
﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾	الواقعة	٧٥	مكية	٢٥
﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾	الواقعة	٨٢	مكية	١٤٠
﴿ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ ﴾	الحشر	٦	مدنية	١٠٨
﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ	التغابن	٩	مدنية	٩٧

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

	التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾				
﴿ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً﴾	الملك	٣	مكية	١٨٦
﴿ قَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾	القلم	١٩	مكية	١٧٦
﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾	القلم	٤٢	مكية	١٣٩ ، ١٦٠
﴿ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ﴾	القلم	٤٣	مكية	٧١
﴿ الْحَاقَّةُ ۞ مَا الْحَاقَّةُ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴾	الحاقة	١ ـ ٣	مكية	٨١ ، ١٢٣ ، ١٢٤
﴿ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾	الحاقة	١٤	مكية	٢٧
﴿ انشَقَّتِ السَّمَاء فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴾	الحاقة	١٦	مكية	١٨
﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ ۞ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهْ ۞ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۞ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۞ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۞ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ۞ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ ۞ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ ۞ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ۞ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ ۞ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ﴾	الحاقة	١٩ ـ ٢٩	مكية	٨٤ ، ٨٥ ، ١٧٦ ، ١٨٢ ، ١١٤
﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۞ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾	الحاقة	٣٠ ـ ٣١	مكية	١٣٩
﴿ فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً ۞ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً ۞ وَنَرَاهُ قَرِيباً﴾	المعارج	٥ ـ ٧	مكية	١٨٢ ، ١٨٧
﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاء كَالْمُهْلِ ۞ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۞ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً ۞ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ۞ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ۞ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ۞ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنجِيهِ ﴾	المعارج	٨ ـ ١٤	مكية	٢٠ ، ٣٣ ، ٥١ ، ٥٤ ، ٨٩ ، ١٤٦ ، ١٥٤ ، ١٥٥
﴿ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ﴾	المعارج	١٧	مكية	١٦٨
﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴾	المعارج	٢٨	مكية	١٧٠
﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾	المعارج	٣٧	مكية	١٨٧
﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعاً كَأَنَّهُمْ	المعارج	٤٣	مكية	٦٢ ، ١٥٧

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إلى نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾				
﴿ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾	المعارج	٤٤	مكية	٧١
﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيباً مَّهِيلاً ﴾	المزمل	١٤	مكية	٢٨
﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً ﴾	المزمل	١٧	مكية	٥٢ ، ١٦٦
﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ۞ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾	المدثر	٨ ، ٩	مكية	١٠٣ ، ١٠٧
﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ۞ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ۞ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾	المدثر	٤٩ ـ ٥١	مكية	٦٩
﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾	القيامة	١	مكية	٨٠
﴿ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾	القيامة	٦	مكية	٣٥
﴿ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ۞ وَخَسَفَ الْقَمَرُ۞ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾	القيامة	٧ ـ ٩	مكية	٢٤ ، ١٨٣
﴿ يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾	القيامة	١٠	مكية	٢٤
﴿ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴾	القيامة	١٢	مكية	١٤٤
﴿ يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾	القيامة	١٣	مكية	١٨٨
﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ۞ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾	القيامة	٢٠ ـ ٢١	مكية	٩٣ ، ١٨٣
﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۞ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۞ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ۞ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾	القيامة	٢٢ ـ ٢٥	مكية	٥٧ ، ٧١ ، ١٧٧ ، ١٨٣
﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِيَ﴾	القيامة	٢٦	مكية	١٣٨
﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِيَ ۞ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ۞ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ۞ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ۞ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾	القيامة	٢٦ ـ ٣٠	مكية	١٧٦ ، ١٨٢
﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً ۞ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً ۞ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً ﴾	الإنسان	١ ـ ٣	مدنية	١٢
﴿ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾	المرسلات	٨	مكية	٢٥
﴿ وَإِذَا السَّمَاء فُرِجَتْ﴾	المرسلات	٩	مكية	١٨ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٤٢
﴿وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾	المرسلات	١٠	مكية	٣٣
﴿ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾	المرسلات	١٢	مكية	٨١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ۞ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ۞ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ۞ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ۞ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۞ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴾	المرسلات	٨ ـ ١٤	مكية	١٠٤
﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَاداً ۞ وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً﴾	النبأ	٦ ، ٧	مكية	٣٢ ، ١٥٥
﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً﴾	النبأ	١٨	مكية	٦٨
﴿ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً﴾	النبأ	١٩	مكية	١٨
﴿ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً ﴾	النبأ	٢٠	مكية	٣٣
﴿ إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَاباً قَرِيباً يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَاباً ﴾	النبأ	٤٠	مكية	٥٥
﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۞ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ۞ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۞ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ۞ يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ۞ أَئِذَا كُنَّا عِظَاماً نَّخِرَةً ۞ قَالُوا تِلْكَ إِذاً كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۞ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۞ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴾	النازعات	٦ ـ ١٤	مكية	٢٨ ، ٣٨ ، ٦٦ ، ١٠٨ ، ١٨٣
﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ۞ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۞ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ۞ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى ۞ وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ۞ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى ۞ فَكَذَّبَ وَعَصَى ۞ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى ۞ فَحَشَرَ فَنَادَى ۞ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ۞ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ۞ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى ﴾	النازعات	١٥ ـ ٢٦	مكية	٣٨ ـ ٣٩
﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ۞ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ۞ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ۞ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ۞ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءهَا وَمَرْعَاهَا ۞ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ۞ مَتَاعاً لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾	النازعات	٢٧ ـ ٣٣	مكية	٣٢ ، ١٥٥
﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴾	النازعات	٤٢	مكية	٣٦
﴿فَإِذَا جَاءتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى ۞ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَى﴾	النازعات	٣٤ ، ٣٥	مكية	٣٩
﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۞ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ۞ إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ۞ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا ۞ كَأَنَّهُمْ	النازعات	٤٢ ـ ٤٦	مكية	٤٠ ، ١٦٢

© Arabic Digital Library-Yamouk of University

يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾				
﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ۞ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۞ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۞ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ۞ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾	عبس	٣٣ ـ ٣٧	مكية	٤٨ ، ٨٠ ، ٨٩ ، ١٠٢ ، ١٠٧ ، ١١٣
﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۞ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۞ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ۞ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۞ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۞ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۞ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۞ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۞ أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴾	عبس	٣٤ ـ ٤٢	مكية	٥٨ ، ٧٠ ، ١١٦ ، ١٦٢ ، ١٧٠ ، ١٨٣
﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۞ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ۞ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۞ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۞ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۞ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۞ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۞ وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ ۞ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ۞ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ۞ وَإِذَا السَّمَاء كُشِطَتْ ۞ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۞ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۞ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴾	التكوير	١ ـ ١٤	مكية	٢٣، ٢٥، ٣٣ ، ٧٩، ١٠٣، ١١٥ ، ١٣٣ ، ١٣٧ ، ١٦١ ، ١٦٦ ، ١٨٠ ، ١٨١
﴿ إِذَا السَّمَاء انفَطَرَتْ ۞ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ۞ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۞ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴾	الانفطار	١ ـ ٤	مكية	١٦ ، ١٧ ، ٢٥ ، ٣٧ ، ٤٢ ، ٨٣ ، ١٨١
﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾	الانفطار	٥	مكية	١٣٧ ، ١٨٨
﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۞ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾	الانفطار	١٣ ـ ١٤		١٧١ ، ١٨٥ ، ١٩٢
﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۞ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾	الانفطار	١٧ ـ ١٨	مكية	٨١ ، ١٢٣ ، ١٢٥
﴿ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ۞ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴾	المطففين	١١ ـ ١٢	مكية	١٩٠
﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾	المطففين	١٥	مكية	٩٦ ، ١٤٦
﴿ إِذَا السَّمَاء انشَقَّتْ ﴾	الانشقاق	١	مكية	١٦ ، ١٨ ، ٣٧ ، ٤٢ ، ١٣٧
﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۞ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴾	الانشقاق	٢ ـ ٣	مكية	١٨٣
﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيَهْ ۞ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ۞ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾	الانشقاق	٧ ـ ٩	مكية	٨٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۞ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً ۞ وَيَصْلَى سَعِيراً﴾	الانشقاق	١٠ ـ ١٢	مكية	٨٥
﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۞ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً ۞ وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً ۞ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۞ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً ۞ وَيَصْلَى سَعِيراً ۞ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورا﴾	الانشقاق	٧ ـ ١٣	مكية	١٩٣
﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴾	البروج	٢	مكية	٣٥
﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ۞ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۞ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۞ تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً ۞ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾	الغاشية	١ ـ ٥	مكية	١٨٤
﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۞ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۞ تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً ۞ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ۞ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۞ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ۞ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۞ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۞ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾	الغاشية	٢ ـ ١٠	مكية	٥٨ ، ٥٩ ، ١٧٠ ، ١٩٣
﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۞ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۞ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾	الغاشية	١٧ ـ ١٩	مكية	٣٢
﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ۞ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾	الغاشية	٢٥ ـ ٢٦	مكية	١٣٢ ، ١٨٥ ، ١٨٩
﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكّاً دَكّا﴾	الفجر	٢١	مكية	٢٨ ، ٣٠
﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكّاً دَكّا۞ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّا۞ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى۞ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾	الفجر	٢١ ـ ٢٤	مكية	٥٥
﴿ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾	البلد	١٨	مكية	٨٥
﴿ فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى ۞ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ۞ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۞ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾	الليل	٥ ـ ١٠	مكية	١٩٤
﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ ۞ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۞ فَلْيَدْعُ نَادِيَه﴾	العلق	١٥ ـ ١٧	مكية	١٦٧ ، ١٧١
﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ ۞ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾	العلق	١٥ ـ ١٦	مكية	١٦٧
﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾	الزلزلة	١	مكية	٢٨ ، ٣١ ، ١٤٥

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۞ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۞ وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ۞ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۞ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴾	الزلزلة	١ ـ ٥	مكية	٤٢
﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ ﴾	الزلزلة	٧ ـ ٨	مدنية	١٨٥
﴿ وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ ۞ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾	العاديات	٧ ـ ٨	مكية	١٧٧
﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾	العاديات	١١	مكية	١٧٧
﴿ الْقَارِعَةُ ۞ مَا الْقَارِعَةُ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ۞ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ۞ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ۞ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۞ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۞ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۞ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ۞ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾	القارعة	١ ـ ١١	مكية	١٠٤
﴿ الْقَارِعَةُ ۞ مَا الْقَارِعَةُ ﴾	القارعة	١ ـ ٢	مكية	١٠٦ ، ١٢٣ ، ١٢٤
﴿ الْقَارِعَةُ ۞ مَا الْقَارِعَةُ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴾	القارعة	١ ـ ٣	مكية	١١٤
﴿ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴾	القارعة	٤	مكية	٦٣ ، ٩٠ ، ١٥٦
﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴾	القارعة	٥	مكية	٣٣ ، ١٥٥
﴿ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ۞ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴾	القارعة	٤ ـ ٥	مكية	١٠٩
﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ۞ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾	القارعة	١٠ ـ ١١	مكية	١٣٧
﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۞ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۞ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۞ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾	القارعة	٦ ـ ٩	مكية	٧٥ ، ١٦٧
﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۞ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾	التكاثر	٣ ـ ٤	مكية	١٢٥
﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۞ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۞ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾	التكاثر	٥ ـ ٧	مكية	٢٦
﴿ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۞ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾	التكاثر	٦ ـ ٧	مكية	١٢٥
﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۞ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴾	الهمزة	٥ ـ ٦	مكية	١٣٧

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

Abstract

The aim of this study is to identify discourse of Koran by the exaggeration discourse of the Koran in particular, but it didn't address the study of exaggeration in Koran in general, the study is limited to the theme in the verses that talk about the Resurrection Day. The study consists of an introduction and three chapters.

In the first chapter, there are features for every discourse have been pointed to in order to clarify the role of portrayal in exaggeration discourse. importance of time and place in the presentation of the events on the Day of Resurrection.

The second chapter discusses linguistic and rhythmic features of exaggeration discourse. I divided this chapter into two topics.

In the first topic I talked about the pronunciation and the context and their proportionate role in spreading horror and fear in the psyche of the recipient from two sides in terms of phonetic structure for a single voice and its role in the exaggeration of the event which suggests the magnitude of its voice beside its meaning.

The other side is the appropriate pace for the event, where I defined rhythm and then I spoke about the Koranic interval in the exaggeration of the verses with the introduction of some examples to distinguish the rhythms in different discourses.

The second topic which is called the patterns of construction where I studied some of the exaggeration linguistic features and their role in the intimidation of those events with the illustration using examples. These features include repetition, bringing forward, delays, omissions, detailing.

In the third chapter, rhetoric aspects in exaggeration discourse. have been discussed ; this chapter was divided into four topics:

The first one is the assimilation .

The second topic was about metaphor,

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

The third topic discussed the rhetoric types according to the meaning .

The fourth chapter was about the concept of rhetoric . Some examples have been discussed in this chapter to clarify the concept of rhetoric .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University